الأدب الإسلامي

٨٦

مجلة فصلية تصدر عن «رابطة الأدب الإسلامي العالمية» - العدد (٨٦) - ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

التناص في شعر وليد قصّاب

مضر محمد الشيخ عبدو

نظرات في فكر وفلسفة راشد المبارك

د. يحيى أبو الخير

الصراع الحضاري بين الأنا والآخر في رواية عمر يظهر في القدس

بو حفص بو جمعة

ملف خاص

الأديب المفكر د. راشد المبارك

من قضايا النقد الأدبي الإسلامي في العصر الحديث

د. علي بن محمد الحمود

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما يجور النقد

النقد النَّزيه المجرَّد منَ الهوى في زماننا هذا، وفي أزمان غيرنا - أندر منَ الكبريت الأحمر، و«أبعد من نجم العيوق» كما كانت العرب تقول - وكلَّما تذكرت قول الخليل بن أحمد لابن مناذر: «إنما أنتم - معاشر الشعراء - تبعٌ لي، وأنا سكَّان السفينة؛ إن قرظتكم ورضيتُ عنكم نفقتم، وإلا كسدتم»؛ أدركتُ ما يمكن أن يلعبه الناقد من دَوْر في الحركة الثقافية والفكرية، بل أدركتُ كيف أن الناقد «المعتبر» هو سلطان ذو نفوذ واسع، الأديب الأديب، فهو يملك أن يرفعه، وهو يملك أن يضعه؛ إذ هو خبير مسموع الكلمة، يفيء القوم إلى رأيه، وينزلون عندما يصدع به من قول.

أَلَمْ تكن العرب قديمًا تضع للنابغة الذبياني قبة من أدم في سوق عكاظ، ثم تأتيه الشعراء طائعة تعرض عليه أشعارها، وتسأله عن رأيه فيها، فمَن أشاد به نَبُه ذكرُه، وعلا شأنه، ومَن تجاهله، أو لم يستحسن شعره، سفُل شأنه، وانحدرتْ منزلته؟!

إن الكلام على سلطان الناقد فيه من وجوه الحق الكثير؛ فالناقد كالصيرفي، والطبيب، والقاضي، والمهندس؛ كل أولئك خبراء في صنعتهم، ولا يُقضى بأمر من أمورها إلا أن يُرجع إليهم، فتلك هي سنَّة من سُنَن الله في الكون، ناموس يقوم على سؤال أهل الذكر.

ولكن هذا الحق قد يلتبس بباطل، قد يتحوَّل الناقد - وهو يستغل سلطانه الاجتماعي - إلى حكم جائر، أو قاضٍ ظالم، تحركه الأهواء والرغبات الشخصية، فينحرف عن الحق، ويجانب الموضوعية والإنصاف، فيفسد ويدمّر، ويكون عنصرَ تخريب وتضليل، يرفع أناسًا تافهين، ويخفض قومًا مبدعين، وذلك حين يتلبَّسه الهوى، أو ينساق وراء اتجاه أيديولوجي ما، يحاول نصرته بالحق والباطل، أو تحركه المطامع والمصالح والشهوات و«الشللية»، وما شاكل ذلك من اعتبارات الهوى الشخصي، التي لا حصر لها.

ولقد وُجِد هذا النقد الجائر في القديم وفي الحديث، ولكنه في زماننا هذا - بسبب اشتباك المصالح، وشهوات النفوس، وافتقاد الجدية والموضوعية - أبرز ظهورًا، وإن أمثلته الصارخة التي تطالعنا بها أحكام نقدية عريضة كل يوم في الصحف والمجلات لأكثر من أن تُعد.

إن الناقد كالقاضي، فهل يتقي الله النقادُ، فيعرفوا حق الكلمة وأمانة القول حتى يستعيدَ الناس ثقتهم في هذا النشاط الفكري الجاد الذي يمكن أن يمسخه، أو يذهب بمصداقيته نفر من النقاد أصحاب الهوى.

مدير التحرير

مجلة فصلية تصدر عن
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
المجلد (٢٢) العدد (٨٦)
جمادى الآخرة -شعبان ١٤٣٦هـ
نيسان (أبريل)- حزيران (يونيو) ٢٠١٥م

رئيس التحرير
د . عبد القدوس أبو صالح

نائب رئيس التحرير
د . ناصر بن عبدالرحمن الخنين

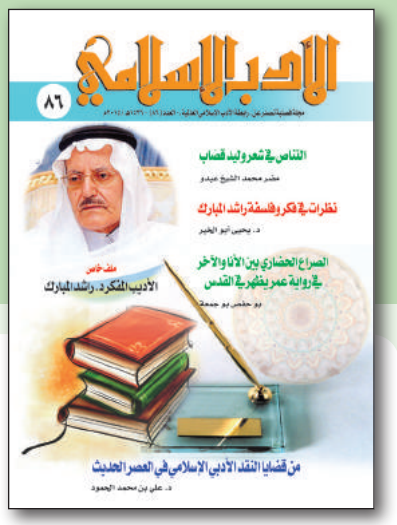

الإخراج الفني
عيسى محمد الهلال

المراسلات باسم رئيس التحرير
المملكة العربية السعودية
الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦
هاتف: ٤٦٢٧٤٨٢ - ٤٦٣٤٣٨٨
فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦
جوال: ٠٥٠٣٤٧٧٠٩٤

Web page address
www.adabislami.org
E-mail
info@adabislami.org

الاشتراكات
للأفراد في البلاد العربية
ما يعادل ١٥ دولارا
خارج البلاد العربية
٢٥ دولارا
للمؤسسات والدوائر الحكومية
٣٠ دولارا

أسعار بيع المجلة
دول الخليج ١٠ ريالات سعودية أو ما يعادلها، الأردن دينار واحد، مصر ٣ جنيهات، لبنان ٢٥٠٠ ليرة، المغرب العربي ٩ دراهم مغربية أومايعادلها، اليمن ١٥٠ريالاً، السودان ٢,٥ جنيه، الدول الأوربية ما يعادل ٣ دولارات.

من كُتّاب العدد

د.كمال مقابلة

الزبير بن إبراهيم المبارك

د.مصطفى عطية جمعة

د.سعد أبو الرضا

شروط النشر في المجلة

- تستبعد المجلة ما سبق نشره
- موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة.
- يرجى كتابة الموضوع على الحاسوب أو بخط واضح مع ضبط الشعر والشواهد وألا يزيد عن عشر صفحات.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفصل.
- ترسل نبذة قصيرة عن الكاتب.
- توثيق البحوث توثيقا علميا كاملا.
- الموضوع الذي لاينشر لايعاد إلى صاحبه.
- إرسال صورة غلاف الكتاب،موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو المجرى معها الحوار.

مدير التحرير
د . وليد إبراهيم قصاب

سكرتير التحرير
أ . شمس الدين درمش

هيئة التحرير
د . سعد أبو الرضا
د . عبد الله بن صالح المسعود
د . محمد عبدالعظيم بن عزوز
د . علي بن محمد الحمود

مستشارو التحرير
د . عبدالعزيز الثنيان
د . عبدالباسط بدر
د . حسن الهويمل
د . عبدالله العريني
د . رضوان بن شقرون

في هذا العدد

دراسات ومقالات

❖ **الافتتاحية:**

- عندما يجور النقد — مدير التحرير — ١
- من قضايا النقد الأدبي الإسلامي في العصر الحديث — علي بن محمد الحمود — ٤
- الصراع الحضاري بين الأنا والآخر في رواية عمر يظهر في القدس لنجيب الكيلاني — بو حفص جمعة — ١٢

❖ **ملف د. راشد المبارك:**

- راشد المبارك يرثي نفسه — عبدالله القفاري — ٣٢
- راشد المبارك في ندوة الوفاء — ٣٦
- ترك آثار حسنة — أحمد محمد باجنيد — ٣٧
- رجل مبارك له من اسمه أوفر الحظ والنصيب — د. عبدالله بن صالح العريني — ٣٨
- نظرات في فكر وفلسفة راشد المبارك — د. يحيى بن محمد أبو الخير — ٣٩
- راشد الإنسان — د. مرزوق بن تنباك — ٤٥
- امتداد للحضارة الخالدة — الزبير بن إبراهيم المبارك — ٤٦
- راشد المبارك في عيون الأدباء والنقاد والكتاب — التحرير — ٥٢
- أزمة قراءة.. أزمة نقد — د. مصطفى عطية جمعة — ٦٠
- التناص في شعر وليد قصاب — مضر محمد الشيخ عبدو — ٦٦
- بليونش في الشعر المغربي — سفيان الحتاش — ٨٠

❖ **الورقة الأخيرة:**

- من معطيات السيرة — د. عبدالباسط بدر — ١١٢

الشعر

- سر الهوى — أحمد بشار بركات — ١١
- رسالة قبل الرحيل (الملف) — د. راشد المبارك — ٣٣
- يا سائلي عن راشد (الملف) — د. عبدالقدوس أبو صالح — ٣٥
- عطش النهر (الملف) — د. راشد المبارك — ٤٧
- راشد (الملف) — د. حيدر الغدير — ٤٨
- يا سيدا كان في الأفلاك مسكنه (الملف) — د. أحمد التويجري — ٥٠
- لهفي عليك (الملف) — د. وليد قصاب — ٥١
- أخ يرثي أخاه — محمود مفلح — ٦٥
- وانطفأ السراج — د. عبدالرزاق حسين — ٧٧
- أرق — عبدالرحيم الماسخ — ٧٩
- سأبوح باسم حبيبتي — محمد مصطفى البلخي — ٩١

القصة

- الرصاص في الفلوجة — د. عمر الراوي — ٢٢
- القهر — سعاد التوزاني — ٥٩
- خالي الحبيب — وفاء نبيل — ٧٨
- دماء ودمى — علاء سعد حميدة — ٨٧
- الجدار — د. فؤاد عفاني — ٩٥

الأبواب الثابتة

❖ **لقاء العدد:**

- مع د. كمال مقابلة — حوار: عبدالرحمن نجم — ٢٤

❖ **تعقيب:**

- عندما يكون السلطان موضع اتهام.. إضاءة على المسرح الإسلامي التركي — محمود كحيلة — ٨٨

❖ **رسائل جامعية:**

- الاتجاه الإسلامي في النقد النظري عند عماد الدين خليل دراسة تحليلية وصفية — الباحث راشد بن حمود بن صالح الفراج — ٩٢

❖ **مكتبة الأدب الإسلامي:**

- أحاديث وأسمار للدكتور عبدالقدوس أبو صالح — عرض: د. سعد أبو الرضا — ٩٦

❖ **بريد الأدب الإسلامي** — ٩٩

❖ **أخبار الأدب الإسلامي** — إعداد: شمس الدين درمش — ١٠٠

من قضايا النّقد الأدبيّ الإسلاميّ في العصر الحديث

منذ بزوغ فجر النقد الأدبيّ الإسلاميّ بوصفه منهجاً نقدياً، حقق إنجازات مهمة في الجانبين: النظري والتطبيقي، وهي إنجازات لا تخفى على المتابع المنصف، على الرغم مما يلقاه من تهميش، يصل أحياناً إلى حد القطيعة والرفض القويّ، وفي هذا السياق سأقف عند أبرز القضايا والمسائل التي طرقها النقد الأدبي الإسلامي، وحققت -حتى الآن- بعض ما يصبو الداعون إليه، ومنها:

د. علي بن محمد الحمود- السعودية

ترسيخ نظرية الأدب الإسلاميّ:

منذ نصف قرن تقريباً ظهر الاهتمام بتأصيل نظرية إسلامية للأدب، وكان هناك مجموعة من الرواد، منهم: أبو الحسن الندوي، وسيد قطب، ومحمد قطب الذي يعد كتابه (منهج الفن الإسلاميّ)[1] «من أكثر الكتابات المبكرة أهميةً، بل يعدُّ مرجعاً أساسياً لكل من يبحث في هذا الميدان، فقد عالج موضوعه على أسس فلسفية نظرية تتسم بالشمول والإحاطة إلى حدٍ كبير، وأبرز ما يميز منهج الكاتب حرصه على استقصاء المرتكزات الأساسية في تدرج وترابط، الأمر

الذي مكنه من النفاذ إلى المفهوم الجوهري للأدب الإسلاميّ...»[٢].

وتعاورت بعد ذلك جهود مجموعة من النقاد الأدباء على تأصيل هذه النظرية ونشرها، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: الدكتور نجيب الكيلاني، والدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا، والدكتور عماد الدين خليل، والدكتور عبد الباسط بدر، والدكتور عبد القدوس أبو صالح، والدكتور وليد قصّاب، وغيرهم كثير من الذين أسهموا بما قدموا من جهود في إعداد الكتب والمقالات والحوارات والمؤتمرات والملتقيات التي رسخت الفكرة، وحددت المفهوم والإطار، فظهرت تعريفات عدة للأدب الإسلاميّ، وقد بينوا حدود ذلك الأدب، وسماته، وموقفه من بعض القضايا، منها: الشكل والمضمون، والوضوح والغموض، وأثروا بمناقشاتهم جوانب عدة، منها على سبيل المثال: هل يشترط في دخول الأدب تحت مظلة الإسلام أن يكون صادراً عن أديب مسلم؟ وموقف الأدب الإسلاميّ من الأجناس الأدبية الوافدة، والأدب المخالف، وكذلك الحال مع المناهج النقدية الحديثة، والمذاهب الأدبية الغربية. ولعل أهم ما حققوه من إنجازات تمثل في إنشاء رابطة الأدب الإسلاميّ العالمية، التي احتضنت الأدب الإسلاميّ، وأقامت مكاتب لها في بعض البلاد العربية والإسلاميّة، وأصدرت مجلات أدبية ونقدية، وعقدت المؤتمرات والملتقيات، واحتفت بنتاج الأدباء الكبار، وشجعت المبدعين الشباب من الجنسين[٣].

أبو الحسن الندوي

◂◂ جمع نصوص الأدب والنقد الإسلاميّين.

أولى النقد الأدبيّ الإسلاميّ عناية فائقة بهذا الجانب، فعمل طائفة من الباحثين على جمع نصوص الأدب الإسلاميّ عبر العصور المتتابعة، وأشيرُ في هذا الجانب إلى المشروع العلمي الذي تبنته في مرحلة سابقة كلية اللغة العربية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة في المملكة العربية السعودية، المتمثل في جمع نصوص الأدب الإسلاميّ، وصدرت عن هذا المشروع العلمي الجاد مجموعة من الدراسات. وهناك جهود فردية أخرى قام بها بعض الباحثين، فجمعوا نصوصاً كثيرةً من الشعر الإسلاميّ القديم والحديث، ودرسوها[٤].

وفي ميدان نصوص النظرية النقدية الإسلاميّة ما زلنا بحاجة إلى مزيد عناية بهذا الجانب، فمنذ عصر النبوة تأثر النقد الأدبيّ بالتصورات الإسلاميّة تأثراً واضحاً، وظهرت نصوص نقدية تعبر عن ذلك التأثر، والعصور التالية حافلة بالنصوص النقدية التي تنطلق وفق التصورات الإسلاميّة، لكنها لم تنل ما تستحق من عناية النقاد، وفي هذا السياق لا تخفى جهود الدكتور وليد قصّاب، فقد عمل لسنوات على خدمة ذلك النقد، بتقديمه مجموعة من الدراسات النقدية الجادة للنقد الأدبيّ الإسلاميّ في تراثنا النقدي، درَّس فيها كثيراً من تلك النصوص المبعثرة في مصادر التراث، وكلل جهوده ببعض تلك النصوص في كتاب[٥].

وتبدو الحاجة في الوقت الراهن إلى الاستفادة من النصوص المجموعة، إضافةً إلى جمع النصوص التي ما زالت قابعة في مصادرنا، ومن ثم تقديم دراسات جادّة عنها؛ تسهم في إيجاد نظرية أدبية نقدية عربية

إسلامية واضحة المعالم، مكتملة البناء، تعبّر عن أصالة أمتنا وتراثها. وهذا ما نصبو إليه جميعاً.

الرد على المعترضين وتفنيد حججهم:

منذ ظهور مصطلح الأدب الإسلاميّ على الساحة العربية والإسلاميّة وجد معارضة، وأثيرت حوله شبهات وتساؤلات، فمثلاً هناك من يعترض على وصف الأدب بالإسلاميّ، ويقول: إن هذا يستلزم أن يكون هناك أدب كفري. وهناك من يدعي أن الأدب الإسلاميّ بدعة معاصرة، ونظرته أحادية، وأنه يلغي الأدب العربي، وأنه أدب يُعلي من شأن المضمون على حساب الجوانب الفنية، ويتهمونه بالمباشرة، والتقريرية. وتتكرر مثل هذه الحجج، على الرغم من قيام النقد الأدبيّ الإسلاميّ بتفنيدها من خلال الكتب والبحوث والمقالات والندوات والحوارات[٦].

وفي هذا السياق أرى أننا بالغنا في تشتيت الجهود في الرد على تلك الشبه، ويفترض ألا نلتفت كثيراً لمثل هذه الآراء التي تصدر عن تعصب أعمى لكل ما يوصف بالإسلام، وهنا لا يمكن أن نُنكر أو نستبعد وجود طائفة من المعترضين تنشد الحقيقة، وواجبنا مواصلة العمل لإيصال الفكرة بصورة علمية دقيقة، والهداية من الله تعالى.

بيان الحكم الشرعي للشعر خاصة وللأدب عامة:

بما أننا نخضع كل ما في هذا الكون إلى حكم الشرع، كان لا بد من النظر في الموقف الشرعي من الأدب، والدراسات النقدية اتجهت بصورة خاصة إلى إبراز الموقف الشرعي من الشعر، وما ينطبق عليه يعمم على بقية الأجناس الأدبية. وفي هذا السياق يذكر قيام قسم البلاغة والنقد منهج الأدب الإسلاميّ في كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، بتسجيل مجموعة من رسائل الماجستير حول هذه القضية، منها ما أُنجز بالفعل، ومنها ما هو في طور الإنجاز، وتمثل ذلك في إفراد رسالة ماجستير لبيان موقف الشرع في كل غرض من الأغراض التالية: الغزل والمدح والهجاء والفخر. وهناك دراسات وبحوث عنيت بهذا الجانب، وأزالت ما علق في نفوس البعض، من تحريم الشعر، مستندين إلى فهم خاطئ للنصوص الدينية[٧].

تحديد الموقف من الأجناس الأدبية الحديثة، ووضع الأسس لأسلمتها:

د. عبدالرحمن رأفت الباشا

أثمرت جهود النقد الأدبيّ الإسلاميّ عن التأصيل للأجناس الأدبية، ووضع حدود ومعايير لها، لتكون متفقة مع التصورات الإسلاميّة: للكون والحياة والإنسان، وكان من ثمار هذه الجهود أن أصبح لدينا: قصة إسلامية، ورواية إسلامية، ومسرحية إسلامية، وغيرها من الأجناس الأدبية التي تمكن النقاد والأدباء أصحاب الاتجاه الإسلاميّ من استثمارها في نشر التصورات الإسلاميّة الصحيحة، وخدمة المجتمعات الإسلاميّة.

وبهذا ظهرت دراسات عدة لهذه الأجناس الأدبية، انطلقت في قراءتها للنصوص من منظور إسلاميّ، وأصبحت لها ملامح مضمونية وفنية تعبر عن خصوصية الرؤية التي تتبناها[٨].

دراسة قضايا معينة:

وذلك استجابة لما يثار من شبهٍ أو فهم خاطئ لبعض القضايا التي يثيرها بعض المخالفين، والإجابة عن بعض ما يطرح على الساحة الأدبية والنقدية من

قضايا، ومن ذلك: تحديد مفهوم الالتزام[٩]، وإبراز أثر الدين في الأدب[١٠]، والرد على الفهم الخاطئ لقول القاضي الجرجاني (ت ٣٦٦هـ): «والدين بمعزل عن الشعر»[١١]، تلك المقولة التي فهمت خطأً، واستدلوا بها على أن الدين لا سلطة له على الأدب، على الرغم من أن هناك بحوثاً أعدت للرد على هذه الرؤية[١٢].

وبهذا اتسمت نظرة النقد الأدبيّ الإسلاميّ بالواقعية، فواكبت ما يقدم من آراء حول بعض القضايا بصورة عملية، تمثلت في مقارعة الحجة بمثلها، وتقديم التصورات الإسلاميّة في إطارها الصحيح، بعيداً عن التشنج والحماسة غير المنضبطة.

◁◁ دراسة إبداعات الأدباء المسلمين:

وهذا الجانب من الجوانب التي عني بها النقد الأدبيّ الإسلاميّ، فأفردت الدراسات المستقلة المعنية بدراسة نتاج بعض الأدباء المسلمين القدماء[١٣] والمحدثين، ومن أكثر الأدباء المعاصرين الذين نالوا عناية النقد الأدبيّ الإسلاميّ: نجيب الكيلاني[١٤]، وعلي أحمد باكثير[١٥]، وغيرهما[١٦].

أنور الجندي

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو: هل ما قدم من دراسات نقدية عن الأدباء أصحاب الاتجاه الإسلاميّ يوازي ما قدموه؟ وأقدم نجيب الكيلاني (رحمه الله) أنموذجاً، على الرغم من أنه يعد من أكثر الذين نالوا عناية ذلك النقد.

بدايةً أُقرر أنه (رحمه الله تعالى) لم ينصفه النقد العربيّ عامة، فالتفت النقد الأدبيّ الإسلاميّ إلى تجربته، وأعطاه بعض ما يستحق من الاهتمام، لكنني أرى تجربته في ميدان الرواية خاصة، ما زالت بحاجة إلى مزيد من الدراسات، فهو بحقٍّ رائد الرواية الإسلاميّة. وهل نالت تجربة الشاعر عبد الرحمن العشماوي ما تستحق من المتابعة؟ وغيرهما كثير.

وأقول هنا: إن النقد الأدبيّ الإسلاميّ مقصِّر في هذا الجانب؛ فالدراسات النقدية التطبيقية لنتاج الأدباء أصحاب الاتجاه الإسلاميّ لم ترقَ بعدُ إلى ما نصبو إليه. والاهتمام الأكبر والجهود توجهت إلى الجوانب النظرية والرد على المعترضين، وأرى أنه ينبغي تجاوز هذه الأمور، والاتجاه إلى متابعة النتاج الأدبيّ الإسلاميّ القائم.

◁◁ نقد الأدب المخالف للتصورات الإسلاميّة:

عني النقد الأدبيّ الإسلاميّ بإبراز ما يحوي الأدب المخالف من مخالفات عقدية، وهذا جانب مهم، فلا يمكن أن يعيش النقد الأدبيّ الإسلاميّ بمعزل عن ذلك النتاج، وهذا الجانب لقي عناية واضحة من النقد الأدبيّ الإسلاميّ، ومن ذلك إصدار الدكتور عبد الرحمن العشماوي كتاباً عن جورجي زيدان، عنوانه: (وقفة مع جورجي زيدان)[١٧]، وفيه تتبَّع ما كتبه جورجي زيدان من روايات تاريخية أساءت إلى التاريخ الإسلاميّ. وكتاب (طه حسين: حياته وفكره في ميزان الإسلام) لأنور الجندي[١٨]، وفيه عرض الكاتب فكر طه حسين على التصورات الإسلاميّة الصحيحة. وكشف الدكتور عبد العظيم المطعني الرموز في رواية (أولاد حارتنا) لنجيب محفوظ، وذلك في كتابه (جوانيات الرموز المستعارة لكبار «أولاد حارتنا» أو نقض التاريخ الديني النبوي[١٩]. ووضع أحمد أبو زيد كتاباً للروايات الأدبية التي هاجمت الإسلام[٢٠]، وغيرها

من الجهود التي راجعت ذلك النتاج؛ مسلطةً الضوء على ما فيه من اعوجاج.

◁◁ نقد المناهج النقدية الحديثة، وإبراز ما فيها من مخالفات فكرية:

ومن المعلوم أننا نعتمد في نقدنا العربي الحديث على المناهج الغربية، وهذه المناهج كسائر ما يردنا من الغرب، فيها جوانب تخالف ثوابت أمتنا، وتصطدم معها؛ ومن هنا دعت الحاجة إلى النظر في تلك المناهج نظرةً فاحصة، تكشف عن مواطن الزلل فيها، لذا عمد بعض النقاد إلى تقديم قراءات نقدية فاحصة لتلك المناهج، مبرزين ما فيها من انحرافات عقدية وفنية، وفي هذا السياق برزت جهود مجموعة من النقاد الذين اهتموا بهذا الجانب، منهم: الدكتور عبد العزيز حمودة، والدكتور وليد قصّاب، والدكتور سعد أبو الرضا[٢١]، وغيرهم.

أما الحداثة فنالت نصيبها من هذه الجهود، فأُفردت لها الدراسات المستقلة، التي أبانت عمّا فيها من تصورات تصطدم مع ثوابت الأمة[٢٢].

◁◁ نقد المذاهب الأدبية الغربية، وإبراز ما فيها من مخالفات:

من الأمور التي لا يمكن تجاوزها تلاقح الثقافات والأفكار، والأدب ميدان خصب لذلك التلاقح،

الهوامش:

(١) منهج الفن الإسلاميّ: محمد قطب، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط٦ (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

(٢) في الأدب الإسلاميّ (قضاياه وفنونه ونماذج منه): د.محمد صالح الشنطي: ١٠٥، دار الأندلس – حائل، ط١ (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

(٣) ينظر: كتيب (تعريف رابطة الأدب الإسلاميّ العالمية)، ط٥ (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

(٤) ينظر على سبيل المثال: شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام حتى سنة ٢٣ هجرية: أيهم عباس حمودي القيسي، عالم الكتب – بيروت، ط١ (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

وَ: شعر جهاد الروم حتى نهاية القرن الرابع الهجري في موازين النقد الأدبي: د.عبد الله العريني، جامعة الإمام، (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

وَ: شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام: د.محمد علي الهرفي، دار الإصلاح.

وَ: من شعر الجهاد في العصر الحديث: د.عبد القدوس أبو صالح، ود.محمد رجب البيومي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١ (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

(٥) ينظر: النقد العربي القديم (نصوص في الاتجاه الإسلاميّ والخلقي): د.وليد قصّاب.

(٦) ينظر على سبيل المثال: إسلامية الأدب، لماذا وكيف: د.عبد الرحمن العشماوي، دار المعراج – الرياض، ط١ (١٤١٣هـ).

وَ: إشكالية الأدب الإسلاميّ (حوار لقرنٍ جديد): د.وليد قصّاب، ود.مرزوق بن تنباك، دار الفكر – دمشق، ط١ (٢٠٠٩م).

(٧) ينظر على سبيل المثال: شعر الغزل في ضوء منهج الأدب الإسلاميّ: دراسة نقدية: د.بدر المقبل، دار ابن الجوزي – الدمام، ط١ (١٤٢٨هـ). هذا الكتاب في الأصل رسالة ماجستير قُدمت إلى قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلاميّ– كلية اللغة العربية – جامعة الإمام.

(٨) ينظر على سبيل المثال: حول القصة الإسلاميّة: د.نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة – بيروت، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

وَ: تجربتي الذاتية في القصة الإسلاميّة: د.نجيب الكيلاني، دار ابن حزم – بيروت، ط١ (١٤١٢هـ/١٩٩١م).

وَ: دراسات في القصة الإسلاميّة المعاصرة: محمد حسن بريغش، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١ (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

وَ: الأدب الإسلاميّ والمسرح: د.سعد أبو الرضا، ط١ (١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م).

وَ: قراءات إسلامية في الأدب المسرحي: د.مصطفى بكري السيّد، نادي القصيم الأدبيّ – بريدة، (١٤٢١هـ).

(٩) ينظر على سبيل المثال: الالتزام الإسلاميّ في الأدب، وبحوث أخرى: د.محمد بن سعد بن حسين، مطابع الفرزدق – الرياض، ط١ (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

وَ: الالتزام الإسلاميّ في الشعر: د.ناصر بن عبد الرحمن الخنين.

(١٠) ينظر على سبيل المثال: أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية: د.محمد

ومنذ بداية عصر النهضة في أوروبا، نشأت المذاهب الأدبية، من كلاسيكية ورومانسية وواقعية (بل واقعيات متعددة)، ووجودية، وسريالية، وغيرها من المذاهب، وكان من الطبع انتقال أثر هذه المذاهب إلى بقية دول العالم، وبما أننا لا نعيش بمعزل عن الحراك العالمي، تأثر الأدب العربي بها، فبدت بعض نماذجه تقليداً ممجوجاً لتلك الآداب. وجعل النقدُ الأدبيّ الإسلاميّ مراجعةَ تلك المذاهب الوافدة جزءاً من اهتماماته، فظهرت الدراسات المستقلة التي نظرت إليها وفق التصورات الإسلاميّة، ومنها كتب الدكتور عبد الباسط بدر، والدكتور نجيب الكيلاني، والدكتور عبد الحميد بوزوينة، والدكتور وليد قصّاب[٢٣]، وغيرهم.

◁◁ الالتفات إلى آداب الشعوب الإسلاميّة:

انطلاقاً من عالمية الدين الإسلامي وشموليته، اتجه النقد الأدبيّ الإسلاميّ إلى آداب الشعوب الإسلاميّة، معرّفاً بها في الأوساط العربية، ومقيماً جسوراً من التواصل معها، وفي هذا المجال برزت جهود عدّة، ومن هذه الجهود ما اتجه إلى دراسة أديب معين مثل محمد إقبال[٢٤]، ومنها ما اتجه إلى تقديم دراسات مستقلة عملت على إبراز جهود الشعوب الإسلاميّة في ميدان الأدب[٢٥]. وقد نشرت مجلة الأدب الإسلامي عدة

عادل الهاشمي، مكتبة المنار – الأردن، ط١ (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

وَ: التأثير النفسي للإسلام في الشعر ودوره في عهد النبوة: د.عبد الرحيم محمود زلط، دار اللواء – الرياض، ط١ (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

(١١) ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي: ٦٤، دار القلم – بيروت، (د ت).

(١٢) ينظر: مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، بحث: اتجاهات النقد في تحديد موقف القاضي الجرجاني من العلاقة بين الدين والشعر، د.عبدالله بن صالح العريني، العدد الثالث والثلاثون، المحرم (١٤٢٢هـ).

(١٣) ينظر على سبيل المثال: عبد الله بن رواحة (رائد شعر الجهاد الإسلاميّ: حياته ودراسة شعره): د.محمد بن سعد الشويعر، كلية اللغة العربية، ندوة الأدب الإسلاميّ، (١٤٠٤ – ١٤٠٥هـ).

(١٤) يعد نجيب الكيلاني من أكثر الأدباء أصحاب الاتجاه الإسلاميّ استقطاباً للدراسات النقدية، ومنها: أعمال نجيب الكيلاني القصصية: د.عبد الله بن صالح العريني، من إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة – الرياض، ط١ (١٤٠٩هـ).

وَ: الواقعية الإسلاميّة في روايات نجيب الكيلاني: د.حلمي القاعود، دار البشير – عمّان، ط١ (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، في سلسلة إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمية برقم ١٣.

(١٥) من الدراسات التي أفردت لعلي باكثير: الاتجاه الإسلاميّ في آثار باكثير القصصية والمسرحية: د.عبد الرحمن العشماوي، من إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة – الرياض، ط١ (١٤٠٩هـ).

وَ: الالتزام في مسرح باكثير التاريخي: سحر حسن عبد القادر أشقر، نادي مكة الثقافي الأدبيّ – مكة المكرمة، ط١ (١٤٣٠هـ).

(١٦) ومن ذلك: الاتجاه الإسلاميّ في شعر محمد العيد الخليفة: د.محمد الربيع، مكتبة المعارف – الرياض، ط١ (١٤٠٦هـ/ ١٩٩٦م). وهو شاعر جزائري.

وَ: الاتجاه الإسلاميّ في شعر عدنان علي النحوي: ليلى عبده شبيلي: نادي جازان الأدبي، جازان، المملكة العربية السعودية، ط١ (١٤٢٨هـ).

(١٧) وقفة مع جورجي زيدان: د.عبد الرحمن بن صالح العشماوي: مكتبة العبيكان – الرياض، ط١ (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

(١٨) طه حسين: حياته وفكره في ميزان الإسلام: أنور الجندي، دار الاعتصام – مصر، (د ت).

(١٩) جوانيات الرموز المستعارة لكبار «أولاد حارتنا» أو نقض التاريخ الديني النبوي: د.عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة – مصر، ط١ (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

(٢٠) ينظر: الهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية: أحمد أبو زيد، كتاب دعوة الحق، رابطة العالم الإسلاميّ، السنة الثالثة عشرة، محرم ١٤١٥هـ – العدد ١٤٥.

دراسات عن آداب الشعوب الإسلامية، وعن عدد من شعرائها وأدبائها.

ويعبر هذا الاهتمام بجلاء عن النظرة الشمولية للنقد الأدبيّ الإسلاميّ، إذ تجاوز النظرات الإقليمية الضيقة، التي تحصر رؤية الأديب والناقد في محيطه الضيق، بحيث لا يتجاوز هموم دولته، وأحياناً مدينته أو قريته. إن العالم بكل ما فيه هو ميدان الأدب والنقد الإسلاميّين، حيثما يوجد إنسان مسلم يكنّ ذلك ميداناً لهما، بل يتجهان إلى الإنسانية كافة، لنشر الكلمة الطيبة التي هي رسالة هذه الأمة.

يمثل ما سبق جزءاً يسيراً من اهتمامات النقد الأدبيّ الإسلاميّ عبر أكثر من نصف قرن من الزمن تقريباً، ونتج عن هذه الاهتمامات قيام حركة نقدية مثّلت واقعاً ملموساً، له نقاده المتخصصون وقراؤه، فحضر هذا النقد في المؤتمرات والندوات والمحاضرات والملتقيات، وعبر وسائل الإعلام المختلفة، وحضر في أروقة بعض الجامعات، فسجلت الرسائل العلمية في مرحلتي: الماجستير والدكتوراه، وأصبحت مادة منهج الأدب الإسلاميّ مادةً ضمن مواد بعض الأقسام العلمية، وحضرت في اسم أحد الأقسام، وهو قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلاميّ التابع لكلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة. وما يحمله أنصار هذا الاتجاه المبارك أكبر من ذلك بكثير، فهي خطوة تتبعها خطوات، بإذنه تعالى ■

(٢١) برزت جهود عبد العزيز حمودة في نقد المناهج النقدية الحديثة في كتبه: المرايا المحدبة (من البنيوية إلى التفكيك)، المجلس الوطني للقافة والفنون والآداب – الكويت، عالم المعرفة (٢٣٢).

وَ: المرايا مقعرة (نحو نظرة نقدية عربية)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، عالم المعرفة (٢٧٢).

وَ: الخروج من التيه (دراسة في سلطة النص)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، عالم المعرفة (٢٩٨).

– وينظر: مناهج النقد الأدبيّ الحديث (رؤية إسلامية): د.وليد قصّاب، دار الفكر – دمشق، ط١ (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

– وينظر: النقد الأدبيّ الحديث (أسسه الجمالية ومناهجه المعاصرة): د.سعد أبو الرضا، (١٤٢٥هـ).

(٢٢) ينظر على سبيل المثال: تقويم نظرية الحداثة، وموقف الأدب الإسلاميّ منها: د.عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي، ط٢ (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

وَ: نقاد الحداثة وموت القارئ: د. عبد الحميد إبراهيم، نادي القصيم الأدبيّ – بريدة، ط١ (١٤١٥هـ).

وَ: الحداثة في الشعر العربي المعاصر: حقيقتها وقضاياها، رؤية فكرية وفنية: د.وليد قصّاب، دار القلم، دبي، ط(١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

(٢٣) ينظر: مذاهب الأدب الغربي (رؤية إسلامية): د.عبد الباسط بدر، الشعاع للنشر – الكويت/ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

وَ: الإسلاميّة والمذاهب الأدبية: د. نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة – بيروت، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

وَ: نظرية الأدب في ضوء الإسلام (القسم الثالث – الأدب والمذاهب الأدبية): د. عبد الحميد بوزوينة، دار البشير – الأردن، ط١ (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

وَ: المذاهب الأدبية الغربية (رؤية فكرية وفنية): د.وليد قصّاب، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١ (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

(٢٤) ينظر: الاتجاه الإسلاميّ في شعر محمد إقبال: د.صلاح الدين الندوي، الدار السلفية – بومباي – الهند، ط١ (١٤١١هـ/ ١٩٩١م). هذا الكتاب في الأصل رسالة دكتوراه قدمت إلى كلية اللغة العربية بالأزهر.

(٢٥) منها على سبيل المثال: من آداب الشعوب الإسلاميّة: د.محمد الربيع، نادي القصيم الأدبيّ – بريدة، ط١ (١٤١٥هـ). وأصدرت عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام سلسلة خاصة بآداب الشعوب الإسلاميّة، منها:

– الأدب السواحلي الإسلاميّ: د.محمد أبو عجل، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام – الرياض، (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).

– الأدب الأوزبكي الإسلاميّ: د.رستم غياث شاه موساروف، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام – الرياض، (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

سر الهوى..!

أحمد بشار بركات - سورية

وقالوا: أينَ أشعارٌ بها سِرُّ الهوى تَصِفُ
وتخبرنا عن العشّاقِ كم بقيودهِ رسفوا!
أجبت: لقد أجادوا - قبلُ - إذ أحواله وصفوا!
وعذريون أعلام، بغيرِ الحبِّ ما عرفوا!
فليس الحب أشعاراً بها التزويقُ والكلفُ
وليس الحبُّ في أثرٍ وفي طللٍ به نقفُ
ولست أراه كأس طلى، ومنه الخمر نرتشفُ
وما هو - بعدُ - أغنيةً فنسمعها وننصرفُ

* * *

ولكني أرى في الحب نبعاً منه نغترفُ
وبحراً زاخراً فيه إلى الأعماق ننجرفُ
وآمالاً وآلاماً وأحلاماً بها سرفُ
ويالعاشقين وكم على درب الهوى وقفوا!
وكم بالبدرِ قد سحروا وكم بجمالهِ شغفوا!
وكم في عشقهم هاموا! وكم جرحوا وكم نزفوا!
وكم من حرقةٍ وجوى، دموعَ عيونهم ذرفوا
شحوبُ وجوههم بادٍ، وأعصابٌ بها تلفُ
و إن أخفوا عواطفهم، فهذا العشقُ ينكشفُ

* * *

ورغم مرارةٍ وأسىً، أقاموا عنهُ ماعزفوا
وفي ساحِ الهوى ثبتوا، وعنها - قطُّ ما انحرفوا
وهذا الحبّ وحّدهمْ، فما يوماً به اختلفوا
مَشَوا في دربهِ قُدُماً، وعنه قطُ ما انعطفوا
على قلقٍ وفي أرقٍ، وذلٍّ، منهُ ما أنفُوا
وكم ظُلموا بحبهم، وما يوماً بهِ نُصِفوا!
على خوفٍ وفي أملٍ على أعتابهِ وقفوا
ولم يكُ عشقهم عاراً، ولا إثماً بهِ اقترفوا

* * *

ويبقى الحبّ مثل الروح سراً ليس يكتشفُ
و أبقى عاجزاً، وأنا بهذا العجزِ أعترفُ!

الصراع الحضاري بين الأنا والآخر

في رواية «عمر يظهر في القدس» لنجيب الكيلاني

بوحفص بوجمعة- الجزائر

بيئة الرواية:

إن البيئة التي تكتنف أحداث رواية «عمر يظهر في القدس» هي أرض الأنبياء فلسطين، لكنها اليوم استبدلت بهم قتلة الأنبياء والأبرياء، وأصبحت مصطرع حضارتين؛ حضارة عربية إسلامية أصيلة، لكنها مهزومة، وحضارة غربية ملطخة باليهودية، غير أنها متسلطة. في هذه البيئة الهجين «بقية من سكينة تحت شجرة وارفة أوى إلى ظلها فدائي آثر المؤلف أن يغفل اسمه»[1]. وفيها كثير من الصخب والزحام والضجيج، ترسله سيارات الأرض وطيارات السماء. فيها نساء سوافر، حواسر، يسرحن بين الرجال متبرجات، وخمر تشرب جهرة، وفواحش تؤتى علانية، يرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعين الدهشة ذلك كله، فيقول: «عادت الجاهلية كأعنف وأخبث ما يمكن»[2]. ويرى فتى يهوديا يقبل صاحبته، فتثور ثائرته، ويقول: «الآن عرفت سبب انتصار اليهود عليكم، الخوف يلد الرذيلة، والهزيمة تمسخ

ضعفاء الإيمان. إن من يتعود التقاط الفتات من موائد الأغنياء تسحره كلماتهم وفكرهم وسلوكهم، ويحاول أن يقلدهم، وفي التقليد الأعمى فناء العقل والروح، هكذا يتحول السادة إلى عبيد»[٣].

ومن يتفحص عناصر البيئة، وبراعة الكاتب في رسمها، وتطويعها لأغراضه الفكرية والفنية يدرك أنها لم تقحم في بناء الرواية، بل وضعت تحت سمع عمر وبصره لتفجر سخطه، وتحمله على رفض الغثاء الذي حملته أمواج الغزو، وألقته على شواطئ فلسطين. وتدعوه إلى نفض الغبار والأدران التي ألقتها على أرضنا كلها رياح الغرب الهوجاء لطمس جذورنا واقتلاعنا من منابتنا الأصيلة.

◁◁ أحداثها:

إن أبرز أحداث القصة ظهور عمر الفجائي أمام فدائي يأوي إلى ظل شجرة، على نحو عجيب يشبه المعجزة أو الكرامة الربانية، وتعليل ظهوره الغريب هذا بعلة غيبية مستمدة من قدرة الله على إحياء الموتى، ودخول عمر القدس بلا جواز سفر، وسجنه مع الفدائي الذي تجلى له إثر انفجارات هي بتدبيرهما، وتبرئتهما بعد ذلك، ودخول عمر المستشفى لاستئصال الزائدة الدودية، واختلاف الأطباء المسلمين في حقيقة هذا الوافد عليهم من التاريخ السحيق؛ فوهيب عبد الله المادي الجدلي الرافض للغيب ينكر الحادثة، وعبد الوهاب السعداوي الصادق الإيمان بالله وبالغيب يقول لعمر: «يا حبيب رسول الله! كنت دائما أقول: نحن في حاجة إلى رجل مثلك، إلى الإيمان الممتزج بالنصر»[٤]. وآخر الأحداث البارزة اختفاء عمر على نحو مفاجئ أيضا حير أطباء المستشفى مؤمنهم وجاحدهم.

تضاف إلى هذه الأحداث المحورية حادثة طريفة، وهي ميل الفتاة اليهودية (راشيل) إلى عمر، وتطور الميل إلى الحب، والحب إلى الإيمان بالإسلام، وعدم اكتراثها باضطهاد الموساد وغضب الوالدين، وتهافت أجهزة الإعلام المسعورة للاتجار بقصتها وفجيعة فتاها (إيلي) بحبه القديم، منذ أن ظهر هذا العربي الذي لا يعرف الناس حقيقته. ومع ذلك أحبته راشيل، وآمنت بدينه إيمانا أغضب المؤسسة العسكرية الحاكمة، فدبرت قتلها خفية، وموتها الغامض الذي أعلن أنه موت مقدر لا اغتيال مدبر، بغض الحياة إلى (إيلي)، وحبب إليه اللحاق بصاحبته، «وفي مساء اليوم الذي دفنت فيه راشيل وجد (إيلي) منتحرا في حجرة نومه»[٥].

د. نجيب الكيلاني

◁◁ موضوع القصة وهدفها:

إن موضوع رواية «عمر يظهر في القدس» هو معالجة النتائج التي نجمت عن نكسة حزيران سنة ١٩٦٧م، وهدفها هو بعث الروح في أوصال الأمة العربية الإسلامية بعدما أذهلتها الهزيمة. فمن المعروف أن نكبة ١٩٤٨م كانت ضربة شديدة الوطء، غير أن نكسة سنة ١٩٦٧م كانت أدهى وأعتى، لأن الأولى وقعت والبلاد العربية الإسلامية

كلها أو أغلبها كانت تحت وطأة الاحتلال، أما الثانية فقد وقعت بعد استقلال الشعوب العربية الإسلامية، وتجهيز الجيوش وظهور زعماء وخطباء جعلوا همهم وهدفهم تحرير فلسطين، لذلك حينما وقعت الواقعة، وهوت الآمال المحلقة من سماء الكبرياء إلى حضيض الإخفاق؛ صعق الناس وذهلوا وغشيهم اليأس، ولما أفاقوا من الصدمة وجدوا الساسة يحللون ويعللون، وراح الأدباء يكتبون، والشعراء يؤنبون!.

أما في رواية نجيب الكيلاني «عمر يظهر في القدس» فقد أرجع الكاتب سبب النكسة إلى غلطة كبيرة ومعصية جاحدة، تتمثلان في تنكر الفروع للأصول، وعقوق الأحفاد للأجداد، فكان الهدف الأول والأخير من القصة ربط الأمة بجذورها في العقيدة والتفكير، ثم في البناء والمسلك والعمل. ومتى آمن المسلم بأنه يعبد الله الذي لا شريك له، المتفرد بالقدرة على الخلق، أحس أن قوته مستمدة من قوة الله. وهذا الإحساس النابع من الإيمان يحمله على الثقة المطلقة بأن نصر الله وعد إلهي، وبأن ضعف المسلمين وهزيمتهم هما ضعف إيمان لا ضعف أبدان، وهزيمة أرواح لا هزيمة سلاح!. يقول عمر للفدائي: «أنتم لا تعرفون الله، (إن تنصروا الله ينصركم)». قول لا يتبدل لأنه كلمات الحق الأعلى»[٦]. وأسوأ ما يسوء عمر سلوك علماء المسلمين الذين دجنهم الاحتلال، وروضهم حكام الأرض حتى تحولوا إلى ألسنة تنطق بما يرضي الحكام الصغار، ولو أغضبوا أحكم الحاكمين. فليس من المستغرب إذن أن يزدري عمر هؤلاء العلماء، وأن يكبر المجاهدين، ولأن الجهاد هو المطلب الأول للأمة، وليس الأوراد، لذلك يقول عمر في إطراء الفدائيين: «هم بقية الخير في دنياكم،

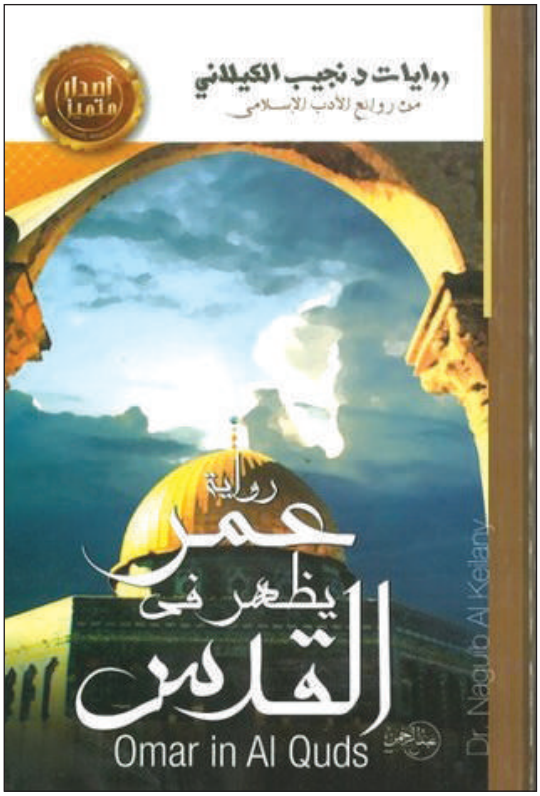

قد يكون هؤلاء المسلمين الذين لم أجد لهم ريحا في الشوارع والمساجد»[٧]. فيجيبه الفدائي: «هم يعيشون هناك... في الأغوار وعلى قمم الجبال.. قد باعوا أنفسهم إلى الله.. »[٨].

ولقد ساء عمر أن يرى مرافقه الفلسطيني يأكل فيكثر، فأخذ يهذبه قائلا: «إن ربع ما أكلته يكفيك.. ألا تلاحظ أنه إذا امتلأت معدتك فإن أعضاءك تسترخي، فتلوذ بالكسل، وتخلد إلى النوم.. وأنتم تحاربون»[٩]. وغضب لما رأى بأن المسلمين أصيبوا بعدوى المجاهرة بالفواحش.

وقد عجب من فرقة المجتمع الواحد وتشرذمه، ومن انقسام الدولة الإسلامية إلى دول، مع أن كل مسوغات التوحيد والالتحام تدعوها إلى الوئام، فيقول: «لم لا تحطمون هذه القيود والسدود؟

امتزجوا، تآخوا، ودوسوا الأسلاك الشائكة التي تفصل بينكم، واحفروا قبرا لكل بادرة من بوادر التفرقة. »[١٠]. ولاشك في أن أعظم المسوغات وأعرقها وحدة العقيدة، وأن أحدثها وأقربها إلى الواقع اغتصاب فلسطين التي فرط بها المسلمون في العصر الحديث.

شخصياتها:

لقد سميت هذه القصة باسم أبرز شخصية فيها وهي شخصية الفاروق عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- من أعظم من أنجب الإسلام، وما يدل على ذلك أن الكاتب لم يقرن اسم (عمر) بما يعينه، فلم يذكر في عنوان القصة (الفاروق) ولا (أمير المؤمنين) ولا(ابن الخطاب)، ولم يضف على اسمه نعتا من النعوت يميزه عن غيره ممن يحملون هذا الاسم، وقد ينازعونه شرف هذا العنوان كعمر بن عبد العزيز أو عمر المختار. فقد ذكر اسم (عمر) وأغفل ما سوى هذا اللفظ من الألقاب والنعوت والأنساب لثقته بأن هذا اللفظ كاف ليكون عنوانا على القصة، فيعرف القراء من خلاله المضمون من هذه الكلمة... وتنطوي القصة على مجموعة من الشخصيات الأخرى العربية واليهودية، ومن هذه الشخصيات الفدائي الفلسطيني الذي تجلى له عمر، وقد أغفل المؤلف اسمه عمدا، ليكون رمزا للحركة الفدائية العاملة بصدق في السر. ومنها الطبيب المتشبع بالفكر الماركسي وهيب عبد الله، والطبيب المسلم عبد الوهاب السعداوي، وهما يمثلان التناقضات السياسية والاجتماعية في تركيب المجتمع العربي.

ومن أبرز الشخصيات اليهودية الشابان العاشقان (إيلي) و(راشيل)، ومجموعة من رجال المخابرات الصهيونية (الموساد)، يضاف إلى هؤلاء جميعا شخصيات من العرب واليهود لعبت أدوارا ثانوية. والجدير بالذكر أن شخصية (راشيل) تعد من أبرز الشخصيات بعد شخصية عمر، وهي الفتاة اليهودية الشرقية اللعوب في أول القصة، المؤمنة بالإسلام في آخرها، فقد سحرها عمر بصدقه وعمقه وصراحته وجرأته، فأعرضت عن عشيقها (إيلي) المستهتر، ومالت إلى عمر، ثم انقلب الميل العارض إلى دائم، وتحولت عاطفتها من حب الأنثى للرجولة المكتملة، إلى البحث عن الطمأنينة الروحية في ظلال الإيمان بالإسلام، وبذلك تصبح ضحية من ضحايا الموساد، فيقول عنها ضابط الأمن الكبير لرفاقه: «راشيل جرثومة فساد في مجتمعنا الإسرائيلي، لا خلاص منها إلا بالموت.. أجل.. الموت... هؤلاء اليهود الشرقيون حقراء... »[١١]. وبعد موتها تخادع (الموساد) اليهود، وتجعل منها بطلة من أبطال إسرائيل، «ومن الغريب أن تصدر عشرات الكتب والقصائد والمسرحيات عن راشيل، وجميع الكتاب يؤكدون أنها كانت فتاة إسرائيل المخلصة المضحية، التي حمت شعبها من أخطار خارجية مؤكدة، ... كما أطلق اسمها على إحدى المستعمرات المزمع إنشاؤها في هضبة الجولان!»[١٢].

حضارة الأنا/ المسلم:

إن الحديث عن حضارة الأنا -المسلم الحقيقي- الإسلامية في رواية نجيب الكيلاني لا ينبغي أن يتصوره القارئ على أنه من قبيل الذي حفظه سجل التاريخ وطواه، إنما حضارة الإسلام معاصرة دائما ودوما، وعناصر القوة والأصالة في هذه الحضارة مستمدة من الدين الإسلامي الحنيف، والملاحظ أن الحضارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فرضت نفسها عقليا ووجدانيا على الشعوب التي احتوتها، مما أدى بالكاتب إلى

استظهار هذه الفترة من عصر النبوة والصحابة خاصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولهذا نجد أن أول مظهر من مظاهر الحضارة الإسلامية هو العقيدة، ومنها تستمد اسمها «فقد حقق الإسلام قفزة نوعية وتحولا فكريا جذريا في جانب آخر من جوانب الفكر العربي والإنساني، مستوعبا ما قبله مضيفا إليه، وذلك في ميدان التوحيد، فقد دفع الإسلام بفكرة الوحدة الإلهية والتنزيه الإلهي خطوات واسعة إلى الأمام»[١٣].

فها هو الأنا (المسلم الحقيقي) (الغائب) عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يحث على التمسك بالفرائض وتعاليم الدين الإسلامي التي تنظم العلاقات بين الناس، وتحفظ حقوق وواجبات الأفراد، ويظهر ذلك من خلال تأنيبه للأنا (الراوي) أو المسلم المزيف (الحاضر) على عدم رده السلام الذي يعد فرضا في الإسلام فيقول: «فرض عليك أن ترد السلام على من يقرؤك السلام»[١٤].

وتزخر الرواية بضروب من النقد الحضاري لواقع العالم الإسلامي في حضارة الأنا، وإن كانت هي أيضا حضارة إسلامية، غير أن الإشكالية تكمن في معالم شخصية المسلم المزيف الذي أصبح لا يختلف عن اليهودي والمسيحي في سلوكه وأخلاقه وتصوراته، حيث إنه صار ينظر للإسلام على أنه مجموعة من التقاليد جوفاء يقوم بها دون وعي، حتى مفهومه للحرية والعدالة قد تغير بفعل التشويه والتخدير والقهر الذي يمارسه ضده اليهودي بصورة مباشرة أو غير مباشرة. وعلى الرغم من كل هذا فلم يفقد المسلم المزيف (الحاضر) الأمل في تحرره يوما من الأيام، ويظهر ذلك صراحة فيما نشاهده في بيت الأنا المزيف (الراوي) وبالضبط في حجرته «و على حيطانه المطلية بالجص الأزرق الخفيف عدد من الصور أهمها صورة أبي الشهيد، وتقويم للشهور العربية والإفرنجية، وخريطة لفلسطين الماضي، ولافتة مكتوب عليها بخط كبير (الله)، وساعة حائط»[١٥].

ومن الانتقادات التي وجهها الأنا الحقيقي(عمر ابن الخطاب) رضي الله عنه إلى الأنا المزيف (الراوي) ما تعلق بالتناقض بين المظهر والجوهر في حياة المسلمين المعاصرين، فيقول: «مساجدكم ضخمة، يروع الناظر رونقها ونظافتها، ومنابركم عالية مزينة بالزخارف والألوان الوقورة، والثريات المدلاة من السقف تفوق ثريات قصور كسرى وقيصر.. وازدحام العباد يروع البصر، وتجيدون تجويد القرآن... لكنكم في الحضيض... تناقض مذهل!!».

ومع ذلك فعمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يخفي إعجابه ببعض مظاهر حضارة هذا الزمن؛ فهو لا يرفض أن يتقدم ويرتقي تفكير المسلم بفضل العلم، ويسخر ذلك في تطوير وسائل الحياة، «وأبدى عمر سروره لهذا الاختراع العجيب، وازداد عجبه حينما علم أن آلة الطباعة تستطيع أن تخرج عشرات الألوف من النسخ في وقت قصير ». ومع ذلك فهو يشترط أن يكون هذا الرقي أساسه الأول والأخير العقيدة الإسلامية وعليه تكون الهوية الحضارية الإسلامية، أساسا لشخصية المسلم الحقيقي ،وعاملا مساعدا على الاستقلال وعدم الذوبان في الآخر، وهو ما أكده أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حينما سأله الجندي الإسرائيلي عن هويته:

– «وأنت أين هويتك؟فأجابه:

– بلا هوية.. أنا معروف.. لا بد أن أمر.. ».

كما أبدى عمر رضي الله عنه بعض الملاحظات على جانب آخر من حياة المسلمين، وهو جانب

المعاملات حيث عاب عليهم صفات منها: التبذير والإسراف، «وأبدى إعجابه بالنظافة والماء الوافر، وشرب جرعات منه، ولم يخف رضاه عن مذاقه المستساغ، لكنه انتقد بشدة ذلك التبذير في استعمال المـاء»[١٦]. وعـاب عليهم أيضا البذخ والزخـارف في العمران ولو كان ذلك في بيوت الله خاصة وهو في حرب مع العدو الصهيوني، لأن على المسلم أن يعطي الأمـور أولويتها في الترتيب، «وتحسس السجاد الفاخر، ونظر إلى الثريات الكبيرة، واللمبات الكهربائية الضخمة، بدا له أن ذلك نوع من البذخ لا مبرر له، وخاصة في وقت حرب كهذا الـوقت»[١٧]. ولم تعجبه سلوكيات بعض المصلين داخل المسجد، مثل تخطي الرقاب، وشق الصفوف، وعدم الاكتراث لصدى الكلمة، «ودهش إذ رأى البعض لا يكترث لكلماته، ويصر على تخطي الـرقـاب»[١٨]. غير أن عمر رضي الله عنه أبدى إعجابا شديدا بكثرة المصلين وتوافدهم على المساجد.

أما الشيء الذي هزّ عمر رضي الله عنه في تأثر فهو سماع القرآن الكريم دون تحريف ولا تبديل، «وكان تأثره ممزوجا بسعادة كبرى فهو يسمع القرآن دون تحريف ولا تبديل، كما نزل على سيد الأنام محمد بن عبد الله»[١٩].

إن شخصية عمر رضي الله عنه اكتملت في مدرسة النبوة، خلف وراءه تاريخا عريقا يشهد له بالعدل والصرامة، وعن ذلك يقول الفدائي: «تحـدثت مئـات الكتب عـن شجـاعتك، وعدلك وزهـدك وبعد نظرك، وعزوفك عن الدنيا وزيفها وبريقها، كنت أروع مثل في رحاب التاريخ.. »[٢٠]. فمن خلال كلام الفدائي يدرك عمر رضي الله عنه بأن شخصه الفذ لا يزال حيا لدى الكثير، فأبدى سروره، مبينا بأنه إنسان بسيط عاش لربه دائما وأبـدا، مؤديا لرسالته، منسجما مع أبناء جلدته، حيث يقول في تواضع: «حاشا لله، لم أكن امرأ بالغ السمو والعفة، كنت بشرا بكل ما تحمله كلمة بشر من معان، وكان هنـاك عشرات الألوف من المسلمين لا يَقِلُّون عن عمر ورعا وتقوى إن لم يفوقوه شجاعة وعدلا وإيمانا»[٢١].

فالكلمة عند الرسول صلى الله عليه وسلم كانت بمثابة القوة الموجهة للحياة، ومعين المسلم على تطهير النفس من الجبن والخوف، وتعويده الشجاعة والصرامة، ويظهر هذا في الرواية من خلال موقف الآخـر /اليهودي المتمثل في الفتاة (راشيل) التي أثـرت فيها الكلمة، حيث تعلقت بعمر رضي الله عنه لصراحته وصرامته وجرأته، وأعرضت عن فتاها المغرور (إيلي). ويظهر ذلك بوضوح في قولها

للخليفة:«لا تشك في أمري، لقد ارتديت زيا يليق، أعرف أنك ممن يرفضون تبرج النساء... أيها الشيخ أنت لا تعرف مدى ما أثرته فيّ من فضول.. »[٢٢]. فتحولت عاطفتها من حب الأنثى للرجولة المكتملة إلى البحث عن طمأنينة الروح في ظلال الإيمان بالإسلام، حيث «أخذت تبكي وتنتفض من بين دموعها، ثم تؤكد أنها لن تستطيع أن تعيش بعد اليوم بعيدة عن الخليفة، فهي ستسير وراءه أينما يذهب وتتعلق بأذيال ثوبه... »[٢٣]. وبعد الاضطراب النفسي تتحول (راشيل) إلى مؤمنة بدين الإسلام، وصارت من أتباع الخليفة عمر رضي الله عنه تردد كلماته في كل مكان، «كنت لا أستطيع أن أصدق ما تقع عليه عيناي، أو تسمعه أذناي، و(راشيل) تردد الشهادتين في صدق لا شك فيه»[٢٤]. وقد سر ذلك عمر رضي الله عنه «ورأيت الرضا والفرح يكللان وجه أمير المؤمنين»[٢٥]. وفي هذا أعظم دليل على مدى تأثير الكلمة في النفس البشرية.

حضارة الآخر/اليهودي:

لقد كان للتقدم المذهل الذي وضع في يدي الآخر إمكانية تشكيل العالم وإعادة ترتيبه بما يتناسب مع مصالحه الذاتية، ولاسيما من خلال وسائل الاتصال الحديثة التي عملت على التشكيك بأهمية القيم السائدة، بل عملت على نسفها باعتبارها قيما بالية لا تتماشى والتقدم والرقي؛ وأولى هذه القيم هي العقيدة التي يفتقد إليها الآخر/اليهودي، إذ إن التوراة قد أخضعت للتحريف والتزييف من طرف اليهود القدامى، «لكن أين التوراة الحقيقية؟ لقد أضاعها أحباركم، ثم مسخوا كلمات الله، واخترعوا أقوالا ما أنزلها الله، (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ، ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ)، ولم ينج الإنجيل كذلك من العبث وأهواء المنحرفين»[٢٦]. ليس هذا فحسب، بل إنهم لا يؤمنون بالتوراة إلا بما يخدم مصالحهم الشخصية الضيقة، فهذه الفتاة اليهودية (راشيل) تقول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا أشعر بقيد واحد من قيود الدين، كل ما يهمني من التوراة أنها تجاوبت مع آمالنا السياسية في الوطن والخلاص... وماعدا ذلك فلا أؤمن بشيء.. »[٢٧]. وعليه فإنه إذا لم تكن هناك عقيدة تنظم حياة هذا الآخر/اليهودي فإنه لا توجد أيضا قيم أخلاقية سوية تربط بين أفراد هذا المجتمع، وهذا ما يظهر في مشهد اليهوديين(راشيل) و(إيلي) اللذين يمارسان طقوس الحب على مرأى

من الناس دون خجل ولا حياء، وقد أبصرهما عمر رضي الله عنه فلم يعجب من ذلك لأنه يعرف طبائع اليهود وسلوكياتهم، فقال: «يهوديان؟؟ لم تتغير طبائعهم منذ قديم الزمان، كانوا بالأمس يستترون في بيوت الدعارة والمجون، واليوم ينشرون فسقهم علانية...»[٢٨].

نظرة الأنا للآخر:

إن نظرة الأنا للآخر تتضمن كثيرا من التراكمات التي يثيرها الآخر في وعينا ولا وعينا على حد سواء، وهي في مجملها تخوفات من ردود أفعال الذوات الأخرى، والتي هي أيضا لا تعدو أن تكون استجابات للمواقف التي يتعرضون لها. وقد تجسدت هذه النظرة للآخر في الأشكال الأدبية والأجناس التعبيرية كالقصة والرواية، وأدب الأطفال على وجه الخصوص؛ لذلك فإن الخطاب الروائي يشكل ميدانا خصبا يختزن كثيرا من الصور التي كونها الأنا حول الآخر أو العكس. وهذا ينطبق بشكل أساسي على الصراع العربي /الإسرائيلي بكل متناقضاته على مستوى الثقافة والاجتماع والسياسة واللغة والدين.

إن اليهود عبر تاريخهم الطويل «لم يستطيعوا تكوين كيان موحد بل ظلوا على مر الأزمان أمة متعددة العناصر، تعصف بها التبدلات والتغيرات،وتستقي من منابع ثقافية متعددة، ومختلفة، باستثناء الدين الذي يوحدها ويجمعها منذ الشتات الأكبر في عهد موسى وهارون عليهما السلام... إلا أن كل واحد منا يحمل في ذاكرته المتجذرة صورة عن اليهودي، والتي تمارس ضغطا على وعينا ولا وعينا في الآن ذاته، ولا نستطيع التخلص من هذا الانجذاب/التنافر الذي تحدثه هذه الصورة وإن أردنا ذلك وسعينا إليه سعيا؛ فهناك اليهودي/الإسرائيلي الذي نجده في مواجهتنا، وهناك اليهودي المفترض على استعداد عجيب للحوار، وهناك أخيرا اليهودي/الصهيوني الفاعل المقنع بالقوة والتقنية والذي يعمل على تدجيننا وإهانتنا... »[٢٩].

إن الآخر/اليهودي يشكل العدو الذي يمارس شتى صنوف القهر والاضطهاد والتعسف، هذا العدو الذي يجبر الفلسطينيين على الرحيل وترك أراضيهم وممتلكاتهم بهدف تهويد الأرض الفلسطينية وإقامة المزيد من المستوطنات فيها، وقد مارس الصهاينة جميع صنوف الضغوط على الفلسطينيين من مصادرة للأراضي، واعتقال وتعذيب وقتل وإبادة وتهجير وحصار، وهذا ما تجسده رواية «عمر يظهر في القدس»، حيث يؤكد الأنا/ الراوي هذه الحقيقة منذ بداية الرواية، فيقول: «لقد أصبحت هذه الأمور كلها بمرور الوقت أمرا طبيعيا في حياتنا، نحن جيل الضياع والأحزان يا أماه، أيام الذل مزرعة خصبة للآلام والأحزان، وسنوات الهوان الطويلة لم تتفجر عن فجر يبدد الظلام والوجوم، وتمادى العدو في طغيانه وعيثه وغروره دون أن نستطيع الثأر منه، يشعرني بعجز قاتل، ويعصف بالأحلام الخضراء... »[٣٠].

ويمكن تلخيص موقف الأنا/ المسلم الحقيقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الآخر/ اليهودي من خلال قول الراوي حين سأل الضابط اليهودي عن موقف عمر منهم: «رأيه سيئ بالنسبة لكم وللدول العربية عموما. العالم كله في نظره يعاني من جاهلية سوداء، ويغوص في مستنقع من الإثم، ويعتوره الزيف والفساد»[٣١].

نظرة الآخر للأنا:

إن علاقة الأنا بالآخر تظل متجددة باستمرار، فهي تحيل إلى غزو الآخر الكافر لدار الإسلام،

وتمثل في الآن نفسه رد فعل الآخر واستعادته لما ضاع منه من ملك وسيادة جزاء اتساع رقعة الأنا/ الإسلامي، أو هي الاستعمار الأوروبي الحديث وما تسببه الغزو الغربي من صراع ديني وحضاري، وهو ما انتهى إلى غزو الصهيونية لفلسطين وبعض الأراضي العربية باعتبارها امتدادا للإمبريالية.

فالآخر/الغربي أو الصهيوني خاصة قد ولد قاموسا من الصور النمطية عن الإسلام والمسلمين والعرب منذ الحملة الصليبية إلى الآن لم تتغير،

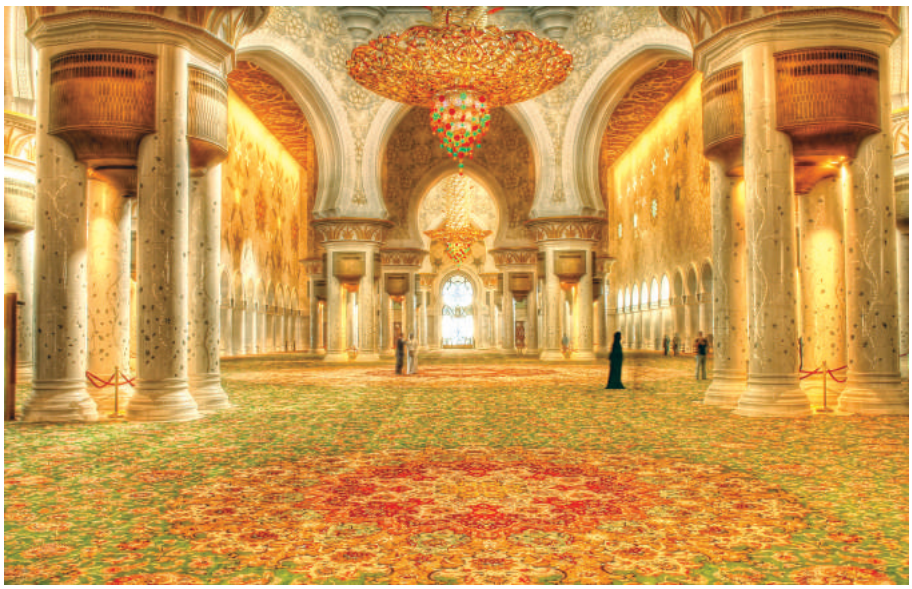

على الرغم من تبدل العلاقة التي تربط بين الأنا / العربي، والآخر/ الغربي اقتصاديا وثقافيا، والمستوى الحضاري الذي تعرفه الشعوب في التعامل مع الآخر.

هذه الصورة فيها الكثير من التشويه والتشويش أساسها النظرة الاستعلائية العنصرية، وهي نظرة تهدف إلى تسويغ العدوان وتبرير الدفاع عن الذات. ومع ذلك تبقى صورة المسلم الحقيقي صورة ناصعة لا تدنسها قذارة اليهود، بل هي صورة جميلة ينجذب إليها الآخر نفسه، وهذا ما حصل للفتاة اليهودية (راشيل) مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه تلك الفتاة التي اختيرت أصلا ووضعت في طريقه من أجل تغييب الحقيقة وتشويه سمعته عبر وسائل الإعلام، لكنهم لم يفلحوا، فقد انقلب السحر على الساحر كما يقال فقد تغيرت نظرة الفتاة (راشيل) إلى الخليفة، وتحولت من نظرة الاستهزاء والاستخفاف إلى الإعجاب والتقدير، وهذا بسبب بروز صفات ومعالم المسلم الحقيقي (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه من خلال تصاعد وتنامي الصراع بينه وبين اليهود، وقد اعترفت بذلك أمام صديقها اليهودي (إيلي): «كان حلو النظرة، واثق الكلمات محلقا بأفكاره كالنسر الجارح... تذيبني حركاته وإشاراته، بسيطا في ذكاء، متواضعا في رفعة، خاليا من عقد العصر ونقائضه... »[٣٢].

وبذلك أصبحت «راشيل» الفتاة اليهودية الماجنة من أتباع الخليفة بعد أن أسلمت بين يديه مرددة الشهادتين: « كنت لا أستطيع أن أصدق ما تقع عليه عيناي، أو تسمعه أذناي، وراشيل ترتل الشهادتين في صدق لا شك فيه، ورأيت الرضا والفرح يكللان وجه أمير المؤمنين»[٣٣].

و في جانب آخر وعلى النقيض مما رأينا يمكن من خلال الرواية نفسها الكشف عن صورة الأنا/ المسلم الحقيقي عند رجال الدين المسيحيين، وهي صورة مخالفة لنظرة رجال السياسة: «... أما

أحد القساوسة في كنيسة القيامة فقد علق: (أنا أحترم عمر، ولا أشك في نظافته، إنني لا أتفق معه في العقيدة لكنه إنسان كبير رفض طلب البطريق حينما كان بالكنيسة وقت الأذان، أبى أن يصلي بها احتراما لمشاعرنا، وخرج ليصلي خارجها... كان شديدا في تسامح، وكان يعامل المرأة طوال تاريخه بحزم وعدل.. لم يفكر في يوم من الأيام أن يبيع آخرته أو يفرط في دينه.. شيء متفق عليه... كذب الصحف لا يحتاج لتفنيد لكل ذي عينين»[٣٤].

هذه بوجه عام نظرة الآخر/ اليهودي إلى الأنا/المسلم الحقيقي الغائب والمتمثل في شخصية عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الذي صار يهدد وجوده على خلاف الأنا/المسلم المزيف الحاضر والمتمثل في شخصية الراوي، وهو الذي لا يعرف من الإسلام غير المظاهر والشعائر والطقوس، ولا يفهم من إيمانه غير النطق بالشهادتين، وهو الأمر الذي جعل الأنا/المسلم الحقيقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبدي استنكاره الشديد من الوضع المأساوي الذي آل إليه مسلمو هذا العصر، حيث يخاطب الراوي في أسف: «الآن عرفت سبب انتصار اليهود عليكم، ونشرهم الفجور بين ظهرانيكم، الخوف يلد الرذيلة، والهزيمة تمسخ ضعفاء الإيمان... أنتم جياع برغم رصيدكم الضخم من الزاد.. تدقون الأبواب الصلدة في بله، ولو بحثتم عن المفاتيح لتفتح أمامكم باب النعيم الأبدي..»[٣٥].

فهل يجدي هذا التأنيب لإيقاظ المسلم المزيف من سباته العميق ورده إلى رشده لينتبه إلى وضعه ،ويواجه الغزو الذي يمارسه ضده الآخر/ الصهيوني الحاقد؟!■

الهوامش:

١ الكيلاني ، نجيب، عمر يظهر في القدس، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ/١٩٨١ م، ص٩.
٢ المصدر نفسه، ص ٢٤.
٣ المصدر نفسه، ص ٢٥.
٤ المصدر نفسه، ص ١٠٥.
٥ المصدر نفسه، ص ٢٦١.
٦ المصدر نفسه، ص١٧.
٧ المصدر نفسه، ص ١٠٠.
٨ المصدر نفسه، ص ٤٠.
٩ المصدر نفسه، ص ٥٥-٥٦.
١٠ المصدر نفسه، ص ٧٣.
١١ المصدر نفسه، ص ٢٦١.
١٢ المصدر نفسه، ص ٢٦٢.
١٣ زيادة ، معن، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ١١٥ ذو القعدة ١٤٠٧ هـ، يوليو/ تموز١٩٨٧م، ص ٩٧.
١٤ الكيلاني ، نجيب، عمر يظهر في القدس، ص ١٠.
١٥ المصدر نفسه، ص ٤٨-٤٩.
١٦ المصدر نفسه، ص٣٢.
١٧ المصدر نفسه، ص٣٣.
١٨ المصدر نفسه، ص ٣٢.
١٩ المصدر نفسه، ص ٣٣.
٢٠ المصدر نفسه، ص ٥٣.
٢١ المصدر نفسه، ص ٥٣.
٢٢ الكيلاني ، نجيب، عمر يظهر في القدس، ص٨٣ - ٨٤.
٢٣ المصدر نفسه، ص١٢١.
٢٤ المصدر نفسه، ص١٢٣ - ١٢٤.
٢٥ المصدر نفسه، ص١٢٤.
٢٦ المصدر نفسه، ص ٨٦.
٢٧ المصدر نفسه، ص٨٥.
٢٨ المصدر نفسه ، ص٢١.
٢٩ شرشار ، عبد القادر، بناء الآخر في أدبيات الصراع العربي / الإسرائيلي، مجلة الموقف الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد٣٧٠، سبتمبر ٢٠٠٢. عنوان الموقع: www. awu-dam. org/mokifadaby370/ htm .001-mokif370
٣٠ المصدر نفسه، ص٠٧.
٣١ المصدر نفسه، ص ١٤٨.
٣٢ المصدر نفسه، ص ٨٩.
٣٣ المصدر نفسه، ص ١٢٤.
٣٤ المصدر نفسه، ص ١٦٥.
٣٥ المصدر نفسه، ص ٢٥.

الرصافي في الفلوجة

(الشاعر معروف عبد الغني الرصافي من الشعراء المشهورين في العراق، وقد نفي إلى مدينة الفلوجة بسبب مواقفه في أثناء الحرب العالمية الثانية)

شجرة الصفصاف الكبيرة ذات الرائحة الخاصة على ضفاف نهر الفرات باسقة أغصانها، محتضنة المقهى تحتها قريبا من الجسر الحديدي الوحيد. وكانت الأرض الرملية السوداء حولها تكاد تكون بمستوى ماء النهر الذي يمر بهدوء ولا يصدر إلا أصواتا قليلة بموجاته الصغيرة، وهي تغسل شواطئه، وقد تبعثرت تحت الشجرة تخوت الخشب للمقهى النهري الوحيد في هذه المدينة الصغيرة التي تغفو على نهر من أنهار الجنة.

ضحك أحد الجالسين بصوت عال وهو ينظر إلى غروب الشمس وقال:

– سيأتي الحطيئة فهو يخاف نور الشمس كدراكولا يا حاج حسن!.

أجابه شخص يلبس هندام موظفي الدولة والشمس تغرب خلفه وقد اتكأ على وسادة صغيرة ووضع إحدى رجليه تحته على التخت:

– لولا أنهم نفوا الرصافي إلى

د. عمر الراوي - العراق

الفلوجة ما حصلنا على هذه المتعة العظيمة، ولجلسنا في بيوتنا كالنساء! إنه لشاعر مبدع.

– لا، بل إنه شاعر مبضع..! فلم يسلم أحد من لسانه السليط.

– هكذا الشعراء في كل زمان. فلو قالوا لك كلاما عاديا فلن يعجب به أحد، ولن يكون ذا أثر.

– ولكن لسانه غير المنضبط، ومواقفه من الحرب مع الألمان جعل الحكومة في بغداد وأسيادها في لندن ينفونه بعيدا عن بغداد إلى الفلوجة، والحرب لا زالت مستعرة، والعراق أصبح طرفا فيها.

– أظن أن مجموعة الضباط تستعد للتمرد على الحكومة، فلا مصلحة للعراق بالدخول في حرب ضد الألمان..

سكت الجميع برهة عندما سمعوا الشلة قادمة متعالية أصواتها على عادتهم بعد خروجهم من صلاة المغرب. دخل القهوجي حاملا كوبا من الشاي، ووضعه أمام الحاج حسن، وهمس في أذنه:

– أرجوك.. أريدك اليوم أن تزيد من تجريحك للرصافي لتزداد الحماسة؛ فيزداد رواد المقهى. فأنت تعرف أن الله فتح علينا رزقا بقدوم الرصافي.

ضحك الحاج حسن وقال:

نحن نستمتع كثيرا معه، فهو حقا مبدع. ولكن الشاعر يحتاج إلى من يثيره ليظهر شعره، فنحن المسعرون، وأنا خبير بذلك. فأنا حاصل على دبلوم في النقد الأدبي من الآستانة.

اقترب القهوجي وقال:

– وما هو النق الأدبي!؟..

ابتسم الحاج حسن وقال:

– ألم تسمع نقيق الضفادع!؟ يبدأ كبيرهم بنق فيتبعه باقي الضفادع بالنقيق! فهذا هو النق الأدبي..

– جيد جيد.. أريدك أن تزيد من النق الأدبي على الرصافي لتزداد الحماسة وكل مشروباتك من الشاي مدفوعة. ضحك الحاج حسن وقال

– رشوة.. رشوة..!! وأطلق ضحكة عالية.

دخلت المجموعة المقهى وأرجلهم تغوص في الرمال، وأصواتهم تسمع من الضفة الثانية حتى أخافت الجلبة التي أحدثوها الطيور التي تعشعش بأمان على أغصان تلك الشجرة الباسقة..

امتلأت التخوت تماما، والأصوات تتقاطع من كل الاتجاهات لتكون شبكة من الألفاظ غير المفهومة، وفجأة توقفت الأصوات وكأن شيئا قد غطى عليها ولجمها. مرت لحظات فدخل رجل مليء الوجه، وعلى عينيه نظارة صغيرة، وهندام جيد ونظيف، وشعر اعتنى بتصفيفه بطريقة خاصة، مع شارب هتلري صغير! يعبر عن تأييده لهتلر وألمانيا!.

جلس على مقعد متفرد في مكان خصص له، وفي زاوية جميلة اختارها بنفسه حيث تتدلى أوراق شجرة الصفصاف فتكاد تلامس رأسه وهو جالس، مع فانوس صغير معلق على أحد الأغصان خلفه تماما، وما إن جلس حتى بدأ بالتحية المتعارفة في العراق:

– مساكم الله بالخير..! رد الجميع:

– ومساك الله بالخير..!

قفز الأستاذ حسن وهو يرتشف شايا مجانيا، فقال بتهكم:

– ما عند الحطيئة هذا اليوم!؟

فلم يجبه الرصافي، ولم تهدر أشعاره اللاذعة كالعادة، بل بقي ساكتا واجما مما أثار فضول كل الحاضرين، فاقتربوا منه مادين أعناقهم، فاتحين أفواههم، وعلامة استفهام كبيرة على وجوههم..

أسبل عينيه بحزن، وأخذ نفسا عميقا، وسالت دمعة ساخنة على خديه المليئتين، وظن الحاضرون أن هذه أول دمعة تنزل في عينيه طوال حياته. أخفض رأسه قليلا وقال بصوت ضعيف وحنون لم يسمعوا منه مثله أبدا:

لقيتها ليتني ما كنت ألقاها
تمشي وقد أثقل الإملاق ممشاها
ثيابها رثة والرجل حافية
والدمع تذرفه في الخد عيناها

فأخذ يبكي ولم يستطع الكلام، وبكى الحضور وهم ينظرون إليه..!. ■

دخل ساحة الأدب الإسلامي ونقده باحثا ودارسا وناقدا، فقادته دراسته الموضوعية إلى عضوية رابطة الأدب الإسلامي عن طريق مكتبها الإقليمي في الأردن، ثم إلى عضوية الهيئة الإدارية فأميناً للسر، ثم رئيسا لمكتب الرابطة في الأردن. حضر عددا من مؤتمرات الرابطة، وشارك في فعالياتها، وأسهم في إقامة جسور التواصل مع الهيئات الثقافية والأدبية والعلمية والأكاديمية في الأردن في عمل جماعي فاعل مع أعضاء الهيئة الإدارية السابقة والحالية، فأثمرت الجهود عن وضع مثالي لمكتب الرابطة في الأردن. وأجرينا مع د.كمال مقابلة هذا الحوار:

د.كمال مقابلة لـ(الأدب الإسلامي):

الأدب الإسلامي بمفهومه أشمل وأعم من رابطته

■■ **حبذا لو أوجزت عن نفسك مُعرّفا؟**

■ كمال أحمد مقابلة من مواليد بلدة بليلا في محافظة جرش عام (١٩٧١م).

تلقيت تعليمي الأولـيّ في مدارس البلدة، وأكملت التعليم الثانوي في مدرسة مجاورة، ثم انتقلتُ إلى حقلِ الدراسات العليا مبتدئاً بدبلوم كليات المجتمع تخصص اللغة العربية في كلية مجتمع (حـوّارة)، وبعدها درجة البكالوريوس في جامعة مؤتة، وبعد أن تخرجت فيها عام (١٩٩٦م)، انتقلتُ إلى ميدانِ العمل حيثُ بدأتُ العملَ بوظيفةِ مُدرِّس لغةٍ عربيةٍ في مدارسِ الكليةِ العلميةِ الإسلاميةِ (عـمّـان/ الجبيهة)، واستمرَ ذلك مدة ست سنواتٍ حتى العام (٢٠٠٢م).

حوار: عبد الرحمن نجم- الأردن

أثـنـاءَ عملي في مدارسِ الكليةِ العلميةِ الإسلاميةِ، انتظمتُ في برنامجَ الماجستير في جامعة آل البيت. وما إن

تخرّجتُ في الجامعةِ حتى تمّ تعييني فيها مدرساً مساعداً في مركز اللغات، ممّا شجَّعني على المُضيِّ قُدُماً لإتمام مرحلةِ الدكتوراه، وهذا ما تمَّ فِعلاً، حيثُ التحقتُ مباشرةً بجامعةِ اليرموكِ لأنتظمَ في برنامجِ اللغةِ والنحو.

وبعدَ الحصولِ على شهادةِ الدكتوراه عام (٢٠٠٦م)، ارتقيتُ بالرتبِ العلميةِ بعد نشرِ الأبحاثِ العلميةِ المحكَّمةِ حتى تحصلّتُ على رتبةِ أستاذ مشارك في نهاية العام (٢٠١٣م)، وتمَّ تعييني هذا العام مديراً لمركزِ اللغاتِ في الجامعة، بعد أن أشغلتُ وظيفةَ نائبِ مديرِ وحدةِ الدراساتِ العُمانيةِ في الجامعةِ لمدةِ خمسِ سنواتٍ.

■■ لماذا اخترت اللغة العربية دراسة، والنقد تخصصا؟

■ الحقيقةُ بعدَ أنْ أنهيتُ الثانويةَ العامةَ كنتُ أرغبُ بدراسةِ علومِ الشريعةِ والفقهِ الإسلاميّ. ولكن لا يمكنُ لإنسانٍ أنْ يتحصَّلَ كلَّ ما يطمحُ إليه، فالرياحُ تجري أحياناً بما لا تشتهي السُّفُن. وبعدَ أنْ تبيَّن لي أنهُ لا يمكنني إلا دراسة تخصصِ اللغةِ العربيةِ، شعرتُ بالرِّضا والقناعة، بل أحسستُ منذُ الفصلِ الدراسيِّ الأول أنَّهُ لم يَفُتني الكثير، فتعلَّقتُ بالعربيةِ وعلومِها وعشقتُ أدبَها، وغرقتُ ببحورِ شِعرِها، واستوقفتني محطاتُ نقدِها، وشدَّني ضروبُ بلاغتِها، وأيقنتُ أنّني جزءٌ منها فما انحزتُ يوماً إلى فنٍّ من فنونها، وما أهملتُ فرعاً من فروعِها.

أما النقد، فهو من أعلى ثمارِ الآداب العربيةِ منالاً، ومن أعمقِ فروعِها دراسةً ودرايةً، فيه إعمالُ العقلِ، وبهِ يتشكَّلُ الرّأيُ بعيداً عن اللّقنِ والتقليد. وأعتقدُ أنَّ مَنْ مَلَّكَ زِمامَ النَّقدِ نالَ الكثير، وشكَّلَ شخصيَّتَهُ العلميَّةِ وَفقَ رؤيةٍ واضحةٍ، وأكسبها هُويَّةً متميِّزة. فالنقدُ فقهُ الأدب، وقوامهُ الذائقةُ الرائقةُ والحسُّ المرهف، والعلمُ الرَّصين.

■■ ليس كل ناقد شاعرًا، ولا كل شاعر ناقدًا، لكن هل يجتمع للرجل الاثنان؛ فيكون مجيدًا للشعر والنقد معًا، أم هما ضَرَّتان كالشعر والنثر قل أن تجتمعا لأحد؟

■ استقرَّ في نظريَّةِ الأدبِ أنَّ الشاعرَ لا يصلحُ أن يكونَ ناقداً، ولا الناقدَ يصلحُ أنْ يكونَ شاعراً. وفلسفةُ ذلك تكمنُ بأنَّ أحد الأمرين سيؤثِّرُ على الآخرِ بالضرورة؛ فالشاعرُ إذا أرادَ أن يمارسَ النقدَ فلا شكَّ أنَّهُ سيخرجُ عن سجيَّتِهِ وطبيعتِهِ الشاعريّة؛

لأنَّهُ سَيَنظِمُ وفقَ مقاييسَ النقدِ التي يؤمنُ بها، وعندها سيخرجُ لنا نصٌّ مصنوع لا روحَ فيهِ ولا حياة.

وكذلكَ الناقد إذا ما أرادَ أنْ يطبِّقَ مقاييسَ النقدِ فإنَّهُ لا شكَّ سينحازُ لتلكَ المقاييسِ التي تخدمُ إبداعه، وعندها سيبقى يدورُ في فلكِ نفسهِ وسيرفضُ أيَّ نقدٍ وافد، وسيرفضُ التطويرَ والتجديدَ في مناهجهِ النقديَّة، وهُنا قد يسألُ سائلٌ أننا عرفنا من شعراءِ العصرِ الجاهليِّ وصدرِ الإسلام من مارسَ النقد؟! فأقولُ: ذاكَ النقدُ الفطريُّ الذي هو جزءٌ من شاعريتهم، فهم شعراء وليسوا نقاداً.

ويشيعُ في زماننا هذا نمطٌ من الشعراء يمارسونَ النقد، أو العكس، ولكنَّ الحقَّ أنّ الشاعر شاعرٌ فحسب، والناقد ناقدٌ فحسب.

■■ تـرأس منذ مدة يسيرة المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأردن، أولا: حدثنا عن بداية ارتباطك بالرابطة عضوًا.

ثانيًا: ما فلسفتك التي تنوي إضافتها إلى الرابطة رئيسًا بعد اطلاعك على ما تعانيه؟

■ بـدأتْ علاقتي برابطةِ الأدبِ الإسلاميِّ العالميَّةِ منذُ العام (١٩٩٧)، حيثُ كنتُ طالباً على مقاعدِ الماجستير، وعندما بـدأتُ بالاستعدادِ لموضوع الرسالةِ العلميَّةِ انجذبتُ كثيراً إلى دراسةِ ظاهرةٍ نقديَّةٍ حديثةٍ ذاتِ صلةٍ بالنقدِ القديم، وبعد البحثِ والتحرّي عرفتُ عن رابطةِ الأدبِ الإسلاميّ، وعرفتُ أنّ لها مكتباً في الأردنِّ فقمتُ

بزيارةٍ للمكتبِ وكان يرأّسُهُ وقتها الدكتور مأمون جرار، فزوّدني ببعض منشوراتها التي عكفتُ على قراءتها قراءةً واعية، وبعد الحوارِ مع أستاذي الدكتور الناقد شكري الماضي اختمرتْ في ذهني فكرةُ البحثِ في نظريَّةِ الأدبِ الإسلاميّ، وهنا يتطلبُ التعُّرفَ على الرابطةِ ونشأتها وأهدافها وأنشطتها وانتشارها عالمياً.. واستمرتْ رحلتي مع الرابطةِ بحثاً ودراسةً حتى صيفِ العالم (٢٠٠١) حيثُ انتهيتُ من كتابةِ الرسالةِ العلميَّةِ وتمَّت المناقشةُ بحمدِ اللّه. وأفخرُ بأنَّ العلاّمة الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد كانَ احد المناقشين.

بعدَ ذلك، اتّصل بي الدكتور مأمون جرَّار الذي كان وقتها يرأسُ مكتبَ الرابطةِ في الأردن، وعرضَ عليّ أنْ أكونَ عُضواً عاملاً فوافقتُ وتشرَّفت، ثمَّ انتخبتُ عضوَ هيئةٍ إداريةٍ منذُ العام (٢٠٠٥)م، ثم أميناً لسرِّ الرابطةِ منذُ العام (٢٠٠٨)، وفي منتصفِ العام (٢٠١٤) شرفني عددٌ كبيرٌ من زملائي في الهيئةِ العامَّةِ بانتخابي رئيساً لمكتبِ الأردن، وما أزال.

أما الإضافات التي من الممكن تحقيقها فأسعى وزملائي في الهيئةِ الإداريةِ إلى تحقيقِ أمرين:

الأول: الانفتاحُ على الهيئاتِ الثقافيَّةِ الأُخرى بجميعِ أطيافها والتواصلِ مع الأُدباءِ والنقَّادِ في الأطرافِ وليسَ فقط في العاصمة، وقد وجدنا في مشروعِ المُدنِ

الثقافيَّةِ ما يحقِّقُ هدفنا، فضلاً عن عقدِ عددٍ من المؤتمراتِ والأنشطةِ الثقافيّة في الجامعات في انحاء الأردن شمالاً وجنوباً.

الثاني: السّعيُ لتأمين الدَّعم الماليِّ لمكتبِ الأردنِّ في ظِلِّ قِلَّةِ الموارِدِ الماليَّةِ للرابطةِ الأُم، وهذا ما بدأنا به عامنا هذا.

■■ ما الذي تمتاز به رابطة الأدب عن غيرها من الروابط الأدبية – على كثرتها- محلياً وعربيًا؟

■ ظهرت عدد من الروابط الأدبية في العصر الحديث، فعرفنا رابطة أدباء المهجر، ورابطة ابولو، وغيرهما.... ثم توالت الروابط الأدبية والجمعيات الثقافية التي تخدم فكرة ما، أو أفكاراً متنوعة وأعتقد أن هذه الروابط كانت تعكس خصوصية لمنتسبيها أما رابطة الأدب الإسلامي فقد نزحت إلى الشمولية في الطرح والتوسع في الفكر، فهي إنسانية النزعة، مفتوحة أمام الجميع، تقبل الآخر في حدود مواصفات الأدب الهادف الذي تنادي به.

وللرابطة أنشطة دورية: أسبوعية حيث الندوات الثقافية والأمسيات الشعرية، وأخرى سنوية حيث المؤتمرات المتخصصة فضلاً عن إصداراتها ومنشوراتها الدورية.

■■ كيف يمكن أن يكون الأدب الإسلامي مؤثرًا ويؤدي رسالة إنسانية سامية للعالمين؟

بداية لا بد أن نعي بان مصطلح الأدب الإسلامي لا يُعنى بتقديم مواد دينية صِرفة، أي أنه ليس أدباً وعظياً كما يتهمه البعض، إنما

هو الأدب الآمن الذي يقدم مادة هادفة في سياق فني جميل في أبعاده الإنسانية، الأدب البعيد عن الإثارة والانحراف، فهو إذاً الأدب الأخلاقي الملتزم الذي ينشده كل إنسان بصرف النظر عن دينه، والتنظير في الأدب الإسلامي ليس حِكراً على الأدباء المسلمين. فرسالته موجهة للإنسانية، ورسالته يدعو لها كل إنسان ملتزم بمبادئ البشرية، ونحن في مكتب الأردن لدينا أعضاء مناصرون من غير المسلمين.

من هذا الفهم تتجلى رسالة الأدب الإسلامي القائمة على التصوير الفني للكون والإنسان والحياة دون التعصب لمفاهيم ثوابت الإسلام التي هي ثوابت لكل من ينشد الحق والعدل والقيم النبيلة من أمثال طاغور، وغوته وغيرهما.

■■ هل ثمة أدب ملتزم وأدب غير ملتزم؟ وما الرد على من يبيحون المجون النثري أو الشعري، ويعطونه قداسة، بحجة أنه أدب وكفى، وإلا كان التثريب عليه جهلا به، ومعاداة للإبداع؟

■ هناك من ينكر مسألة الالتزام في الأدب، وهناك من يُنكر توصيف الأدب من حيث هو أدب، وهنا تبرز جدلية حادة بين النقاد والمنظرين؛ فهل الأدب – بوصفه نتاجاً للفكر – لا يمكن أن يقبل وصفاً أو نسبة إلى إقليم أو جنس؟ وهل يمكن أن ننكر أثر البيئة والجنس في الإنتاج الأدبي؟

أسئلة كثيرة، شائكة ومتشابكة. وتبدو أكثر تعقيداً

إذا اقتربنا من الدين، فإن قبل بعضهم أن نقول: أدب نسوي فإنه ينكر علينا أن نقول أدب الرجال أو أدب الأطفال. وإن قبل آخرون أن نقول: أدب عربي، فإنه ينكر أن يقال: أدب إسلامي، وربما يستطرد قائلاً؛ هل يوجد أدب مسيحي وآخر يهودي؟ وإذا قبلنا بالأدب المسيحي فهل نقول: أدب كاثوليكي وأدب بروتستانتي؟

الحقيقة أنا أقول: هذا تقعر وتشدد، بل هي ليٌّ لعنق المصطلح، فكما أننا نقبل بعمارة إسلامية تقوم على وفق خصائص فنية جامعة، ووظائف نافعة فلا ضير أن نقول: أدب إسلامي، يعكس التصور الإنساني وفق رؤية وتصور واضحين هادفين.

وهذا ينقلنا إلى فكرة المجون أو الإثارة. فهل الرافض لهما هو المسلم فقط؟! وهل إنكارهما حِكر على المسلم دون غيره؟! بالطبع لا. فكل ذوق إنساني سليم الفطرة صادق المذاق ينكر المجون وإثارة الشهوات بصرف النظر عن دينه، ولكن الجامع لهذه القيم وهذه المذاقات هو الإسلام. من هنا جاء وصف إسلامي لاشتماله على منظومة القيم والأهداف النبيلة وفق التصور الإيجابي لمعطيات الإنسانية.

■■ هل يتعارض الأدب في نسقه الإنساني مع المنهج الإسلامي، أرجو بسط الكلام؟

■ بالطبع لا يتعارض المنهج الإسلامي مع الأدب ببعده الإنساني، بل إن الإسلام جاء لتهذيب الإنسانية.

ولكن بعض الاتجاهات الأدبية المعاصرة قد تنأى بنفسها عن الفطرة الإنسانية وكثيراً ما نجد ذلك عند بعض الحداثيين الذين شطوا عن الجادة، وبالغوا إلى حدّ الغلو في الماديّة الصارخة دون اعتبار للقيم الإنسانية، ودون رعاية للثوابت الكونية الراسخة رسوخ الجبال، وهذا كله أدبٌ ممجوج يرفضه الذوق الإنساني. فالأدب الإسلامي إذاً يُعنى بمفردات وصور ومضامين هي انعكاس للوحي الإلهي الذي أودعه الله في النفس البشرية، والأدب الإسلامي يُعنى بمعطيات الإنسانية وذوقها وأحاسيسها ولا يتعارض مع الذوق الإنساني القائم على الفطرة السليمة.

■■ هل ثمة أزمة أدبية؟

■ لاشكَّ أنَّ الأزمة موجودة، ليس محليّاً فحسب إنّما عالمياً. أمّا محليّاً فالأزمة تكمن في الهُوية الثقافيَّة والأدبية، بمعنى أنَّ التيَّار المسيطر على شريحةٍ واسعةٍ من المثقَّفينَ والأدباء هو التقليد، فما زالَ الكثير مفتونا بالآخر، بل إنَّ البعض أصبحَ يعدُّ التقليدَ مقياساً يُقاسُ عليه المُنَتج الأدبيّ، وبالغَ بعضهم في تقمّص شخصيّات بعض الأدباءِ الغربييّنَ شكلاً ومظهراً.

وثمَّةَ أزمةٌ أُخرى يُعاني منها الواقع الأدبي والثقافي العربيان تتَّصلُ بالمُتلقي، حيثُ العزوفُ عن مطالعةِ الأدب، وهذا يحولُ دونَ وصولِ رسالةِ الأدبِ ويُضعفُ أثرها في المجتمعات، ومنَ المؤلم أنْ تُسجِّلَ الدراساتُ بأنَّ أقلّ الشعوبِ قراءةً ومطالعةً هيَ الشعوبُ العربيَّة.

وتبقى حريَّةُ التعبيرِ سيفاً ذا حدَّينِ في الأزمةِ الأدبيَّةِ والثقافيّة، فمن مُضيفٍ لها ومغيِّر، ومن مبالغٍ يذهبُ مذاهبَ بعيدةٍ دونَ التفاتٍ إلى ثوابتنا وتاريخنا.

■■ كانت لك جولة واسعة مع نقاد رابطة الأدب الإسلامي، ما أبرز معالم هذه الجولة، وما أثرها في مسيرتك النقدية؟

■ الحقيقة بدأت علاقتي بنقاد الرابطة منذ بدأت الإعداد لرسالة الماجستير، وهذا الأمر أتاح لي فرصة الاطلاع على النتاجين الأدبي والنقدي لأعضاء

رابطة الأدب الإسلامي، وعلى مساحات واسعة من صفحات مجلة الأدب الإسلامي ومنشورات الرابطة ومؤلفات الأعضاء، وقد وقفت حقيقة عند محطات مهمة أبرزها محاولة الرابطة والأعضاء إيجاد إجابة عن السؤال: هل تملك الرابطة منهجا أدبيا خاصا؟ وهذا يتطلب بدءا امتلاك الرابطة لنظرية خاصة بالأدب، وامتلاكها لنقاد يسبرون أعماق الأدب، وأحسب أن الإجابة عن هذا السؤال شكلت التحدي الأصعب لنظرية الأدب الإسلامي، وحفزتني للتعمق في البحث حتى تمكنت من إفراد فصل ختمت به الرسالة بعنوان (نحو منهج نقدي إسلامي: دراسة وتقويم)، استطعت بعدها أن أتوصل إلى خلاصة مؤداها أن الرابطة ونقادها لم يتجاوزوا ما عُرف بـ (المنهج التكاملي)، والذي هو في الحقيقة مزيج من المناهج النقدية الوافدة.

وأرى أن الباب ما زال مفتوحا أمام النقاد الإسلاميين للتوافق على منهج نقدي إسلامي، والإمكانية الفنية والإبداعية ترفد هذا الجانب.

■■ حضرت عددا من مؤتمرات الرابطة داخل الأردن وخارجها، ما هذه المؤتمرات؟ وما تقويمك لها؟

■ دأبت الرابطة على عقد نوعين من المؤتمرات: مؤتمرات علمية متخصصة، ومؤتمرات الهيئة العامة، أما المؤتمرات المتخصصة فتعنى بفكرة أدبية أو نقدية وتثير حولها عددا من الأسئلة التي تجليها وتحقق الغاية المنشودة، ولا شك أن فيها النفع الكبير، والفوائد الجمة، منها المؤتمر الذي عقدته الرابطة بالتعاون مع جامعة آل البيت في الأردن بعنوان (الأدب العربي وآداب الشعوب الإسلامية) حيث شارك فيه ما يزيد عن ستين عالما وباحثا بحثوا في قضايا الأدب والنقد الإسلاميين، وخرجنا بتوصيات تخدم الأدب الإسلامي. كما عقدت الرابطة مؤتمرا آخر بالتعاون مع جامعتي اليرموك والعلوم الإسلامية في الأردن بعنوان (ملتقى الأدبيات الإسلاميات) حيث ترك المؤتمر انطباعات جليلة في الأوساط الثقافية والأدبية.

أما مؤتمرات الهيئة العامة، وإن كانت مؤتمرات أقرب إلى الجانب الإداري إلا أن الإدارة العليا للرابطة كانت تحرص دائما على صبغها بالصبغة العلمية، من ذلك مؤتمر الهيئة العامة لعام ٢٠٠٢ الذي انعقد في القاهرة تحت عنوان (مصطلح

الأدب الإسلامي)، ومؤتمر الهيئة العامة الذي انعقد في إسطنبول عام ٢٠٠٥ تحت عنوان (الأدب الإسلامي والإعلام).

أعتقد بأن المؤتمرات جميعها كانت على درجة عالية من التنظيم، وآمل أن تلتفت الرابطة إلى عقد مؤتمر خاص بالنقد الأدبي ليصار إلى التوافق على نظرية خاصة بالأدب الإسلامي، وصياغة منهج نقدي إسلامي.

■■ **سجل المكتب الإقليمي للرابطة في الأردن نجاحا متميزا وما زال، ما أسباب هذا النجاح برأيك؟ وما طموحاتكم المستقبلية؟**

■ لا شك أن عوامل نجاح النشاط الثقافي في مكتبنا في الأردن تكمن وراء عناية أعضاء الهيئة العامة أولا، ونشاط واهتمام أعضاء الهيئة الإدارية الذين يُحكمون عملهم، ويضبطون جهودهم بما يخدم الرابطة والأدب الإسلامي، وكل ذلك يقع تحت دائرة الاهتمام والرعاية من المكتب الرئيس في المملكة العربية السعودية؛ حيث الدعم المادي والمعنوي، والتوجيه العلمي والثقافي.

ولا ننكر هنا فضل الهيئات الإدارية السابقة، ورؤساء المكتب السابقين الذين تعاقبوا على إدارة شؤون المكتب، وأستطيع القول بأننا عملنا وما نزال بمؤسسية عالية، وحققنا أهدافنا بأسلوب بنائي تراكمي، يحترم فيه اللاحقُ منجزات السابق.

وإذا تأملنا واقع الثقافة في الأردن بصورة عامة، نجده واقعا نشطا، وبخاصة في العاصمة عمان، فالعاصمة الأردنية تشهد حراكا ثقافيا عالي الجودة، ومكتب الرابطة في الأردن جزء من هذا النسيج الثقافي، ومن اللافت للنظر أن عمان العاصمة تضم ما يزيد عن مائتي هيئة ومؤسسة ثقافية تُعنى بالأدب والفكر.

وأتطلع أنا وزملائي في الهيئةِ الإداريةِ إلى الانفتاح على الهيئاتِ الثقافيَّةِ الأخرى بجميعِ أطيافها والتواصلِ مع الأدباءِ والنقَّادِ في الأطراف وليسَ فقط في العاصمةِ، وقد وجدنا في مشروعِ المُدنِ الثقافيَّةِ ما يحقِّقُ هدفنا، فضلاً عن عقدِ عددٍ من المؤتمراتِ والأنشطةِ الثقافيّةِ في الجامعات في أنحاء الأردن شمالاً وجنوباً. وعلى مستوى الرابطة نتطلع لإقامة علاقات ثقافية وأدبية مع المكاتب الإقليمية في أنحاء العالمين العربي والإسلامي.

■■ **الأدب الإسلامي فكرة مستقلة عن رابطته، ما واقعه في الأردن،؟ وما توقعاتك في ثباته المستقبلي واستمراره عالميا؟**

■ لا شك أن الأدب الإسلامي

بمفهومه النظري والتطبيقي أشمل وأعم من الرابطة، وواقعه في الأردن لا يختلف كثيرا عن واقعه في البلاد الأخرى، حيث يوجد المؤيد والمعارض، وهناك شريحة واسعة من المثقفين والأدباء لا تقبل بتوصيف الأدب من حيث هو منتج إنساني، ولهؤلاء نقول دائما: إن نظرية الأدب الإسلامي تُعنى بالبعد الإنساني والتصوير الفني للكون والحياة.

أما ما يتصل بثباته أو عدم ثباته فالتعويل هنا على دعاة الأدب الإسلامي ورافعي لوائه، فالمجال واسع أمامهم لإقناع الآخر بثوابت الأدب الإسلامي وديمومة رسالته.

■■ نعود إلى كمال مقابلة الناقد، ما تطلعاته المستقبلية في تخصصه النقدي؟ وماذا عن الجانب الإبداعي الأدبي عنده؟

■ ما زلت مؤمنا بإمكانية صياغة منهج نقدي إسلامي يقوم على التصور الإسلامي للفن والإبداع، وينهض على مقومات الذوق الأدبي ومقاييس توجيه النصوص وفهمها، وأعكف حاليا على استجلاء بعض مقومات هذا المنهج من خلال دراسة قصائد الثلاثيات التي اشتهر بها ثلاثة من شعراء الرابطة: أ.د. حسن الأمراني، وأ.د.عودة أبو عودة، والشاعرة نبيلة الخطيب.

■■ أخيرا: كلمة للأدباء والنقاد في الرابطة وخارجها؟

■ آمل من نقاد الرابطة أن يعنوا بتأسيس منهج نقدي إسلامي، ولن يتحقق ذلك إلا بجهود مؤسسية وجماعية، وأرى بأن النقاد العرب من خارج الرابطة معنيون أيضا بإضفاء الخصوصية الأدبية والنقدية للمنتج النقدي والأدبي العربي■

نهاية وبداية

مصطفى عكرمة - سورية

تنتهي رحلةُ الحياةِ إلى الموتِ
فموتي بدءُ الحياةِ الجديدةْ
يالهولي مما عصيتُ إلهي
غيرَ أنّي مُؤمِّلٌ منهُ جودهْ
ما تَزوَّدتُ للحسابِ وحَسْبي
أنني عِشتُ مُعلنا توحيدهْ
لَمْ أحِدْ عنهُ وهو يعلمُ أني
ما تمنيتُ أن أجوزَ حُدودهْ
فإذا كان ضعفُ نفسيَ أغوى
فشفيعي لديهِ صِدقُ العقيدةْ
حُبُّهُ العفوَ عُدَّتي لحياةٍ
حُسنُ ظني به يراها سعيدهْ
ولهُ الحمدُ أنْ هداني إليهِ
فتبينتُ في الوجودِ وجودهْ

تترجم المراثي أصدق المشاعر، والرثاء في الشعر والأدب العربي من أكثر صنوف الأدب تأثيراً وخلوداً، وتلك الكلمات التي تقال في لحظات من الحزن والتأثر والانفعال تكون أكثر جمالا وبقاء، ومازال الأدب والذاكرة العربية حافلة بقصائد الرثاء والنصوص الخالدة منها.

راشد المبارك يرثي نفسه..

وفي ليلة - ليست ككل ليلة - جمعتني بالصديق الراحل الدكتور راشد المبارك في سنواته الأخيرة.. ليلة شتوية باردة، أدفأناها بالرحيل إلى بعض ملامح الماضي وشخصياته وحضوره.. يحاول تارة أن يقتنص شاردة من أبيات الشعر الأثيرة إلى نفسه.. وتارة أحرض فيه بعض مرح طفولي هجره طويلاً..

وفي لحظة صمت، انقطع كل هذا، فقد طغت على محياه ملامح شرود واستغراق.. ثم عاد ليقول لي: أشعر أن أجلي قريب، وأن أيامي معدودة، لقد أصبحت اليوم على عتبة الانتظار.. لقد أصبح الموت هاجسي!!

ترقرقت دمعة حرى من عينيه، ولبثت مرتبكاً كيف لي أن أبدد هذا الشعور، وأنا أدرك أن راشد ليس من أولئك الذين يتأثرون بكلام مرسل لا منزلة له في سلم الحقائق وصروف الأيام.. كيف لا، وشجرة عمره تذوي، وصحته تتهاوى، وضعفه أبقاه حبيس منزله خلال العامين الأخيرين من حياته.

ماذا كان عليّ أن أقول في تلك الساعة، سوى إرسال الأمنيات بحياة حافلة بالمزيد من العطاء والتفاؤل الجميل.. ولولا شعوري بكارثة الانكسار أمامه لبكيت بين يديه.

وعندما حان وداعه، ناولني بضع أوراق مضمومة، وحين حاولت قراءتها، أشاح بيده.. أن أتركها لوقت آخر. فهمت ما يعني.. وأردف: إنها وديعة لديك.

د.عبد الله القفاري - السعودية

عندما عدت لمنزلي، لم أقاوم الصبر، فرميت بصري عليها فإذا هي «رسالة قبل الرحيل». لم أقوَ حينها على الصمود في قراءة مرثية راشد لنفسه.. وأودعتها مكاناً بعيداً عن متناول الأيدي.

بعد رحيله، عدت إليها، إلا أن قراءتي لها صارت نزعاً في فؤاد مكلوم، وأنا أستعيد تلك الصور والمواقف.. لقد كانت استغراقاً فريداً صدقه حدسه قبل الرحيل.

أضع بين يدي القارئ «رسالة قبل الرحيل»، فهي لن تكون سوى مرثية أخرى من عظيم يرثي نفسه قبل الرحيل. إن كل رثاء بعدها يتضاءل أمام هذا الفيض الطاغي في تصوير بديع يطوف فضاءات تلك الشخصية النادرة.. بقدر ما يثير من لواعج الفقد وأحزانه.

كتب راشد وصيته قبل رحيله، وفيها أيضاً صاغ رغبته باستمرار ندوته الأحدية، وأشياء أخرى، وبتفاصيل يدرك من اطلع عليها أنه كان يهيئ كل شيء ليوم لا ريب فيه.. وكأنه لا يريد أن يشق على من بعده، فرسم إطاراً يضمن بقاء هذا الوهج الثقافي الجميل.

رسالة قبل الرحيل

د. راشد المبارك

نعمنا زمانا بالهوى قد صفا الهوى ... ورق كأنسام الربيع المـوردِ
تعانقت الأرواح منا.. وضمها ... رباط سماوي النقا والتجددِ
وقد حان من وقتي الرحيل فودعي ... وداع محب ما احتمى بالتجلد
وقولي: ألوفاً كان يفدي بما غلا ... جواداً ولم يبخل بما كان في باليد
وجدتُكَ في قلبي رفيفَ خميلةٍ ... ونفحة ريحان بظلٍ ممددِ
وقد كنت في عيني الضياء أرى به ... وفي مسمعي لحناً ندي التردد
كما أنتَ في دنياي قلعةُ آمنٍ ... وخيمة أضيافٍ وأهلٌ لمقصِدِ
لقد كان سباقاً إلى كل خلةٍ ... من الخير لا يلقى الندا بالتردد
وكان محباً للقريبِ وإن جفا ... وكان رؤوفاً بالبعيدِ المهددِ
يبيت إذا ما الناسُ دثّرها الكرى ... يؤرقه بؤس الطريد المشرّدِ
ويضنيه أن يبقى على الأرض جائعٌ ... وتشقيه آلام الأسير المقيَّدِ
إذا جاءه الساعي لتفريج كربةٍ ... تلقاها في بشرٍ لقاء تودد
وإن أنفقت يمناه إنفاقَ موسرٍ ... فما درت اليسرى بإنفاقِ راشدِ
وما كان ذا مال كثير ولا غنىً ... ولكنه معطٍ لما جال في اليدِ
لقد أظلمت دنياي بعدك وانطوى ... بساطُ الهنا عني وفارق مُسعدي
يقيناً لقد غاب الضيا عن محاجري ... وفارقني سعدي وجفتْ مواردي

سأبكيه عمري ما حييتُ لما مضى ... وما زان وقتي من خلال ومحتدِ

يعذبني يومي وأشقى بأمسهِ ... ويسلمني يومي إلى الحزنِ في غدي

فلو راحلٌ يفدى لكنت افتديته ... بنفسي وما أُغلي وما ملكت يدي

أناجي القبور الغافياتِ ومهجتي ... على جدثٍ قد ضم أُنسي وسؤددي

أناجيك في لون الغديرِ إذا صفا ... وألقاك في إشراقِ قنديلِ مسجدِ

وأصغي الى همس النسيم كأنني ... لدى وشوشات الحب أُصغي لمنشدي

وأستنطقُ الورد الشذيّ وقد حكى ... خلالك في نشرِ العبير المُبدّدِ

فأرجع لا قلبٌ يقرُ قرارهُ ... ولا الصبر في ليلِ العذابِ بمسعدي

وإن طاب لي صفو الحياة ولينُها ... وإغفاءةٌ في أعينٍ لم تُسَهَّدِ

أغالب أحزاني العطاشَ إلى البكا ... فيغلبني حزني وينأى تجلُّدي

سأبكيك ما أحيا بحُرقة والهٍ ... ولوعة ذي ثُكل وثكلي بواحد

وإن كان لا ثكلٌ كثكليَ في الورى ... ولا حُرقتي مرّت بجفن مُسهدِ

أناجيك بالود الذي كان بيننا ... وبالأفق الأسمى وبالخُلق الندي

وألصق خدي بالتراب لعلني ... أشمُ شذا إنشاد بيتٍ مغردِ

محبوك غرقى في الدموع وحزنُهم ... طويلٌ كما أحزانها أمٌّ واحدِ

إذا ما تنادوا للقا عصفتْ بهم ... لواعج تستدعي الهمومَ وتبتدي

وإن عُقدت بالمنتدى الرحبِ ندوةٌ ... فما أوجعَ الذكرى على قلبِ مُنتدي

تعبتُ وما في الكأس فضلٌ لشاربٍ ... وما في النديّ السمحِ صوتٌ لمنشدِ

عليك من الله الرضا وسلامُه ... وحفت بك البُشرى تروح وتغتدي

ومدَّ عليك الله ظلَّ اصطفائهِ ... بما قد وقفتَ النفسَ موقفَ منجدِ

(*) جريدة الرياض، الاثنين ١١ جمادى الأولى ١٤٣٦ هـ، ٢ مارس ٢٠١٥م.

يا سائلي عن راشد

د. عبدالقدوس أبو صالح

فطروا على حب المروءة والسماح ... وهتافهم للمجد حيَّ على الفلاح
حاكوا بجودهم النخيل وأسفرت ... أنسابهم عن نور أزهار الأقاح
الراضعون من التراث لبانه ... تاريخهم بين الصحائف والصفاح
والرافعون من التراث منارة ... تهدي التراث كأنها ألق الصباح
جمعوا من العلم الشريف لبانه ... وعلت بأحساب لهم همم صحاح
آل المبارك شيخهم وفتاهم ... سنوا لمن شاء الهدى درب الصلاح
والراشد المأمول كل سجية ... دانت له، إرث الأصالة والكفاح
من نبعة آل المبارك أصلها ... والفرع يزكو مازكا الأصل الوضاح
أمضى بغربته ربيع شبابه ... لم يلهه عبث ولا غيد ملاح
عادت به نحو الهفوف صبابة ... أسد يعود إلى العرين ولا جناح
يا من غُذيت من الهفوف حنانها ... لا بدع تعشقها وقد ريش الجناح
لك في الرياض ملاذ حر ماجد ... ومؤثِّل الجلّى بهاتيك البطاح
في ندوة زان التواضع ربها ... تزدان بالأدباء من شتى النواح
كم صغت للفكر الصريح صحائفاً ... ودعوت للتجديد مع كبح الجماح
ودعوت من تخذوا التغرب مذهباً ... أن أسجحوا ليس التغرب بالمباح
وخذوا من الغرب العلوم بطانة ... فالعلم بحر كل ما فيه مباح
ودعوت من ظنوا الجمود تديناً ... أن أسجحوا فالدين يسر أو سماح
يا سائلي عن راشد خدن العلا ... والحق أبلج من تباشير الصباح
هو عالم، بل شاعر، بل ناقد ... في كل ميدان له قصب النجاح
وعرفته، وخبرته، وبلوت من ... أخلاقه ما شئت من روح وراح

راشد المبارك في ندوة الوفاء

أقامت ندوة الوفاء يوم الأربعاء ١٣-٥-١٤٣٦هـ، الموافق ٤-٣-٢٠١٥م في منزل عميدها الشيخ أحمد محمد باجنيد حفظه الله، ندوة خاصة في رثاء الأديب الكبير الدكتور راشد بن عبد العزيز المبارك رحمه الله، الذي انتقل إلى رحمة الله، يوم الأربعاء ٢٩ ربيع الآخر ١٤٣٦هـ، الموافق ٢٠١٥/٢/١٨م، في مدينة الرياض.

وقد كانت الندوة -بفضل الله- حافلة، حضرها نخبة من العلماء والأدباء والمفكرين، ومحبيه، وحضر الندوة أبناء الدكتور راشد.

وقد تحدث في الندوة كل من الدكتور يحيى أبو الخير، والدكتور مرزوق بن تنباك عضوا هيئة التدريس بجامعة الملك سعود بالرياض، والأستاذ الأديب الزبير بن إبراهيم المبارك، وألقى كل من الدكتور عبد القدوس أبو صالح، والدكتور وليد قصاب، والدكتور حيدر الغدير قصيدة رثاء في الدكتور راشد المبارك رحمه الله.

وأدار الندوة الأديب الأستاذ الدكتور عبدالله العريني عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ويسر مجلة الأدب الإسلامي أن تنشر الكلمات والقصائد التي قيلت في الندوة، في الملف الخاص عن الدكتور راشد المبارك.

كلمة عميد الندوة الشيخ أحمد محمد باجنيد

ترك آثاراً حسنة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين..

أيها الإخوة الأحباب:

أحييكم جميعاً، وأشكركم جزيل الشكر على حضوركم هذه الأمسية، والتي نترحم فيها على رجل عزيز على قلوبنا جميعاً، وإن كان قد فارق دنيانا الفانية فإنه ترك آثاراً حسنة، وبصمات واضحة، وأعمالاً جليلة، نسأل الله أن يتقبلها منه، ويجزل له المثوبة والأجر.

لقد عرفت الدكتور راشد منذ وقت طويل، وأيضاً كان أحد رواد ندوة الشيخ عبدالعزيز الرفاعي رحمه الله، واستمرت صلته بالندوة بعد وفاة الشيخ الرفاعي فحضرها وحاضر فيها.

وقد كنت أتوجه إليه في بعض الشفاعات فكان موفقا يسعى بجاهه في نفع الناس، وألسنتهم تلهج له بالدعاء رحمه الله.

كان الدكتور راشد رحمه الله يشعرني برعاية خاصة، وربما غيري يشعر أيضا بنفس الشعور. وأذكر أني اتصلت به لتحديد موعد لزيارته على إثر عارض صحي ألم به، فإذا به يؤكد بأنه هو الذي سيزورني، وبالفعل مضت بضعة أيام، وإذا به يأتي إلي زائراً متحاملاً على آلامه.

وختاماً أسال الله الكريم المنان أن يتجاوز عنه، ويوسع له في قبره، وينور له فيه، وأن يخلفه على أهله ووطنه وأمته بخلف صالح، وأن يبارك في أولاده وذريته، ويحسن لنا جميعا الختام، ويجعل أعمالنا خالصة لوجهه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ■

رجل مبارك له من اسمه أوفر الحظ والنصيب

د. عبدالله بن صالح العريني

دقـات قلـب المـرء قائلـة له
إن الحـيـاة دقـائـق وثـوانـي
فاحفظ لنفسك بعد موتك ذكرها
فالذكر للإنسان عمر ثاني

في هذه الأمسية من أماسي هذه الندوة المباركة نستطلع إضاءات، ونستذكر وقفات لرجل مبارك له من اسمه أوفر الحظ والنصيب، وهو الدكتور راشد المبارك، رحمه الله.

وإذا كنا أمرنا بأن نذكر محاسن موتانا فإنني لن أفوت هذا الجمع دون أن أسجل موقفا يذكر فيشكر للأستاذ راشد المبارك.

قبل عشرين عاماً كنت عضواً في اللجنة التي شكلها الأمير سلطان، لجنة لتصحيح الموسوعة العربية العالمية، وكان هناك خلاف بين اللجنة وبين الناشر الدكتور أحمد الشويخات، الذي رأى أن اللجنة تعوق مسار النشر، وبالتالي أرسل الأمير سلطان شخصين للإصلاح بين الناشر وبين اللجنة، وهما معالي وزير المعارف الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد الرشيد، والدكتور الأستاذ راشد المبارك، للنظر في الخلاف بين اللجنة والناشر، وحينما دار الحوار حول الأسباب التي حملت اللجنة على التأخير، ومطالب الناشر بسرعة الإنجاز، وقف الدكتور راشد وقوفاً موضوعيا وقال كلمة لا زلت أذكرها:

«إن الزمن وسيلة، والإبداع غاية، ولا داعي للتضحية بالجودة من أجل الوسيلة.»

قال هذه الكلمات فقط، ثم رفع الأمر للأمير سلطان، فأعطى اللجنة مساحة أوسع في متابعة عملها، لا زلت أذكر هذا الموقف، وكم وددت لو كانت الظروف متاحة لألتقي به مرات ومرات!.

النـاس صـنـفـان مـوتـى في حياتهم
وآخـــرون بـبـطـن الأرضـــ أحـيـاء

نظرات في فكر وفلسفة راشد المبارك

أسكن الدكتور راشد المبارك - طيب الله ثراه - كل من عرفهم سويداء قلبه الكبير، وسكن هو أيضاً في قلوبهم، وتربع على عروش وجدانهم، وترسخ في عقولهم: إنساناً باراً، وفياً نزيهاً، جاداً موضوعياً، رحب الصدر، شفاف النفس، عالماً وأديباً، وشاعراً مجيداً، وصاحب رؤية ناضجة، وفلسفة سامقة، وفكر واقعي، ومنظور ثاقب عن الحياة والكون.

ولاشك أن هذا المنظور قد أثر في طبيعة شخصية الدكتور راشد المبارك الذي أخذ على نفسه عهداً أن يتجرد من الذات، وأن يرتقي فوق المنافع الشخصية، وأن يعيش لغيره، وأن يمنح قلبه للناس كل الناس، وأن يؤثرهم على نفسه، وقد فعل وأحسن الفعل. ووفاءً منه لهذا العهد تجده لا يترك صديقاً إلا يبره ويسأل عنه ويتودد إليه، ولا مريضاً إلا يعوده ويواسيه، ولا مكروباً إلا يعينه على نوائب الدهر. فما طرق أحد باب الدكتور راشد المبارك -أسكن الله روحه الجنة- إلا ونال حاجته، وعاد من حيث أتى معززاً مكرماً غير خائب أو محزون.

إضافة إلى ذلك فهو يتألم لألم المظلومين والفقراء والبؤساء والمسحوقين والمنكوبين لحد الأرق الذي يقض مضجعه ويبرحه وجعا وألما، ولا يرتاح له بال إلا بعد رفع الظلم والبؤس عنهم. أما سمعتم الدكتور راشد المبارك وهو يصدح «بصوت الأرض الإنساني المدوي قائلا:

أنا نشيج الأسى في صدر من ظلموا
أنا أنين الشجى في قلب من نكبوا

كذلك تؤرق الدكتور راشد وتقض مضاجعه قضايا أمته العربية والإسلامية، فيحترق كمداً لما تعانيه من مشكلات، فلا تهدأ له نفس، ولا تنام له

د.يحيى بن محمد شيخ أبو الخير

عين إلا بعد أن تتجاوز أمته محنتها. فهو لا يقف من قضايا أمته، كما يفعل البعض، موقف المتفرج إذا ادلهمت الخطوب، بل يسرع بكل عزيمة واقتدار بالمشاركة الفاعلة في حل معاناتها بقلمه وماله وجهده وبما حباه الله من حضور ووجاهة قل نظيرها.

إن هذه الصفات الشخصية الفريدة للدكتور راشد المبارك رحمه الله قد أكسبته فكرا وفلسفة علمية متفردة. ولعلي أعطي نفسي الحق هنا فأصف فلسفته وفق الأبعاد الثلاثة الآتية:

البعد الأول: فلسفة ذات بعد علمي عقلاني أخلاقي إصلاحي نخبوي، توظف العقل في تحليل فرصه للنظر والاستقراء، ولكنه مع ذلك لا ينزه د.راشد - رحمه

الله – العقل من الخطأ والزلل. وكان –رحمه الله – يؤرقه ويقض مضجعه إذا انتهكت حقوق الإنسان، وحجر على الرأي والرأي الآخر فكريا، وصودر وفرض الفكر المخالف بقوة أسواط الجلادين. كما قادته فلسفته ومنظوره الفكري العلمي عن الحياة والكون إلى مقت واستهجان التقليد الأعمى، وعدم منح العقل فرصته لاستشكال الأحداث.

إن فلسفة د.راشد المبارك وفكره العلمي العقلاني الإصلاحي النخبوي جعله يمنح العقل منزلة سامقة بهية يقدمها أحيانا على الحس والتجريب، مقتربا بذلك

من المشتغلين بعلوم الإنسان وآدابها، التي يحترمها ويجلها كما صرح بذلك في أكثر من مناسبة وأكثر من مؤلف ومقال. وكان لهذه الفلسفة منظور يعول بموجبه على الحدس والخيال في الحصول على المعرفة القائمة على النظر فيقول: «إن أسرار المادة تقع داخل أسوار لا يخترقها سوى أشعة الفكر، ويتعذر اجتيازها إلا بوثبات الخيال». فلذلك تجده يتألم من أنماط التعسف البشري، والتعامل المتوحش مع تلك الأسرار وطبيعة أسوارها وطرق اختراقها وسبر أغوار كينوناتها.

إن فلسفة د.راشد – رحمه الله – وفكره العلمي المنهج قد منحه القدرة الموضوعية الفائقة للفصل بين جموح النظرية وألق المنظور وجنوح النظر بنماذجه المختلفة، موظفا عمق إيمانه بربه، وصلته المتينة بالكتاب والسنة، وفهمه الناضج لهما ولحدود الأطر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تعيشها أمته، وتركن إليها دونما غفلة عن تأثير مستجدات العصر، وتغير ظروف الحال في المكان والزمان على تلك الحدود.

إن فلسفة د.راشد المبارك – رحمه الله – وفكره قد ولد وترعرع في أكناف إنسانيته الفذة، ورهافة حسه ورفيع ذائقته، وقلبه النابض رأفة وحنانا وتعاطفا واحتراما للإنسان. ونتيجة لذلك اتحد منظور د.راشد الفكري مع منظوره الإنساني ومع مثله ومبادئه العليا التي أفرزت فلسفته العلمية الأخلاقية العقلانية الإصلاحية النخبوية، ووجهتها الوجهة التي جعلت منه عالما ومفكرا وفيلسوفا متفردا. ولهذا نجد أن د.راشد لم يحرم شعره من تجربته الإنسانية الفكرية والفلسفية فأسقطها على شعره بعد أن ألبسها ثوب الحكمة والروية لتصبح رمزا ومثلا يستشهد به على أحداث الحياة المثلى من ضمير الإنسان اليقظ المحترق المجروح الغارق في حرقة دمع بلا سفر، وشوق يحيا بلا أمل، فيقول بصوت مدوٍّ يرد له الدمع في مقلتيه، ويبرئ جرح أمته الخفي القاتل :

وأحــرَقُ الـدمـع مـا يبقى بـلا سفر
وأقـتَـلُ الجـرح مـا يخفى ويستتر
وأنـبـل الـشـوق مـا يحيا بـلا أمـل
يـنـثُ طـلا عـلـى الأكـبـاد تنفطر

البعد الثاني: فلسفة علمية إبداعية تأسست على نقل العلم من مرحلة المعلومات إلى مرحلة المفاهيم. فالعلم عند د.راشد المبارك أسلوب حياة، ونمط تفكير، وفكر ووسيلة استنباط وقياس واستدلال واسترداد. لهذا نجده ينحو في فلسفته منحى التنظيريين الذين شغفوا

بالبحث في خواص المادة والعلاقة بين وحداتها اعتمادا على العقل والحدس والتأمل والحس والتجربة. ولذلك أدرك د.راشد المبارك أن التعليم لابد أن تتغير أنماطه الفكرية غير المفاهيمية، وأساليبه التلقينية إلى فكر تعليمي تحويلي يشارك فيه الطالب مع مدرسه في صناعة فكره الذي يقرر نمط شخصيته المستقبلية التي يعول عليها في النهوض التنموي والحضاري والثقافي والفكري المواكب للمشهد العالمي القافز المتطور.

ولاشك أن فكر وفلسفة د.راشد - رحمه الله - تتجلى في إعلائه من شأن الفلسفة ويؤكد شموخها، لكنه في الوقت نفسه يؤكد تهافت بعض المشتغلين بالفلسفة نتيجة لتبنيهم أمرا يتناقض مع شموخ الفلسفة التي يشتغلون بها، وهو تلك النزعة التقريرية والوثوقية في أطروحاتهم التي لا تتعدى كونها خواطر وانطباعات لا ترتقي إلى المستوى الوثوقي الذي يتبنونه. ومن أمثال هؤلاء الفلاسفة التقريريين الذين أشار إليهم في أكثر من مناسبة، وكتب عنهم وتحدث أفلاطون وأرسطو وديكارت وسبينوزا وكانط وشوبنهاور على سبيل المثال لا الحصر.

وتندد فلسفته المستنيرة وفكره العلمي المستقر بالتمذهب الفلسفي الذي جنح بالفلسفة عن حياديتها وموضوعيتها نتيجة للمبالغة في الوثوقية التي تضلل في رأيه مسار الفكر، وتضفي عليه دوجماتية تزور الوقائع، وتحول العقول البشرية إلى شهداء زور، أو إلى حالات يقرر العقل فيها قضية ما، ثم يأتي بما يناقضها.

وتبنى فكرا إنسانيا أخلاقيا عالميا يمقت بناء عليه فلسفة الكراهية والعنصرية المقيتة القاتلة، ويندد بها ويدعو إلى ما سواها من المحبة وعدم الانحياز لجنس أو طائفة أو تيار أو فكر. فالأصل لديه سواسية البشر وإنسانية الإنسان.

وأخيرا إن هذه الفلسفة الإبداعية قد أملت على د.راشد المبارك -رحمه الله- إعجابه بالمتخصصين الأبستمولوجيين المعروفين الذين يجولون بعلمهم من وإلى حدائق المعرفة والثقافة، كما جال وصال هو فيها منطلقا لا يحده تخصص، ولا تعيقه عن التأمل والنظر فكرة مسبقة أيديولوجية دوجماتية غير براجماتية موغلة في الطيف الرمادي الواقع بعيدا عن نظرية المعرفة المعاصرة الديناميكية الصانعة للعلم والثقافة والمعرفة.

البعد الثالث: فلسفة منهجية منظورية التوجه، تمثلت في أبحاثه ومؤلفاته في آلية الكم، وفي الاندماج المغزلي، وتأثير ذلك على مستويات الطاقة في الذرة والجزيء. كما تمثلت أبحاثه في الفكر والفلسفة والثقافة التي تعد جميعها بحق أطراً مرجعية يعتز الدارسون بمنهجيتها الصارمة السديدة، وجديتها في الطرح، وأصالة منشئها ومبتغاها ولغتها البلاغية الراقية.

ومن أولى جهوده العلمية التي وجهها فكره وفلسفته عن الطبيعة ومكنوناتها؛ حساب الفرق بين قيمة التفاعل في حالة الذرة المفردة وقيمته عندما تتحد مع ذرات أخرى، كما هو الحال في العناصر الانتقالية التي سعى د.راشد المبارك -رحمه الله- إلى حل استشكالها الذي كان مرده الكشف عن سبب الاختلاف.

إن فكر وفلسفة د.راشد المبارك المنهجية الإبداعية قد أفرزت فسيفساء نادرا من المؤلفات التي من أولها مؤلفه في «كيمياء الكم» الذي شاركه في تأليفه أ.د.معتصم خليل إبراهيم أستاذ الكيمياء بجامعة الملك سعود. وقد عكس

هذا الكتاب فكر وفلسفة د.راشد المبارك الفيزكيميو رياضية وبخاصة في مجالي نظرية المعرفة التفاضلية التكاملية، والاندفاع الزاوي نظريا وتطبيقيا.

ويعتبر كتابه (هذا الكون: ماذا نعرف عنه؟) سفراً علمياً رائعاً عرض فيه الدكتور راشد المبارك -رحمه الله- عدداً من قضايا علوم الطبيعة والكون والرياضيات إضافة إلى السياسة والدين وفق أسلوبه العلمي الدقيق، ولغته العربية الناضجة التي يفاخر بها كل اللغات، ويتصدى لمن ينتهكها أو يقلل من شأنها.

ويعد هذا الكتاب رحلة علمية جاذبة ممتعة مستقطبة في حقول عدة من نظرية المعرفة الكونية المعاصرة كفيزياء المجموعة الشمسية والخصائص الفلكية للنجوم والمجرات والثقوب السوداء وفي أبستمولوجية نظريتي النسبية الخاصة والعامة، وآلية الكم وفلسفة هذه النظريات وكينوناتها المدهشة.

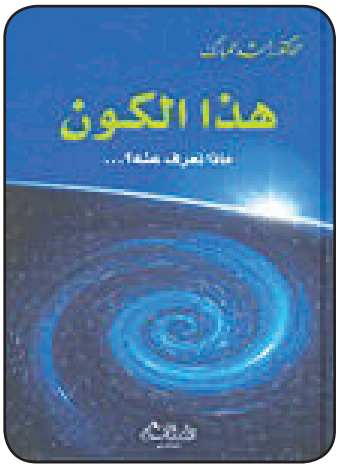

وتضمن الكتاب مناقشة فكرية متعمقة لأثر التقدم التقني على المسار العلمي المعاصر من ناحية وتأثير القوانين الطبيعية على الفكر الديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي في الغرب، وتأرجح المقولات العلمية بين التغير والثبات من ناحية أخرى. لهذا كان الكتاب ولا زال مرجعاً للقاصي والداني في علوم الكون، ومدرسة تعكس منظوراً فريداً في التأليف العربي، وإضافة رائعة للمكتبة العربية في هذا المجال.

ولاشك أن قلم الدكتور راشد المبارك البليغ، وتخصصه العلمي الدقيق في كيمياء الكم، وميكانيكياتها المتنوعة، وخلفيته الرصينة الراسخة في أعماق علم الكون وفلسفته وثقافته الموسوعية؛ قد أعطى كتاب (هذا الكون) التميز العلمي الذي يعد سمة لما يكتبه الدكتور راشد، وديدن مساره العلمي الفكري المرموق.

وقد نجح كاتب هذا المؤلف في رأب الصدع بين العلم المتخصص الدقيق الذي يهابه الناس، والثقافة العلمية العامة التي يعاني البنيان الفكري لأمتنا من نقص حاد فيها. فجاء الرأب في الكتاب مسددا هذا النقص وشاملاً في إحاطته، وعميقا في أسلوب عرضه ومحتواه، وكاشفا للغوامض في أمور لا يمكن كشفها بمثل هذه الإحاطة والدقة التي وردت في الكتاب إلا من قبل قامة علمية كقامة الدكتور راشد المبارك رحمه الله.

وإنني أتفق مع ما ذكره د.المبارك -رحمة الله عليه- في كتابه (هذا الكون) من أن «مدارك البشر ومعارفهم هي مقربات الرؤية الكاشفة لأبعاد هذا الكون، وأن مجال الرؤية يتسع بهذه المقربات بقدر اتساع المعارف ونضج المدارك». وأعتقد أن اقتران الخيال بالفكر، والتذكر بالتصور، هو الزاد الحقيقي لمن أراد أن يستمتع بتجليات الكون المتوهجة، ودقائقه المتخصصة التي عرضت معانيها في هذا الكتاب ومفاهيمها دونما إخلال بدقتها أو مساومة بصحتها.

ولم يكن هذا الكتاب هو الوحيد الذي يحمل مدرسة د.راشد المبارك الفلسفية وفكره، وإنما هناك مؤلفات أخرى لا تقل جودة وإتقاناً عن كتاب (هذا الكون). ولاشك أن خلفية د.راشد المبارك الفلسفية المتعمقة، وفكره الناضج، وعلمه الغزير، وشاعريته المتألقة ومشاعره الإنسانية الكريمة والوجدانية المرهفة قد أكسبت كتبه ألق العالم الأديب، وتأمل الفيلسوف الحالم المحلق. وقد تجلت هذه السمات في كتابه الموسوم (قراءة في دفاتر مهجورة)

الذي دعا فيه إلى حلف فضول جديد موظفا فيه رؤيته الفكرية وتحليله الفلسفي في أسباب خمود جذوة الفكر الإسلامي ومغالاة الأمة في صناعة الكلام.

ومن مؤلفاته الحديثة الأخرى كتابه (فلسفة الكراهية: دعوة إلى المحبة)، وكتابه (نزار قباني بين احتباسين)، وكتابه (التطرف خبز عالمي)، وكتابه (شموخ الفلسفة وتهافت الفلاسفة) الذي فاز بجائزة وزارة الثقافة والإعلام السعودية في دورتها الأولى لأفضل كتاب للعام ٢٠١٢م. ويعد هذا الكتاب كغيره من مؤلفات د.راشد المبارك إضافة حقيقية للمكتبة العربية.

هذه المنجزات العلمية هي خير شاهد على ما تحمله مؤلفات راشد المبارك -غفر الله له- من رؤى غنية وثرية بالتفكير العلمي المستنير الحر المستقل، والعمق الذي تحتاج إليه الثقافة العلمية في بلداننا العربية.

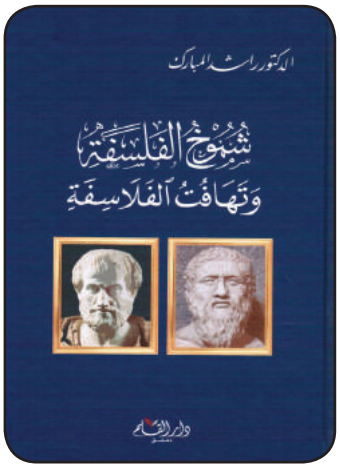

ولا ننسى أن نضمن قائمة عطاءات د.راشد المبارك ديوانه الموسوم (رسالة إلى ولادة) الذي تأثر في رأيي بفلسفة فكره ومنظوره عن الحياة والكون. ولاشك أن هذا الديوان يعد سفرا لأعماق د.راشد المبارك يدغدغ فيه عواطف قرائه، ويسحرهم بلغة شعره الجياشة الفياضة، ويرحل بهم ليحط الرحال في مكامن كشف الغطاء والغوامض عن شفرات رموز شعره.

إن شعر د. راشد صور تتحرك ضمن أطياف الشاهد المقيس من الحالات التي تبهر المتلقي وتدهشه، فتجعله يعيش تجربة حية تثير عواطفه ومكامن وجدانه، وتوقظ فيه استشعار الشعر وشاعرية الشاعر لينساق بعقله وعاطفته معا وراء الأداء البارع في التصوير وشعرنة الأحداث والانتقاء الموفق للفظة التي تسبح بقارئها بلغة علمية، وألفاظ مصطلحية ضمن أطياف الماضي والحاضر، متجاوزة سقطات الزمان، وعجائب المكان وأهواله نحو زمكنة مستقبلية تجديدية مشرقة مليئة بالأمل رغم الألم الذي يكتنفها.

فالشعر عند د.راشد المبارك رحمه الله جسر للأمل رغم مثبطات الأمل، وهول محفزات الألم واليأس لحاضر ما مضى، وماض ما حضر؛ من الظواهر والأحداث والحالات مؤملا د.راشد أن لا يكون ما استقبل من الزمان وصروفه في شعره مثل ما استدبر من ماضي زمان أمته وحاضرها.

ويعد شعر د.المبارك غفر الله له نمطاً متفرداً من أنماط الوجد والألم والأمل وكل توافقات النفس البشرية وتعارضاتها ومقارباتها أو مفارقاتها. وقد عكس شعره زخما من شذرات تخصصه الدقيق وفلسفة فكره المنبثقة من آلية الكم التي تصف سير الضوء من مصدره إلى مبتغاه في دفقات غير متصلة الأطياف يطلق على كل وحدة منها كوانتا، أي دفقا متقطعا غير متواصل المسير وغير مرتبط، فيقول:

يا لؤلؤ الحسن دفق الضوء رنقه
قبل المغيب انسكاب اللون في الشفق
ويا نضارة زهر ماج في مرح
وعودة الرفة الجذلى إلى الحدق

وقال في قصيدة أخرى:

يحاصر الشوق روحينا فيمزجها
حتى ليتحد المنظور والنظر

متأثرا مرة أخرى في حبكه لهذا البيت وفي غيره الكثير من شعره بمنهجيته العلمية الاستقراء-استدلالية

في النظر والتجريب، والاستنباط والتعميم، التي تجانس بين النظر كمشاهدة والمنظور كرؤية لسبر مكنونات الجسيمات النووية في آلية الكم أو الكوانتم التي تمثل حقل تخصص د.المبارك الدقيق رحمه الله.

وبعد كل هذا وذاك فشعر د.راشد المبارك غني بقاموس بيئي ثري من الألفاظ الرقراقة، والعبارات الدافقة الدفيئة المعبرة. فنلمس في شعره قاموسا يحوي ألفاظا علمية بحتة من مثل الإشعاع، والسحب والغمام، والشهب والبروق، والصحراء بحرها وقرها، وعبارات من مثل «ألوان من الطيف أشرقت»، و«السرب قد ضيع السرب»، و«الركب قد ضيع الركب»، و«سكب اللحن ينهمر»، و«وعطش النهر»، و«وحنين الضوء أظمأت الظمى»، و«ضجيج الصمت»، و«دفق الضوء». وهذه الألفاظ والعبارات التي شكلت فسيفساء شعر د.راشد المبارك رحمه الله لم تكن لتتشكل لولا عبقرية شاعرنا، وقدراته الفكرية الناضجة، وفلسفته الواعية، ووجدانه الصادق، وحسه المرهف، ولغته الرصينة، وثقافته الموسوعية، وفكره العلمي المنهج فلسفيا ومعرفيا.

أعزائي: لم يحرم الدكتور راشد المبارك رواد الثقافة السيارة من كتاباته عن قضايا أمته ووطنه، مشاركاً إياهم فكره وفلسفته، ومهدياً قراءه أنفس أكاليل عطائه. فما كتبه في الصحف المحلية والإقليمية وبعض صحف العالم ما هي إلا دعوة للارتقاء بأمته والإفصاح عما يفرحه أو يحزنه فيها، وعرض لوجهات نظره الجريئة في قضاياه الشائكة والشائقة، وتعبير عن رؤياه لحل أزماتها.

إن ما كتبه الدكتور المبارك في الصحف السيارة هي، في رأيي، حافز للأمة على منافسة العالم المتقدم في مجال العلم والفكر والثقافة والابتكار والإبداع والتأصيل، وتنمية الإنسان وترسيخ مفاهيمه الصحيحة عن الحياة والكون، ومأسسة سبل تطوير الموارد البشرية، وتعزيز آفاق التفكير السليم، ونشر أبعاد الثقافة العلمية الناضجة.

إخواني: اسمحوا لي أن أختم حديثي هذا بوتر من أبيات قصيدة نظمتها في حفل سابق لتكريم د.راشد المبارك كان لأخي وصديقي المبجل د.حيدر الغدير دور في مراجعتها وتنقيحها أراها مناسبة لهذا المقام أهديها من خلاله إلى أخي وشقيقي د.راشد المبارك رحمه الله، عرفانا مني له بالفضل والإحسان والجميل، فأقول:

أسكنت قلب محبيكم بلا عنت
والشاهد الصحب والأخبار والسير
إذا الخطوب ادلهمت في مرابعنا
أسرعت كالليث للعلياء تنتصر
العلم والفكر والأبحاث شاهدة
وما تقول النهى لا ما زور البشر
تجيد حل قضايانا بلا سأم
أنت الهصور لضد الحق تبتدر
أعطيت أجزلت ما أثنت عزائمكم
صعاب درب ولا الأشواك تنتشر

إخواني: إن حديثي هذه الليلة هو شذرات من نظرات في فكر وفلسفة د.راشد المبارك رحمه الله، وما حديثي إلا غيض من فيض، وأن ما سطرته عنه في هذه الصفحات ما هو إلا جهد المقل، وعذري فيه أن ما لا يدرك كله لا يترك جله.

أملي أن أكون قد وفقت في هذه القراءة لأعماق د.راشد المبارك رحمه الله، الذي مذ عرفته من ثلاثين عاما وهو لم تغيره السنون، وتقلبات الزمان، ومباهج السمعة التي يحتلها محلياً وإقليمياً وعالمياً.

رحم الله د.راشد المبارك رحمة واسعة، وتغشاه بفضله وكرمه، وجعل قبره روضة من رياض الجنة، وثبته بالقول الثابت، وأنزله في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا. وإنا لله وإنا إليه راجعون■

د. مرزوق بن تنباك

راشد الإنسان

عندما نتحدث عن راشد المبارك لا نتحدث عن رجل، بل نتحدث عن قيم، وعن فقد قيم ومروءة لا توجد في كثير من الأحياء.

نجد العلماء في الفيزياء والكيمياء والشعر والتاريخ وفي كل مناحي الحياة، لكن الذي لا نجده إلا في النادر هي هذه الصفات التي تجسدت في خلق راشد وسلوكه، وفي قيمه التي جسدها،

وأنا سأتناول جانبا لا أظن يعرفه الكثير من الناس، بل لعلي أعجز عن وصف هذا الجانب، وهو الجانب الذي لا نجده إلا في القليل، ذلك هو راشد الإنسان، راشد الذي تتمثل فيه المروءة بكل أبعادها.

وأنا والله لا أقولها مجاملة، ولا أقولها في سبيل الرثاء، لكن أشهد الله ما عرفت رجلا في حياتي فيه هذه الخاصية!. ذلك الإنسان في شعوره، ورقة طبعه، ورفقه بالضعفاء، رأيت في مجلسه كبار القوم وأنتم تعرفون صلته بالكبار قبل الصغار، لكني لا أرى راشدا إلا مع أصحاب الحاجات الذين لا تصل حاجاتهم إلا عن طريقه والذين يحتاجون إليه. وسبق أن قال: إنه ليس صاحب مال، ولكن الله أنعم عليه، بل أنعم على البلاد بأن وجد فيها مثل راشد، فكان جاهه، وكانت شفاعته، وكانت قيمته عند أولي الأمر وعند رجال الدولة، كلها جعلها في سبيل من لا تصل حاجاتهم إلا عن طريقه، ومن لا يستطيع أن يجد عونا إلا الله ثم راشداً.

إن ضعفه تراه أمام دمعة الضعيف، وأمام حاجة المحتاج، إذا أردت أن تأخذ من راشد شيئا، فاذكر أمامه حاجة إنسان لا يستطيع أن يقضي حاجته سواء كانت مادية أو معنوية.

رأيت بعيني وعلمت عن أناس يحتاجونه وهو لا يعرفهم، فيأخذ قضيتهم كأنها قضيته. هذه الصورة.. هذه الكلمات لا تسجل في الكتب، بل يعرفه من كان له صلة براشد.

في آخر أيامه شعرت أنه ناله كثير من الضعف، ولكن روحه الإنسانية قوية، وآخر ما قابلته كان يتحدث عن بعض قضايا ضعفاء الناس الخاصة.

ورحم الله راشداً فلن يتكرر مثله في المدى القريب، وسيفقده أصدقاؤه الذين يعرفونه عن قرب، وستفقده أمته التي بذل جهده وعمره في خدمتها.

لقد كان همه قضايا الأمة، ساهم كثيراً في إصلاح ذات البين حتى بين الدول، ووفقه الله بثقة ولاة الأمر، وساعدوه ليكون رسول سلام في كثير من القضايا، ولعلكم قرأتم ما كتب الشيخ جميل الحجيلان في رثاء راشد المبارك، وكيف كانت سفراته لإصلاح ذات البين. لا يعرف إلا الحب للناس كافة إذا استقر الحال وأمور الناس، وبارك الله في بنيه، وليس بغريب فهو من أسرة كريمة في العلم والمجتمع، والفضل الباقي في بنيه وأبناء عمه وأسرته■

امتداد للحضارة الخالدة

الزبير بن إبراهيم المبارك

إن كان من شيءٍ أقدّمه بين يدي هذه الورقة، فهو أن أشكر باسمكم صاحب هذه الندوة الميمونة، وأعترفَ له بالجميل، وحسن الصنيعِ في اضطلاعه بأمر هذه الندوة، والقيام بها أحسن قيام، وفاءً لمؤسسها الأول ـ رحمه الله ـ خاصةً، ولأهل العلم والفكر عامَّةً.

وأنْ أشكره مرة أخرى لإكرامه رجال العلم والفكر، بالتّذكير بآثارهم ومآثرهم، وفاءً منه لهم، واعترافًا منه بفضلهم، ولله درُّ ما قال الأول :

وما عبَّر الإنسانُ عن فضلِ نفسه
بمثل اعتقاد الفضل في كُلِّ فاضل

فالحمد لله الذي جعل في الشكر خروجًا من الحرج، وبُلغةً في المكافأة، وكِفاءً بإزاء النعمة، بل رضيه لنفسه من عباده، وقرن شكر ذي النعمة من عباده بشكره.

أيها الإخوة..

يرحل عنا الأماثل ونحن في زمنٍ تتقاذفنا فيه هوج العاصفات في مَهَامِهَ قُذُفٍ لا نتبيَّنُ فيها جهة القصد، ولا منارات السبيل؛ فإذا ما انكشفت العماية انكشفت عن طُرُقٍ غيرِ نهجة، ما إن نسلك منها طريقًا إلا تنكبناه إلى آخر، على غير هَدْيٍ منّا ولا نظر:

ضللنا طريق الهاديات عشيّةً
فباكرنا صُبحٌ من الليل أغربُ!!

يرحلون عنا في زمنٍ أحوجُ ما نكون فيه إلى من نترسّمُ خطوه، ونهتدي بسمته، ونستنير بفكره.

أمّا عن المحتفى بذكره ـ لا المحتفى به، إذ ورد على من هو أحفى به وأكرم وأرحم ـ فقد رحل عن هذه الدار محمود الفعل في بني جلدته، عظيم الأثر في قومه، لم يزل ـ بفضل الله ـ غدُهُ خيرًا من يومه حتى بلغ المدى، ووافى الأجلُ، ونزل على الكريم الذي تحرَجُ العقول في عفوه ومغفرته.

وأمَّا نحن ـ وإن عظم الخطب ـ فلا يحسُنُ بنا أن نردد إثر كلِّ راحلٍ عنا من ذوي الخطر:

قد كان فيك لمن مضى خلفٌ
فاليوم أعوزَ بعدك الخلفُ

فسوء الظنِّ يُفضي إلى سوءِ الفعل، وسوءُ الفعلِ لا يورِثُ إلا قبحَ الأحدوثة.

نعم؛ قد عاشوا فينا بحسن الخلافة لمن قبلهم، ولن نعدم الخلَفَ بعدهم بإذن الله، أليس قد قال العربيُّ :

وكنّا نجومًا كلّما انقض كوكبٌ
بدا زاهرٌ منهنّ ليس بأقتما

بـــدا زاهـــرٌ مـنـهـن تـــأوي نجـومُـهُ
إلـيـه إذا مـسـتـأسِـدُ الـشـرّ أظـلـمـا

وبعد مرّة أخرى..

يَصعُبُ على المتحدث عمّن يحبُّ أن يلزم الحيد في القول، والقسط في الحكم، كيف وقد اتصلت به ـ إلى المودة ـ أسباب الرحم، وما ذلك إلا لما طُبِع في الفِطَر، واستقرّ في الطبائع من النزوع إلى وشائج القربى، إلا أنّ الذي يُعرِّفكم صوابي من خطئي أني سأتحدّث عن شيءٍ ظاهرٍ لكم غير خافٍ عليكم.

ليس يخفى على من جلس إلى العم الدكتور أو قرأ له، اعتزازُه بأمّته اعتزازًا قد يحجُبُه عن الكثير منّا تجرُّدُه في النقد، وعدُولُه عن المجاملة في الحكم على قضايا سابقةٍ أو معاصرة، ولعل قوله:

إنّـــا وإيّـــــاك، والأمـــثـــالُ شـاهـدةُ
لـيَـعْـلَـم الـدهـرُ أنّـــا مـن أعـــزِّ حمى

مما يشهدُ له بذلك.

يظهر ذلك في حديثه؛ فهو يأنف أن يتكلّم بغير العربية في أيّ فنٍّ من الفنون كان حديثُهُ. ولو كان في علوم الكون والطبيعة التي قصرنا لغتنا دونها ـ إيمانًا منه بسموِّ هذه اللغة الشريفة، وثقة ببيانها وسَعتها، واعتقادًا أنّها عمادُ الفكر الصحيح لحَمَلَتِها، في زمن خُدِعنا فيه لا أقول عن لغتنا؛ بل عن حضارتنا، نُخَلِّئُ أنفُسنا عن حياضها، ونغمزُ ثوابتنا بقُنَيّنا.

وأحسبُ أنّي لا أُبالغ إذا قلت: إنّ من يستمعُ له وهو يخوض في الأدب والشعر خاصّةً. أو يقرأ له. لا يخطرُ له ببالٍ أنّ الرجل أُستاذٌ في الكيمياء، وما رسالتُه في شاعرية المتنبي إلا شاهدٌ على حسنِ بصره، ودّقة تأمّله، وسَعَةِ اطّلاعه، بصرفِ النظر عمّا وصل إليه من أحكام أوّلُ من خالفه فيها مُقدّم كتابه. رحمهما الله..

وكونِ المرء يتكلم في غير اختصاصِه بثقةٍ وركانَةٍ ـ وإن كان مما يُتندَّرُ به في زماننا ـ ليس بعجيبٍ في ذاته، في أروقةِ حضارةٍ حُرّةٍ لا تعرفُ رجالاتُها (التخصُّص)، ولم تُحكَّم في معارفها (الشهادات)، والعم الدكتور ـ فيما أحسب ـ امتدادٌ لهذه الحضارة الخالدة ■

عطش النهر

شعر: راشد المبارك

أُدني كيانكِ من قلبي وأشربه
أحن للموجتين السود.. للغرقِ
ظام إليك وسكناك جوانحه
قلب من السكر من عينيك لم يفقِ
يا لؤلؤ الحسن.. دفقَ الضوء رنقه
قبل المغيب انسكابُ اللون في الشفقِ
ويا نضارة زهر ماج في مرح
وعودة الرفة الجذلى إلى الحدقِ
ونسمة حملتها كف سوسنة
ففاح منها ضجيج العطر في الطرقِ
وعودة الروح في نفس حشاشتها
تبددت ما بقى منها سوى رمقِ
ضمي إليك جناحاً هده سفر
شوقا إلى أيكة مخضلة الورقِ
قد كنت قبلك طيراً ما ارتضى غُصناً
ترتاح أجفانه فيه من الأرقِ
حتى نزلت على صحرائه مطراً
فجُن زهر وجُن الروض من ألقِ
يا فتنة أسكرت نجماً وصافية
من الجمال ومال السكر بالأفقِ
وكرمة صدحت أعنابها فرحاً
ويا عناقيد لم تقطف ولم تذقِ
ويا أريجُ بها جن الربيع به
وضمخ الورد بالألوان والعبقِ
صبي بهاكِ بقلب لا ارتواء له
وأطفئي فيه ما لاقى من الحرقِ

راشد

أنجبتك الأحساء والعلياءُ ... والجدود الأجلَّة الأصفياءُ

والسجايا الحسان وهي سمو ... والطباع الكرام وهي وِضاء

والعقول التي توقَّدُ فهماً ... يتبارى فيها الهدى والذكاء

والمروءات وهي فضل عليه ... من شذا النبل حِلْية حسناء

وتقاليد أسرة صرن عهداً ... في بنيها يصونه الأوفياء

وهم الأوفياء كانوا وظلوا ... وشهودي الآباء والأبناء

يرضَعُ المرءُ دَرَّها وهو طفل ... فإذا اشتد طال منه البناء

ويصون الشيوخُ ما أثَّلوه ... من فخار هو السنا والسناء

ويزيد الشباب فيه جديداً ... بردتاه تواضع وإباء

أسرة بارك الإله عليها ... وحباها من فضله ما يشاء

فهي حشد مبارك من أصول ... وفروع آلاؤها خضراء

كلهم راشد وكل نبيل ... وصفي مبارك معطاء

يعربيون مسلمون سراع ... للمعالي كذلك الشرفاء

وبيوت السَّراة تهدي وتسدي ... والدواعي سجية بيضاء

لم أجامل لما مدحت علاهم ... فالذؤابات في العلا النبلاء

ونفوس الأنام كانت وتبقى ... هذه حرة وهذي إماء

فاختر الأفضل الأعز وصنه ... تصبح المرء داره الجوزاء

د. حيدر الغدير - السعودية

* * *

أيها الراحل المقيم وداعاً ... فيه أحزاننا وفيه الدعاء

وعليه مع الوفاء ثناء ... وعليه مع الثناء رجاء

أن تنال الرضا من الله جمّاً ... إن غفرانه البحور الملاء

رحمة الله لا تحد وفيها ... تتوالى بعد المدى أمداء

هذه الأرض بعضها وهي منها ... ذرة لا ترى وبعض ذُكاء

وهي رغم الآثام تحنو علينا ... مثل أمٍّ أبناؤها قد أساؤوا

إنها ظئرهم وهم راضعوها ... وهي جذلى وكلها أثداء

وعسانا يا راشد نلتقيها ... إنها غاية المنى والنجاء

* * *

أيها الراشد الذي غاب عنا ... هذه الدار راحل عداء

يتوالى سرورها وشقاها ... وقصير سرورها والشقاء

وبها الناس محسن ومسيء ... وبها الفاسدون والأتقياء

سنة الله أن تكون خليطاً ... يلتقي فيه نافع وغثاء

ثم يطوي الجميع ذات مساء ... أو صباح مهما تراخى الفناء

والورى في رحابها ألمعي ... وغبي يصول فيه الغباء

كلهم في مدارها ورحاها ... إن تساموا وإن ونوا أسراء

وقليل منهم يجوز فيعلو ... حين تغريه همة قعساء

ثم يقضون في قِلىً أو رضاء ... فحرام على الأنام البقاء

* * *

أيها الراشد الذي سودته ... شيم من خصاله غراء

وخصال موروثة من ذويه ... هي دين وعزة وسخاء

نم هنيئاً فأنت ضيفٌ كريمٌ ... لكريم آلاؤه سحاء

يا سيّداً كان في الأفلاك مسكنه

د.أحمد التويجري- السعودية

يَاحَادِيَ الرَّكْبِ لاتَعْجَلْ لِمَ العَجَلُ؟ ... هوِّنْ عَلَيْكَ فَقَدْ سُدَّتْ هُنَا السُّبُلُ

لَمْ تَبْقَ بَعْدَ أبِي بَسّامَ قَافِيَةٌ ... وَلَا حُدَاءٌ وَلَا دَرْبٌ وَمُرْتَحَلُ

وَلَا مَلَذَّاتُ فِي عَيشٍ وَلَا مُتَعٌ ... وَلَا نَدِيٌّ بِقَدْحِ الفِكرِ يَشْتَعِلُ

قَدْ أَقْفَرَتْ كُلُّ أَفْيَاءِ الهَوَى وَذَوَتْ ... أَغْصَانُهُ وانْزَوَى عَنْ لَحْنِهِ الغَزَلُ

وَغِيضَ نَبْعُ النَّدَى مُذْ شُقَّ مُلْحَدُهُ ... وَالمَكْرُمَاتُ طَوَاهَا بَعْدَهُ الأَجَلُ

يَا سَيِّدَاً كَانَ فِي الأَفْلَاكِ مَسْكَنُهُ ... وَكَمْ أَفَاقَ عَلَى إِشْرَاقِهِ زُحَلُ

مَنْ لِلمَكَارِمِ إِنْ عَزَّتْ مَوَارِدُهَا ... وَلِلكِرَامِ إِذَا أَعْيَتْهُمُ الحِيَلُ

وَمَنْ لِقَافِيَةٍ تَشْتَاقُ شَارِدَةً ... مِنَ القَصِيدِ بِجَفْنِ النَّجْمِ تَكْتَحِلُ

وَمَنْ بِحَالِكَةٍ يَهْدِي السُّرَاةَ إِذَا ... يَوْماً تَشَابَهَتِ الأَقْوَالُ وَالنِّحَلُ

يَاسَيِّدَ الشِّعْرِ قُلْ لِي أَيُّ قَافِيَةٍ ... تَسْطِيعُ حَمْلَ شُجُونِي تَنْهَمِلُ

رَحَلْتَ يَا سَيِّدَ العُشَّاقِ فَارْتَحَلَتْ ... قَوَافِلٌ وَقُلُوبٌ فِيكَ تُخْتَزَلُ

مَلأْتَهَا بِهَوَاكَ العَذْبِ مُذْ رَشَفَتْ ... مِنْكَ الهَوَى وَسَقَاهَا كَأْسُكَ الثَّمِلُ

فَلَا تَلُمْهَا إِذَا ضَاقَ الوُجُودُ بِهَا ... مَنْ ذَا يَلُومُ قُلُوباً هَدَّهَا الثَّكَلُ

يَا سَيِّدِي وَفُؤَادِي اليَوْمَ مُنْصَدِعٌ ... وَالشَّوْقُ يُورِدُهُ مَا لَيْسَ يَحْتَمِلُ

رَحَلتَ عَنَّا وَلَيْلُ الجَهْلِ يُوحِشُنَا ... وَدَاحِسٌ فِي الحِمَى وَالعُرْبُ تَقْتَتِلُ

بَغدَادُ بَغدَادُ لَمْ يَبْقَ الرَّشِيدُ بِهَا ... وَلَا الرَّشَادُ وَهَدَّتْ صَرْحَهَا العِلَلُ

وَالشَّامُ ما عَادَ فِيهَا لَيْتَهُ عُمَرٌ ... إِذْ خَانَهَا الفُرْسُ وَيْحَ الفُرْسِ مَا فَعَلُوا

وَعِنْدَ بَلْقَيْسَ أَفَّاكٌ وَمُخْتَلِسٌ ... وَحِمْيَرٌ مَجْدُهَا يَغْتَالُهُ ثُعَلُ

وَفِي الكِنَانَةِ يَا لَلْعَارِ مَخْمَصَةٌ ... لِلّه مَا فِي سَوَاقِي النِّيلِ يَعْتَمِلُ

يَا سَيِّدِي يَا شَجِيَّ الحَرْفِ يَا أَلَقاً ... أَنَارَنَا حِينَ غَابَ النُّورُ وَالأَمَلُ

مَا زِلتَ فِي كُلِّ فِكْرٍ مُوقِداً قَبَساً ... يَجْلُو الرُّؤَى وَلَهُ كَمْ يُشْرِقُ الجَدَلُ

وَلَمْ تَزَلْ فِي شِغَافِ أَنْتَ بَهْجَتُهَا ... فِيهَا شَرَابٌ لِذِكْرَانَا وَمُغْتَسَلُ

لَا لَنْ تَغِيبَ وَلَنْ يَنْسَاكَ مَنْ مُلِئَتْ ... قُلُوبُهُمْ بِالجَوَى حَتَّى وَإِنْ شُغِلُوا

وَسَوْفَ تَبْقَى وَتَبْقَى فِي الدُّنَا شَجَناً ... مَهْمَا أَجَنَّكَ فِي أَحْشَائِهِ طَلَلُ

(*) (جريدة الجزيرة: الجمعة ٢٧ فبراير ٢٠١٥م)

لهفي عليك

د. وليد قصّاب

لهفي عليك عميدَ هذي الدّار ... لـوعـتَ قـلـب أحـبـةٍ أبـرار

وجرى القضاءُ ولا سبيلَ لردِّه ... إنّ القضاءَ على الجميعِ لجار

ها قد رحلتَ، وكلُّ حيٍّ راحلٌ ... مـا هـذه الـدّنـيـا بـدارِ قـرار

لكنّ من يمضون ليسوا كلُّهم ... مثل البدورِ تضيء في الأسحار

مـا كـلُّـهـم مـثـلُ المبارك رفعةً ... قد ألبسوا التّاريخ ثوبَ فخار

ما كلّ من يمضون يبقى ذكرُهم ... فَـوْحًـا تـضـوّع مـن فـمِ الأزهـار

ما كلُّ من يمضون يُنقشُ رسمُهم ... رمـزًا عـلـى بـوابـةِ الأعـصـار

بل بعضُهم يمضي كمثلِ سحابةٍ ... عـبرتْ إلى الدّنيا بوجهِ نهار

مـا خـلّـفـوا أثـرًا يحدّث عنهمُ ... لم يكتبوا سطرًا من الأسطار

لم يغرسوا في الأرضِ يومًا بذرةً ... لم يـزرعـوا شـبرًا مـن الأشـبـار

لـكـنْ أبـو بـسـام ذكـرٌ خـالـدٌ ... مـا عـمـرُه في الأرضِ كالأعمار

ما كان كـالآلافِ شخصًا عابرًا ... أو كـان في الـدّنـيـا مـن الأغـمـار

أنى مضيتَ فمنه غصنٌ ناضرٌ ... وحـديـقـةٌ مـمـلـوءةٌ بـثـمـار

قد كنتُ أحسبُه أديبًا شاعرًا ... صاغ القوافيَ مثلَ صوغِ نُضار

وحسبتُه متخصصًا بثقافةٍ ... في الـفـنِّ والـتّـاريـخِ والأخـبـار

لكنهم قالوا: هو الأستاذُ من ... أهـل الـعـلـوم وبحرِها الزّخّار

فعلمتُ أنْ يـا رُبّ فـردٍ أمـةٌ ... سـبـحـانَ ربِّـك واهـبِ الأسـرار

* * *

يـا راشـدًا ومـبـاركًـا غـادرتـنـا ... والـقـلـبُ بـعـدك في لظى وأُوار

كم ضمّ مجلسُك الأثيرُ أحبّةً ... فـغـدا كـروضٍ ثـقـافـةٍ وحـوار

كم ضمّ هذا البيتُ من علماءَ من ... فـقـهـاءَ، مـن أدبـاءَ، مـن أخـيـار

أَحَـديّـةٌ سـيـخـلّـدُ الـتـاريـخُ مـا ... شـهـدتْـه مـن عـلـمٍ أسـمـار

وبـأنّ راشـدَ كـان رائـشَ سـهمها ... أبـلـى بـلاءَ الـفـارسِ المـغـوار

فـاللّه يـرحـمُـه ويـجـزي سعيَه ... بـجـزاءِ أهـلِ الجـنـةِ الأطـهـار

راشد المبارك
في عيون الأدباء والنقاد والكتاب

للدكتور راشد المبارك -رحمه الله تعالى- مكانة كبيرة، على المستوى العلمي الأكاديمي، وعلى المستوى الأسري الاجتماعي، وله قامة أدبية ثقافية فكرية عالية، عرف بندوته الأحدية منذ ثلث قرن فكتب اسمه بعلمه وعمله، وأدبه وفكره مع النجوم الذين يشار إليهم بالبنان، وقد عبر عن مكانته هذه رجال العلم والأدب والفكر في حياته، وبعد مماته، وقد جمعنا في هذه الصفحات طاقة من أزاهير القول من حديقة غناء وارفة الظلال، فواحة الأزهار، فماذا قالوا عنه؟!

قال الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله- في تقديمه لكتاب: قراءة في دفاتر مهجورة:

عرفت الدكتور راشد المبارك من سنين، ومنذ عرفته حرصت على صحبته ومجالسته وقراءته، فهو عقل كبير،وخلق رحب، والطريف أنه أستاذ في علوم الكون والحياة، ولكنه مكين في الأدب العربي، خبير بشعره ونثره، ويظهر ذلك في أسلوبه الذي يتضمن عبارات فنية من مصطلحات الفيزياء والكيمياء، ولعله يظهر قبل ذلك في منطقه العقلي حين يعالج قضايا مختلفة بين الدين والحضارة والتاريخ.

الشيخ محمد الغزالي

وقال الدكتور عز الدين موسى:

الدكتور راشد المبارك، هو كيميائي التخصص، وله فيه مشاركات ومساهمات علمية مقدرة يعرفها أهل فنه، لكنه لم يتترس في تخصصه الدقيق مثل ما فعل أهل التخصصات في كل فن من أهل عصره، ذلك لأن

له توقا للانفتاح المعرفي، وأن له شوقا للسباحة في عوالمها المجهولة، فانفتح على بقية العلوم الطبيعية، وسعى لتبسيطها، وإذاعتها في الناس.

ومنهج المبارك يقوم على ركيزتين رئيستين: إعمال العقل وتكريم الإنسان، متناولا لهما بأسلوب منطقي، ونهج رياضي، ونفس إنساني، وديباجة أديب

د. عز الدين موسى

مطبوع مفطور، وهذا يُلمح في كل إنتاجه العلمي على تعدده وتنوعه».

وقال د. أحمد البراء الأميري:

الأدب ما تأخُذُ به نفسَك من محمود الخِصال، وكريم الفِعال، وهو - كذلك - فنُّ القَوْلِ الجميل، شِعرًا كان أو نثرًا، فالأدب بهذا النَّظَرِ أدَبان، ومن كلَيْهما أخَذ الدكتور راشد المبارك حظًّا وافرًا.

أمَّا أدب النَّفس فلا يعرفُه في أديبنا إلا مَن عاشَرَه عن قُرْبٍ وطالَتْ عِشرتُه له، وأنا واحدٌ من هؤلاء؛ إذ جاوَزَتْ صُحبَتي له ثلاثين سنةً رأيتُه فيها في غضَبِه ورِضاه، وصحَّته وسقمه، ومنشطه ومكرهه، فوجدت فيه مجموعةً من المَزايا هو فيها نسيج وحدِه؛ ولا يملكُ مَن عرَفَه حقَّ المعرفة إلا أنْ يحلَّه من نفسه مكانةً خاصَّة، سواء وافَقَه الرأيَ أم خالَفَه. لقد زرَع أبو بسام في قلب كلِّ شخص عرَفَه

د. أحمد البراء الأميري

شُجَيرةَ وردٍ؛ سقاها تعهُّدًا وودًّا، وتفقُّدًا ورفدًا.

هذه لمحةٌ عن أدب النفس الذي عَزَّ في هذه الأيَّام وفي سواها، والذي وجدتُ من حقِّ الوفاء عليَّ أنْ أُقدِّمَ به بين يدي حديثي عن أدب القول.

أمَّا أدب القول الذي هو شعرٌ ونثرٌ فقد تألَّقَ بساحتيه شاعرُنا، حتى لَيَصدُقُ فيه قولُ أخينا الشاعر المبدع الدكتور عبدالكريم المشهداني في قصيدته «اليراع المزهر»:

تَدَفَّقْ كَمَا شِئْتَ يَا شَاعِرُ
فَفِيكَ اسْتَوَى النَّاظِمُ النَّاثِرُ
وَلَمْ لا يُذَلِّلُ عَصِيُّ الكَلام
وَأَنْتَ بِهِ اللاعِبُ المَاهِرُ
وَتَسْتَلِمُ الشُّرَّدُ النَّافِرَاتُ
كَمَا قَادَ مَأْسُورَهُ الآسِرُ
فَإِمَّا نَظَمْتَ وَإِمَّا نَثَرْتَ
فَأَنْتَ مُرَوِّضُهَا السَّاحِرُ

نثرُ الدكتور راشد المبارك نوعان: أدبي وعلمي؛ أمَّا الأدبي فأضربُ عليه مثالين مُوجزين - وحسبُك من القِلادة ما أحاطَ بالعنُق - وهما ما كتبه على البديهة إهداءً لي على كتابه "قراءة في دفاتر مجهولة"، وديوانه الأول: "رسالة إلى والدة":

قال في الأول: أخي أبا عمر، هذه الصفحات صَدًى استبَقَ - هذه المرَّةَ - الصوت الذي بعَثَه، وهو صوتُ قلَّةٍ من الرائين أنت واحدٌ منهم، مع الودِّ والتحيَّة.

وقال في الثاني: الأخ الكريم أبا عمر، خَفقات جناح، إذا قُدِّرَ لها أنْ تُلامِسَ بعض أوتارك فقد وصَلتْ إليك!

وأمَّا ما سمَّيته - تجاوزًا - النثر العلمي فهو سائر كتاباته التي تقرؤها في كتبه: هذا الكون ماذا نعرف عنه؟ وفلسفة الكراهية، وشِعر نزار بين احتباسين، وقراءة في دفاتر مهجورة.

وقال الفريق متقاعد عبدالعزيز هنيدي في مداخلته بندوة الوفاء:

سعادة الدكتور راشد الذي كان لي شرف الحضور في عشر السنوات التي خلت بعد التقاعد، إنه عالم فذ وعاشق للثقافة والإبداع والفلسفة، قريب جدا من أصحاب الثقافة والأدب، سليل من أسرة المبارك بواحة الأحساء التي أنجبت كثيرا من العلماء والسفراء والكتاب والمؤرخين، ومنهم من حصل على درجات علمية كبيرة.

عبدالعزيز هنيدي

الندوة الأحدية الثقافية التي امتدت لأربع وثلاثين سنة، هذا العطاء الكبير يكفي وحده، والتجمع الذي أعطى فرصة للتعارف، وتميز بسهولة الحوار، وقد شاهدت الأمير سلطان يزوره ويتحدث إليه حديث المعجب. فالدكتور راشد كريم وجواد، وقد دعانا مع مجموعة من رواد الأحدية للأحساء لقضاء عيد الأضحى، وكان كريماً معنا لأبعد الحدود، فنسأل الله له المغفرة والرحمة.

وقال الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن عبداللطيف آل الشيخ في مداخلته بندوة الوفاء:

سبقني الأستاذ الدكتور يحيى بمهارته التي تعودنا عليها، ولا نستطيع أن نجاريها، وحلل فكر الدكتور راشد، ومنهجه العلمي بطريقة جميلة.

د. عبدالعزيز آل الشيخ

عرفته من سنين طويلة، وعلاقاتي به عندما كان بيته في عليشة وعلى نفس الشارع الذي يسكن فيه العم الشيخ عبدالملك آل الشيخ رحمه الله.

كنت أحيانا أحضر ندوته، وقد زاملته في هيئة استشارية في التعليم في عهد معالي الوزير الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ رحمه الله، وذلك لست سنوات، وكان معنا عدد من الإخوة منهم الدكتور محمد أحمد الرشيد، والأستاذ أسامة عبدالرحمن، والدكتور محمود سفر، والأستاذ عبدالله العثيمين. فعرفته عن كثب، وعرفت فيه سجايا وأخلاقا عظيمة ذكر الإخوان الذين سبقوا شيئاً منها، وتكلموا عن علمه، وجمعه بين العلم والأدب. وأسرة الدكتور راشد أسرة معروفة بالعلم والأدب الشرعي، ولها صلة بأسرتي قديمة ولا تزال بحمد الله.

وقال الأستاذ حمد الصغير في مداخلته بندوة الوفاء

حمد الصغير

الدكتور راشد سهل لطيف إلا إذا جئت تمدحه، فإنه يرد عليك فيوقفك، أو يقوم ويترك المكان، وهذا تواضع قل أن تجده في الآخرين.

قضيت عقداً في الأحساء، وكانت علاقتي مع آل المبارك علاقة حب، فكنت أطرب لجلساتهم، وقد حضرت نقاشا بين شيخ وشاب عمره اثنا عشر عاماً من أسرة آل مبارك، فكانوا يتحاورون عن الشعر العربي

والنبطي، وكان الشيخ هو المرحوم عبدالرحمن بن علي المبارك، وهو علم في فصيحه وعاميه، وكنت وقتها غريبا عنهم، فأردت أن أسكت هذا الشاب. وإذا بالشيخ يستمع له، ويناقشه بكل أدب ولطف، هذا الشاب هو الدكتور عبدالمجيد المبارك، فعرفت كيف يربون أبناءهم، فقد كانت مجالسهم جامعة يتعلمون فيها الأدب والعلم، وإذا أراد الواحد أن يسأل جلس جلسة المتأدب أمام رئيس العائلة، فلا عجب أن تخرج بيوتهم أمثال هؤلاء الرجال.

الأخ بسام! لا تقلق، فنرجو الله أن يرحمه، وأهنئك في صبرك وصمودك، وأبشرك بالأجر أنت خاصة! فأنت دفنت ابنك حمد قبل ثلاثة أيام من وفاة والدك! وأسأل الله أن يرحمهم جميعاً.

وقال الدكتور محمود عمار في مداخلته بندوة الوفاء:

الحديث عن الدكتور راشد المبارك يصدر من الأعماق، وإذا صح القول فإن هذه الليلة ليلة حزن سعيدة!..

لقد كنا نأوي إليه كما يأوي العصفور إلى عشه، والابن إلى أبيه، فتجد عنده المشاعر الطيبة، والأخلاق الحسنة، والعلم الفياض. إنه الرجل الذي يؤدي دوره في خدمة الثقافة. وهذا ما عبر عنه بعض الفلاسفة بأن هذا هو الموت السعيد الذي يكون فيه المرء قد أنجز مهمته كل الإنجاز، وأدى رسالته في الحياة على أكمل وجه في خدمة المجتمع وخدمة العلم.

إن جماع صفات الدكتور راشد حسب معرفتي به هو الجانب الإنساني المتدفق في مشاعره وأحاسيسه، ولم يكن يرد إنسانا عن ندوته، ولا متحدثا عن حديثه،

د. محمود عمار

فكان يفسح المجال لكل من يريد أن يقول قولا، وعندما دعاني الدكتور عبدالقدوس أبو صالح لحضور ندوة الدكتور راشد اتصلت به يرحمه الله ليصف بيته، فإذا به يتابعني طول الطريق، فاحتضنني احتضان الأب لولده الودود.

هذه العواطف المتدفقة المنسابة، انه اسم عظيم كبير يمتد امتداد عواطفه ومشاعره، إلى جانب ذلك هذا الهم القومي الذي يحمله لأمته، فتجد في ندوته روادا من لبنان والعراق ومن مصر، وكان يخص القادة الفلسطينيين بمعاملة خاصة، ولذا تجد كبار الشخصيات منهم لديه، وقد وعدنا ليلة بأنه نسق مع صائب عريقات ليكون متحدثا في إحدى الندوات، ولكن ظروف الأخير لم تسمح بذلك.

وإذا كان تخصص في الفيزياء والكيمياء فإن موهبة الشعر هي التي منحته هذه العواطف الرقيقة. وكنت أستغرب عندما ينشد لنا شعرا، فأجده يتدفق لمدة خمس عشرة دقيقة متواصلة لا يتلعثم في كلمة، ولا يتوقف عند بداية بيت، فكنت أغبطه على هذه الذاكرة القوية الحاضرة. إلى جانب تعففه وكرم أخلاقه حتى إنه كان يأنف من المديح المباشر، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته. ونعزي بعضنا بعضا لأن المصاب مشترك.

وقال الأستاذ سعد العليان في مداخلته بندوة الوفاء:

أقول: إني فقدت أبي إن صحت لي العبارة، فإني أيضا أزاحم أولاده في أبوته، هو أب ثقافي، ورعايته لا مثيل لها. هاتفته ذات يوم فقال: أمضيت خمسة وأربعين يوماً في المستشفى، مر بي ما الله

به عليم، قلت له: لم تخبرنا؟ قال: لم أرد أن أشق على أحد، وأتمنى أن أرى رواد الندوة حتى تطمئن نفسي.

ذات يوم كان في حلقة من البرنامج الأحدي الحديث عن الدكتور حسن ظاظا، قد أحضرت بعض المقتبسات من مقالات الدكتور حسن ظاظا، وأشرت في مداخلتي إلى العناية التي وجدها حسن ظاظا من الدكتور راشد

سعد العليان

قاسم بن علي الوزير

د. مهنا الحبيل

وأبنائه، حيث كان يعيش وحيدا في المملكة، وبذلوا له العناية التي لا مثيل لها. فنظرت إلى الدكتور راشد، ورأيت في وجهه كأنه كره هذا الحديث، فهو لم يرد أن يشير أحد إلى هذا الأمر.

وقال قاسم بن علي الوزير في تقديمه لديوان رسالة إلى ولادة:

ولقد عرفته ذواقة للشعر، ناقداً بصيراً به، راوية له، حتى جمعتنا صدفة سعيدة في روما ذات يوم.. فربما هزته مغاني المكان الساحر، ومجالي الجمال السافر، وروعة الطبيعة الفاتنة، فطفق يقرأ عليَّ قطعا جميلة من الشعر، بل يهمس بها همساً كأنها بعض الأسرار طارت بي إلى آفاق أولئك الشعراء الغنائيين الذين بعدت بيننا وبينهم المسافة الشعرية.. والزمنية، فلما سألته عن القائل تمنع قليلاً في تواضع واستحياء، ثم أفضى إليَّ بمكنون سره أو شعره.

قالت الكاتبة رقية الهويريني:

ولعل المرء المنصف يتساءل بألم وأسى عن وضع هؤلاء العمالقة وأصحاب الفكر ممن يناضلون ويحترقون ثم تغيب ذكراهم ويُنسى جميلهم دون أن تهتم بهم شعوبهم، ولا تبرز وسائل الإعلام ومؤسسات التعليم محاسنهم ورؤاهم النافعة، ودونما يستفاد من تجاربهم ويُتطلع إلى رغباتهم وطموحاتهم والتي هي ثروة يقتبس منها ويستنار بهداها!.

أفلم يأن أن يعرف الوطن وأبناؤه المفكر راشد المبارك، فيكرموه بما يليق به، حتى يعلم المرء أنه لا يزال هناك قومٌ على الحق والمروءة وعلى كرم النفس وجميل السجايا إضافة إلى محامد العلم والنبوغ؟!

قال الدكتور مهنا الحبيل:

حين يقال: إنه الكريم المفضال وجه البذل والشفاعات فهي صفات حقيقية لا مبالغة. كان مؤسسة مروءة اكتنزت في فرد صب من إحسانها، على كل أركان وذوي الحاجة من أسرته وغيرهم، وشفاعاته متعددة في المشافي والأزمات المالية والسياسية، وسجل له التاريخ دوره في قرار إيواء المهاجرين

السوريين بعد حماة. كان مدرسة في تجميع المختلفين للحوار في طرح الجسور بينهم، وفي إصراره على علاقاته مع كل طيف فكري له رأي يطرحه. من أسراره وخصوصيته التي أحسب والله حسيبه أن يجعل الله له فيها خيراً كثيراً، أن العزيز المضطر يجد في أبي بسام عزوته وسلوته، كم وارد على بيته متلعثم الحديث، متعثر الخطى بأزمته، وجد في يمين أبي

عادل الهذلول

بسام وعزيمته التي منحها الله فرجاً لمحنته وكربته.

وأشار الباحث عادل الهذلول:

إلى أن الدكتور راشد المبارك، «كان من أوائل المؤسسين للصوالين الأدبية والثقافية الأسبوعية في المنطقة عبر أحديته الشهيرة». وقال: «زرته ذات يوم في مجلسه باجتماع عائلي تحول فجأة إلى مساجلات أدبية، ارتقت بمستوى الحضور واضطررنا لتمديد وقت زيارته حتى خجلنا أن نُثقل عليه فخرجنا». ولفت إلى أن الراحل بتأسيسه لمجلس آل المبارك «دفع بالعوائل الأحسائية الأخرى أن يحذو حذوه ويرتقوا بالحوارات والنقاشات، ويدعم مسيرة التعايش التي عُرِف بها أهل الأحساء منذ القدم»، مؤكداً أن رحيله خسارة واضحة للمشهد الأدبي والثقافي، «وحسبنا أنه أسس للمجال التداولي الأدبي الأسبوعي كي ندعم هذا الاتجاه».

ووصف الدكتور يحيى عمر آل زايد الراحل بأنه:

«فقيد العلم والأدب»، قائلاً: كان ممن جمع في حياته مجالين، وكان يؤمن أن التخصص شيء منفصل عن الحياة العامة، فيجب أن لا ندمج حياتنا بتخصصنا، احترف الأدب، واقتحم الكيمياء. وبيّن أن رحيله «هزة فكرية» بمقياس من عاصره ومن تابعه، مشيراً إلى أنه «في وقتنا هذا الأدب هو المجال الوحيد الذي لا يموت، والذي يصبح الكل فيه سواسية في محبتهم له ولو اختلفت الأعمار، قد يجهله الكثير في هذا الزمن ولكن لا يجهله من عشق الفن». وعدد بعضاً من سماته بقوله: «فنان بروحه، بعلمه، بقلمه، وكما أعطانا قراءة في دفاتره المهجورة خلف لنا قراءة». واستذكر آل زايد ذكرياته: «لا زلت أذكر كتابه (شعر نزار بين احتباسين)، مدخلي لعوالمه المبهجة سنين وحدتي الأدبية»، منوهاً بأن رحيله يعني رحيل آخر عناقيد الفكر، ومتسائلاً: متى سننتبه لثروتنا الفكرية والعلمية والأدبية؟ «تركنا بين احتباسين،

د. يحيى عمر آل زايد

زمن ماضٍ جميل وزمن حاضر عجيب!». واختتم قائلاً: «رحمه الله، لم يكن كاتباً فكرياً في قضايا لا تهم سوى الورق بل كان مفكراً في قضايا أمة! فمن لا يزال يبكي أمته، عاش يحاول التوازن عبر مؤلفاته وصالون الأحد كل أسبوع بمنزله، وقد يتحقق بعد وفاته بجيل تحت يده تفتح»، مردداً: «لتنكس الأقلام قليلاً، بأمر من علمنا القلم والعلم».

وقال الكاتب منصور الزغيبي:

إن أصعب أنواع المشاعر «هي مشاعر الحزن والتأثر، خصوصاً حينما تكون بمناسبة رحيل إنسان مثل العالم النبيل راشد المبارك، فهو بكل ما تعنيه الكلمة من معنى «إنسان استثنائي» وطني غيور، يملك كاريزما نادراً من يتصف بها، فهو موسوعي، قارئ متمكن للفلسفة، ومفكر كبير، وشاعر وأديب»، مشيراً إلى أن الدكتور راشد المبارك «كان صاحب طرح مستنير ومشرق ومختلف كثير عما يتم طرحه بالساحة، فهو كان رحمه الله يقظاً وواعياً للواقع وظروفه وصاحب رؤية متزنة حول الكثير من الأحداث، فهو إنسان موضوعي جداً، تحكمه المبادئ والقيم، ومن خالطه أو درس عليه رأى دقة ذلك في مواقفه وتعاملاته مع الجميع. له مواقف عظيمة التأثير في مستوى الوطن العربي عند أصحاب القرار والنخب، كذلك فهو من ضمن مجموعة من العلماء الذين حاولوا الإصلاح أثناء حرب العراق مع إيران، وغيرها من المواقف التي تحدث في الوطن العربي، كانت له جهود في الظل مؤثرة وسبق أن قرأت بعضها واطلعت عليها عن قرب. خلاصة القول، هو إنسان استثنائي تتنافس لديه دلالة الالتزام مع السخاء والاستقامة.

منصور الزغيبي

عبدالله العويد

د. خالد الجريان

وعبر الشاعر عبدالله العويد:

عن حزنه العميق لرحيل الأديب والشاعر والباحث العلمي الفيزيائي الدكتور راشد آل الشيخ مبارك، معتبرا الفقيد رمزا ثقافيا وأدبيا وعلميا كبيرا ليس على مستوى المملكة فحسب، بل على مستوى الوطن العربي والعالم الإسلامي، من حيث حضوره المؤتمرات والملتقيات في العالم.

وبين العويد أن الفقيد هو صاحب أقدم مجلس ثقافي وفكري في الرياض، حيث اشتهرت أحديته في جميع الأوساط لقوته وعراقتها، إذ أسست منذ أكثر من ثلث قرن، مشيرا إلى أنه حضر بعض فعالياتها سابقا برفقة أخيه النديم راشد بن عبدالله القحطاني من الرياض.

ورأى الدكتور خالد الجريان نائب رئيس نادي الأحساء الأدبي:

أن الساحة الأدبية فقدت برحيل المبارك أديبا ومفكرا من رموز الفكر الإسلامي ورجل محنك وله ذاكرة جيدة في التاريخ تميز بفكر فلسفي وله الكثير من الإصدارات، وهو جزء من النهضة الثقافية في المملكة ■

القهر..

سعاد التوزاني- المغرب

منتهى اليأس أسقط فيه كلما التقيت بالسيدة - المجهولة- وأنا في طريقي إلى السوق.. مرة أجدها تجر قدمين عاجزتين تكادان تطرحانها أرضا وهي تتعثر خطوة خطوة منكفئة على وجهها، لا تنظر أبدا إلا إلى الأرض..، ومرة تجلس على قارعة الطريق أو على حجرة تضع فوقها كيسا أسود داخله إسفنجة بالية متسخة..

أنحني عليها أقبل رأسها، إشارة مني لتتعرف علي، وحنوا يمدها إحساسا بالأمان والتعاطف معها.. ترفع إلي نظرها، تبتسم لرؤيتي، ثم تنهرق بكاء.. وهي تتكلم.. تتكلم.. تتكلم..

المأساة.. أنني لا أفهم أبدا ماذا تقول..؟! فالمرأة أمازيغية، ولا تعرف هي الأخرى ولو كلمة واحدة بالعربية سوى عندما تشير في مجرى حديثها - ككل مرة- بسبابتها إلى السماء، تنطق بحرقة اسم الجلالة: ربي..! رباه.. إنها لا تفهم حتى لغة الإشارات، محاولة يائسة مني للتواصل معها.. دون جدوى..

كيف أعرف ما اسمها؟ من تكون؟ ما قصتها؟ أين تعيش..؟!

هل لها أحد من الأقارب؟ ما الذي يؤلمها وهي تجوب الشوارع ككومة قهر ووجع تسترحم شفقة المارة..؟! يا لمرارة نفسي وأنا لا أعرف كيف أنقص بعضا من كل هذا الدمع المحتقن في صدرها وعينيها..؟!

تتكلم.. وتتكلم.. بعصبية وأسى عميق.. شهقة.. ثم شهقة.. سبابتها إلى السماء: ربي..!

تتكلم وعيناها في عيني.. سيدة شقراء لا زالت تحمل كل ملامح جمال باهر، لم تؤثر فيه المعاناة بقدر ما شوهه ورم ضخم في خدها الأيسر، احمراره صاعق النشاز على بشرة بيضاء ناصعة.. الله أعلم ما حكايته..؟!

أقدم لها ما يجود به القليل الموجود في محفظتي مما يسكت جوعها للحظة.. تبتسم.. تقول شيئا.. يقينا تدعو لي..!

وبعد تلك اللحظة.. لا أعرف أين تكون..؟!

أقبل رأسها لتوديعها.. أرفع عيني للسماء: ربي..!■

أزمة قراءة.. أزمة نقد

إننا نعيش أزمة كبرى تضاف لأزمات عديدة تواجهنا؛ فإذا كنا نعاني من أزمة قلة الإصدارات والكتب في العالم العربي، بالمقارنة بين الدول السائرة على درب النهوض، بجانب غياب القراء لما هو جاد، وانتشار كتب التسالي والكتب الخفيفة مثل كتب الرياضات والطبخ وأخبار النجوم وفضائح المشاهير والساسة، فإننا نعاني معاناة مضافة، تتمثل فيما نسميه أزمة القراءة والمتابعة لما هو جاد، وأزمة النقد المعمق لما هو منشور.

وهذه الأزمات وإن كانت مترابطة ومتشعبة، وتعود لأسباب اجتماعية وثقافية ونهضوية وسياسية، إلا أننا نرصد غياب رؤية شاملة تحاول أن تناقش الأزمة، وتقترح حلولا، وتقدّم رؤى، فالتباكي وحده لن يحل الأزمة وإن نبّه على وجودها، كما أن الحل لن يأتي إلا ممن أدرك أبعاد الأزمة وآثارها، وتفاعل معها، وامتلك خيالا، يطل به على مشكلات الواقع، ويساهم في حله.

أبعاد الأزمة:

ربما يظن البعض أنها مشكلة بسيطة، ولكن الواقع المعيش ينطق بأنها مشكلة كبرى، ألا وهي غياب القراءة الفاحصة، والمتابعة النقدية، والتلقي الواعي، للكتب والإصدارات الجديدة التي صارت قديمة، بحكم تراكم السنين والتجاهل، وربما نلمس هذا، فأكثر الكتب شهرة والتي يذكرها الناس ترتبط دائما بعوامل غير علمية ولا نقدية، منها شهرة الشخص ذاته، بأن يكون إعلاميا أو شخصية شهيرة، أو أستاذا جامعيا قرّر الكتاب الصادر على طلابه، فدرسته أجيال من الطلاب واستحضروه في أحاديثهم، أو يكون ذا منصب

د.مصطفى عطية جمعة- الكويت

وجاه، فالكل يركض خلف ما ينتجه بغض النظر عن القيمة، وبعبارة موجزة: شهرة الكتاب لا ترجع إلى عوامل الإبداع والقيمة العلمية المضافة، والرؤية الجديدة، بقدر ما ترجع لعوامل ثانوية.

ولا زلنا نستحضر إحدى الروايات، التي أصدرها إعلامي، كتبها بالبهارات المعتادة، من إشارات جنسية، وأحداث ومفاجآت، وهي في الحقيقة تروّج لأفكار نمطية، لا جديد فيها، ناهيك عن المستوى الفني التقليدي للرواية، خصوصا أنها العمل الأول لصاحبها، ولكن لأنه إعلامي، ولأن موضوع الرواية على هوى السلطة؛ سرعان ما تحولت الرواية إلى مسلسل، بعد تكرار طبعاتها.

فكثير من الكتب والأعمال الجيدة اختفت، ومنذ بداية صدورها، لغياب المتابعة والاحتفاء القرائي والنقدي بها، والأمر أشد ضررا مع المشروعات البحثية الكبرى خصوصا في مجالات العلوم الإنسانية، والأدب، مما زاد من إحباط مؤلفيها، وتوقفهم في أحايين كثيرة عن مواصلة الإبداع والإضافة العلمية والبحثية.

المشكلة قائمة وملموسة، ويعاني منها المجتمع الثقافي والعلمي، وتتمثل في غياب المتابعة والعرض للكتب الجديدة أولا بأول، وعدم وجود نقاش علمي وتقويم حقيقي لكثير من هذه الكتب والإصدارات، فالقراءة والنقاش والنقد تمثل الوجه الآخر للإبداع العلمي والإنساني والأدبي. وكثير من الكتب طواها النسيان لأنها لم تعرض ولم تناقش، وضاع صداها، خصوصا إذا لم تجد ما يحقق لها انتشارا أو ترويجا.

فالمشهد الحادث- والواقع الآن- هو كتب تصدر، تواكبها أحيانا تغطيات صحفية محدودة لا تأثير لها، وبعضها يكتفي بنشر الفقرة التي تكون على الغلاف الخلفي للكتاب،أو تقديم عرض موجز وملخص للكتاب أكثره من مقدمة الكاتب نفسه، ومما يمكن فهمه من الفهرس، والغالب فيما نقرؤه احتفاء من أصدقاء المؤلف أو طلابه بالعمل الجديد، دون فرز حقيقي: أهو جديد بالفعل، أم تكرار لمنتج سابق للمؤلف نفسه، أو في الساحة الثقافية!؟ خصوصا أن هناك شكوى عامة من ظاهرة كتب القص واللصق، والروايات مكررة الفكرة، وإعادة إنتاج ما سطره السابقون.

فأي إنتاج إبداعي أو فكري أو بحثي أو علمي لابد أن يواكبه عرض له، ثم قراءة معمقة، ونقاش جاد، ونقد دقيق، وتقويم من متخصص، وهذا- للأسف – غير حادث بشكل فاعل في حياتنا الثقافية العربية عامة، والعلمية والأكاديمية خاصة، ناهيك عن شكوى الأدباء والمبدعين من غياب النقاد الجادين.

وعلى الجانب الآخر، فإن النقاد والمتخصصين، إن قرؤوا لا يكلفون أنفسهم عناء الكتابة بالعرض والتعليق والنقاش والنقد، لغياب الحافز المادي، وعدم توافر مواقع للنشر ذات مصداقية، بعيدا عن النشر على صفحات وسائل الاتصال الاجتماعي أو المنتديات الأدبية المجانية، فهذه تحفل بما أكثره غث، ونادرُه جاد.

لقد ندرت القراءات المعمقة والناقدة، مما أدى إلى غياب الحوار البنّاء بين القراء والنقاد والمؤلفين، وهذا ما نسعى إليه في دعوتنا، بأهمية فتح الباب على مصراعيه لهذا الحوار بين المؤلف والناقد من جهة عبر القراءات النقدية، وبين المؤلف والناقد والقراء من جهة أخرى، والذي لن يتحقق إلا بإدراك الجميع (المؤلف، القارئ، الناقد) أهمية التحاور المنتج، عبر دراسات مكتوبة، ومقالات متابِعة، وآراء متفحصة، وليست مجاملة أو مستسهلة المطالعة.

فالحوار بين الأطراف الثلاثة لابد أن يكون منظما؛ عبر ندوات شفاهية وهي بلا شك جيدة، ولكنها محبوسة في شفاهيتها، وفي عدد من حضرها، أما لو تحول الرأي المعلن إلى مكتوب ومنشور، فيكون الحوار محدد الأطر، مرتب النقاط، نستطيع أن نتابع الردود والتعليقات، ونقارن ونوازن، وكم من الفوائد ستعود على الجميع من هذا!.

إحياء نهج.. ونهج الإحياء:

إننا نطالب بإحياء نهج القراءة الناقدة في الحياة الثقافية والعلمية العربية، فالنقد عملية فكرية شاملة تمثل قمة التفكير، وهو عملية مواكبة وموازية ومساوية للتأليف والإبداع ذاته، بل هو إبداع آخر، أو إبداع على إبداع. فلا يعقل أن يغيب النقد بهذا الشكل عن الحياة الثقافية والعلمية العربية في ضوء كثرة الصحف والمجلات والمواقع الإلكترونية، على نحو ما نجده في الشكاوى المتكررة على ألسنة المؤلفين والباحثين والمفكرين المتمثلة في عدم وجود أي صدى – أو أصداء ضعيفة – لمؤلفاتهم.

فالنقاش الحقيقي يحفز العالم والباحث والمفكر والأديب على الإجادة، ومعرفة سبل تلقي كتابه، وكيف استقبله القراء على العموم والنقاد والمختصون على الخصوص، مما يحفزه إلى استكمال مشروعاته العلمية، بجانب تجويدها.

وأيضا، فإن النقاش الجاد يؤدي إلى فرز الأعمال الجيدة من الرديئة، وكم من أعمال رديئة تسيدت وانتشرت لغياب النقاد والمتابعين الجادين والتقويم الحقيقي لها، وأضرت أكثر مما نفعت، وبعض المؤلفين – خصوصا في المجال الأدبي – زادوا من التسطح الفكري والأدبي لدى القراء نتيجة استسهال القراءة، وغياب الإرشاد النقدي والتوجيه العلمي.

وعلى الجانب الآخر، فإننا نطالب بنهج الإحياء، ونعني به إحياء الحياة الثقافية والإبداعية

والعلمية العربية، على نحو ما كان عليه أجدادنا الأوائل، فالتاريخ يحدثنا عن مدارس زاهرة في علوم اللغة والبيان مثل مدرستي الكوفة والبصرة، ويحدثنا عن عواصم حضارية كانت المساجد والمدارس تتنافس في إقامة حلقات العلم، وقراءة الكتب، ومجالس النقاش، وهو ما وجدناه في بدايات النهضة الحديثة فيما نسميه الصالونات الأدبية، والجماعات الثقافية، والمجموعات العلمية، وكثير

منها غاب تحت معاول ضياع البوصلة الحضارية، وتعاظم الفردية، وسيادة الأنانية العلمية، والركض وراء الأضواء، وغياب الأطر الجماعية في البحث والتفكير.

أيضا، فإن نهج الإحياء يحتاج منا إعطاء الفرصة للنقاد والباحثين الجيدين كي يقرؤوا ويكتبوا، مع تقديم الدعم لهم، وإتاحة مساحات النشر في الصحف أو المجلات، مما سيؤدي إلى حفزهم وحضورهم بدلا من كسلهم وابتعادهم، وترقية مهاراتهم، ومن ثم الاستفادة من قدراتهم البحثية والنقدية والعلمية، على مستوى الأفراد والجماعات والتوجيه الثقافي والفكري العام.

ومن المهم في هذا الأمر استقطاب مختلف الأقلام البحثية والعقول الناقدة والأساتذة المحكمين، وأيضا المثقفين والقراء وكل من يستطيع المساهمة بالكتابة والتقويم والبحث، وستكون فرصة لطرح المزيد من القضايا البحثية المختلفة، فالنقاش يولّد الأفكار ويفسح المجال لوجود تحاور علمي جاد، يتخذ من الكتب والمؤلفات والأعمال الإبداعية موضوعا له، ويكون بين المؤلفين والنقاد والقراء على السواء.

مستويات النقاش:

ونعني بها: مستوى التلقي والتفاعل مع الكتاب سواء كان شفاهيا أو مكتوبا، فنحن في حاجة إلى تفعيل هذا، وخصوصا أن دوائر التلقي تكاد تنحصر في مستويات ثلاثة، متداخلة أحيانا، ومتباعدة في أحايين كثيرة:

المستوى الأول: الخاص بعموم القراء، وهؤلاء هم الهدف العام للكاتب، فبهم وإليهم يتوجه المؤلف، حتى لو كان كتابه أكثر تخصصا فهو مفيد أيضا لهذا القارئ، فلاشك أن القارئ العام له حضوره، وتأثيره، وإفادته، فمن المهم أن يجد القارئ العام المساحة الكافية لعرض آرائه، والتواصل مع المؤلف والناقد المتابع على السواء.

وبالطبع يتفرع عن هذا المستوى ما يسمى «القارئ غير المتخصص»، والذي يحتاج إلى التعرف على الجديد في العلوم والفنون والآداب، لإثراء ذائقته وفكره من جهته، وأيضا إثراء تخصصه الدقيق من جهة أخرى، وفق مفهوم دائرية العلوم، وتكامل الفنون، وتلاقح العقول، وتلاقي الفهوم.

المستوى الثاني: القارئ المتخصص في نفس المجال، وهذا يحتاجه المؤلف كي يتعرف – وبشكل مباشر – ثمرة إنتاجه وما أضافه، وأفضل من يقدم له ذلك هو المختص في مجاله، وكلا الطرفين مستفيد، الأول المؤلف، والثاني القارئ، حيث التلاقح الفكري أوكد، والتعاطي العلمي والإبداعي أشد.

المستوى الثالث: الناقد، ولا نعني به الناقد الأدبي أو الفني فحسب، فالأمر أكبر من ذلك، لأن النقد بشكل عام يناقش ويحلل ويقوم، وينظر للكتاب بمنهجية نقدية، ووفق أطر معرفية عديدة، ناهيك عن التراكم المعرفي الذي نجده عند الناقد، نتيجة متابعاته الدائمة والحثيثة للجديد في هذا المجال. وبعبارة أخرى: فإن كل مجال علمي هناك عالم يمتلك القدرة على النقد، بشكل منهجي وعلمي يضع يده على التميز، وينبه إلى المكرر، ويقارن ويوازن بين الكتاب وغيره، ومن ثم يضع الكتاب في موضعه الصحيح في خضم الإصدارات الجديدة وأيضا القديمة.

ومن هنا، فإن هناك ثلاثة خطابات تقرأ وتعلق وتناقش:

أولها: خطاب القارئ العام، وفيه يكون عبارات عامة، ولكنها دالة على مستوى فهم الكتاب من

قبل هذا القارئ، ونفس الأمر مع القارئ المثقف غير المتخصص.

وثانيها: خطاب القارئ المتخصص، وهو إذا كان معنيا وواعيا لما في الكتاب، ويستطيع أن يتعرف الجديد، وينبه على الأخطاء إن وجدت، ولكنه لا يمتلك التقويم الشامل، والنقد المنهجي، لأن الأمر ببساطة أن ليس كل متخصص ناقد.

وثالثها: خطاب الناقد المنهج، والموضوعي، والذي يقوم بمهام النقد المتمثلة بالتفسير، والتقويم، والتوجيه، وهي مهام تشمل مختلف العلوم والإبداعات.

وفي ضوء ذلك، فإن أسلوب الخطاب العلمي والتقديس يكون صادرا من القارئ المتخصص والمؤلفين والمتابعين والباحثين، مثلما يشارك في صياغته القارئ العام. مما يوجب على كل من يساهم في الكتابة والمراجعة والنقاش والنقد أن يضع في اعتباره الكتابة بأسلوب علمي سهل دون تسطيح، واضح دون غموض، مستوفٍ الأفكار، بقراءة واعية للكتاب، والإحاطة بالموضوع ذاته، كما أنه من المهم فتح المجال لكتابات عديدة حول الكتاب موضع البحث، بمعنى أن يكتب عنها ويقومها الأستاذ الأكاديمي المتخصص في المجال، والمثقف العام، والناقد المتخصص والمتابع.

فتكون الكتابة وفق محاور عديدة، أهمها:

- عرض الفكرة الأساسية للكتاب ومحاورها.
- طرح الجديد في الكتاب والإضافة العلمية.
- مناقشة أهم المعلومات والأفكار الجديدة أو المكررة.
- نقد الكتاب فكرة، وأسلوبا، وعرضا، وبناء، وتسلسلا.
- وضع الكتاب في مكانته العلمية.

علاج الأزمة:

إننا في حاجة إلى توفير مواقع متخصصة إلكترونية، ولها إصداراتها الورقية، تقودها مجموعات أكاديمية وبحثية على مستوى عال، وتجذب المزيد من الكوادر البحثية والعقول، التي ستكون – من دون شك – المجموعات علميا جادا، يستكمل جهود الجامعات ومراكز البحث العلمي والحلقات النقاشية، وبتواصلٍ أساسه الكتب والبحوث من جهة، والمقالات والدراسات من جهة أخرى، على أن تتيسر لجميع الأعمار والباحثين والتخصصات.

وتسعى هذه المواقع إلى تقديم مقالات تستهدف النقاش الحقيقي والمثمر والبناء للإصدارات الثقافية والعلمية والإبداعية والإنسانية العربية، وترتفع بمستوى النقاش من الشخصانية أو العرض الصحفي أو الاحتفالي، إلى النقاش العلمي الموضوعي المتوازن■

في رثاء أخي الأديب والشاعر أحمد حسين مفلح الذي توفاه الله في ١٥/ ١٢/ ٢٠١٤م في بلدة قدسيا غربي دمشق ودفن فيها.

محمود مفلح- فلسطين

أخ يرثي أخاه

* ما جاء بين قوسين هي أماكن كونت شاعرية أخي أحمد مثل وادي اليرموك مخيم درعا مدرسة المالكية وقرية جلين على ضفاف اليرموك

أرثيك أم أنت الذي ترثيني ... أم فاض من عينيك دمع عيوني؟
أرثيك «أحمد» والكلام مبعثر ... ماذا أقول ودمعتي تكويني!؟
هل جئت تسأل عن جديد إقامتي ... أم رحت أسأل عنك في «عربين»
يا شاعر الليمون لو أبصرته ... لبكيت من ألم على الليمون!
يا شاعر الورد الجميل وعطره ... يا شاعر النسرين والدحنون
أنسيت درعا و المخيم عندما ... فاضت أزقته ببحر الطين؟
ما كان أشهى أن يكون فطورنا ... زيتاً وحبات من الزيتون
وتقول أمي والحنان بوجهها ... صبراً فإن الخبز في الطابون!

* * *

أنسيت أنك قد حفرت قوافياً ... فوق الصخور هناك في «جلين»!
ونسجت للأطفال ثوباً دافئاً ... لما أغار البرد في كانون
وسرقت من «سمخ» غناء طيورها ... وتلوت فيها سورة «الماعون»
فاسأل صغار «المالكية» عندما ... هرعوا إليك وأنت في الستين
علمتهم أن الصلاة فريضة ... وبأن قائدنا «صلاح الدين»
واسأل بحيرتنا التي خبأتها ... تحت الضلوع مخافة التهجين

* * *

أمضيت عمرك والشراع مراوغ ... وبقيت مثل الخنجر المسنون
وزهدت في الأضواء زهد محنك ... وكتبت أغلى الشعر بالسكين
ماذا أقول وأنت شاعر أمة ... فحلٌ ولست بشاعر عنّين
لو أنصفوك لكنت في أحداقهم ... ولأبحروا في درّك المكنون...!
علمتني معنى التواضع عندما ... جمحت خيول الشعر خلف جنوني
وظننت أني شاعر متمكن ... والبحر لا يجري بغير سفيني!

* * *

لما عثرتُ مددتَ كفاً حانياً ... خوف الأذى وأخذتني بيميني
وخطوتَ يتبعك «الصغير» بصوته ... لكنّ صوتي ضاع في التأبين

التناص في شعر

وليد قصّاب

مضر محمد الشيخ عبدو- سورية

إن «مصطلح التناص يشكل اختزالا لتعريفات، وتفريعات، وتوضيحات عديدة»[١]، وأسوق تعريفا أراه وافيا بالمقصود في هذا المقام، فأقول: «التناص هو تعالقُ (الدخول في علاقة) نصوص مع نص، حدث بكيفيات مختلفة»[٢]، معنى هذا أن مفهوم التناص يدور حول محور واحد هو: (حضور لنص في نص آخر).

وأرى أن مفهوم التناص يتسع، ليبدأ بنقل النص أو شيء منه كما هو، فيُدرج في نص آخر، وينتهي بامتصاص النص الغائب والاستفادة منه في النص الحاضر.

أما عن جدوى ذلك داخل النص الشعري على اختلاف طرائقه، فهذا ما يحكمه السياق، وما يُنصّب المتلقي أعدل قاضٍ فيه، فذلك متوقف على مدى فاعلية التناص، فهيَ تختلف من نص إلى آخر، بحسب قدرة الشاعر على دمج النص الغائب في النص الحاضر في سبيكة دلالية وافية.

ولذلك نص نقادنا على أن «عامل المثاقفة والتناص ومبادلات التأثر والتأثير كان الأبرز في صنع الإطار المعرفي للصورة الشعرية في القصيدة المعاصرة ومفهوماتها»[٣]، فصار «أكثر المبدعين أصالة من كان تكوينه قائما على كمٍّ غير قليل من رواسب الأجيال السابقة، أو من روافد التيارات المعاصرة»[٤].

وبهذا يكون التناص في كثير من الأحيان «مفتاحا ضروريا لقراءة النص وفهمه وتحليله وإعادة تركيبه، بغية الكشف عن كيفيات إنتاج الخطاب الأدبي»[٥].

فأين يقع شعر قصاب خاصة، والأدب الملتزم عامة من هذه التقانة؟

إن حديثي عن التناص في شعر قصاب، سيكون على أساس مصدر النص الغائب، على النحو الآتي:

- **الاقتباس الديني**، من: القرآن الكريم، والحديث الشريف.
- **التناص مع أقوال للصحابة وغيرهم.**
- **التناص الأدبي.**
- **التناص مع التراث الشعبي:** الأمثال، والأغاني، والألفاظ والتراكيب الدارجة.

وفي هذا السياق يتم الحديث عن الطريقة التي استغل بها الشاعر هذه المصادر لإغناء تجربته الشعرية، وحرصت في تحديدها حسب الآتي:

- **تناص التآلف:** وهو نقل النص الغائب إلى النص الحاضر، دون أدنى تغيير فيه، سياقا ودلالة.
- **تناص التخالف:** وهو مخالفة سياق النص الحاضر لسياق النص الغائب، مع الإبقاء على دلالته نفسها.
- **تناص التضاد:** وهو مخالفة النص الحاضر للنص الغائب، سياقا، والتضاد معه دلالة.
- **تناص بالإشارة:** وهو إلماح الشاعر إلى مدلول النص، حيث يذهب بكل ألفاظ النص الغائب أو أغلبها[٦].

الاقتباس الديني:

«من بين الاستخدامات التراثية نجد أن توظيف النصوص الدينية في الشعر يعد من أنجح الوسائل، وذلك لخاصية جوهرية في هذه النصوص تلتقي مع طبيعة الشعر نفسه، وهي أنها مما ينزع الذهن البشري لحفظه ومداومة تذكره، فلا تكاد ذاكرة الإنسان في كل العصور تحرص على الإمساك بنص إلا إذا كان دينيا أو شعريا»[٧].

الاقتباس من القرآن الكريم:

«القرآن الكريم مكون أساسي من مكونات الثقافة الإسلامية، ورافد ثرٌّ من روافد تكوين الفكر والوجدان، ولا يستطيع مبدع أن يفلت من تأثيره»[٨]، وبذلك أضحت «الآية الكريمة أو القول المأثور منطلقا لفهم القصيدة، وبدونها لا يمكن الاهتداء إلى الموقف الشعوري للقصيدة»[٩].

وحضور النص القرآني في نتاج قصاب واضح وبجلاء، من ذلك قوله في قصيدة رمزية بعنوان: (أبولهب)[١٠]، رامزا به إلى الغرب الذي يتبعه بعض القوم، يقول:

فمشت بموكبه الطوائف كالحجارة لا تعد
من كل حدب ينسلون كمثل غيث لا يرد

د. وليد قصاب

ففي البيت الثاني تناص تآلف مع قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾[١١]، فسياق التركيب مقتبس حرفيا من الآية الكريمة دون أدنى تحوير فيه، وإذا عرفنا أن يأجوج ومأجوج أقوام يخرجون في آخر الزمان، ويعيثون في الأرض فسادا، عرفنا سر اختيار قصاب لهذه الآية الكريمة ليتناص معها، فالذين رضوا أن يكونوا أتباعا للغرب غايتهم إفساد الأرض بدل الإصلاح.

ومن التناص قوله واصفا حال الفارس الذي يؤمل مجيئه، مخلصا أمته من عارها وذلها في قصيدة بعنوان: (الفارس)[١٢]:

قد ألان القيد حتى
لم يعد قيدُه قيدَه
وهو يمضي في شموخ
ولهم صعَّر خده
لم يكن يوما ذليلا
تحسب السيد عبده

فهذا تناص بالتضاد مع قوله تعالى على لسان لقمان الحكيم، ناصحا ولده قائلا: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[١٣]، وهذا النهي من قبل لقمان لابنه يعني الذم، أما وصف قصاب لفارسه المنتظر فجاء في سياق المدح، على الرغم من نهي الله تعالى عنه، ولكن ذلك مقصود للشاعر، حيث المقام مقام الفخر والاعتزاز، أمام من ظنوا أن المسلمين أذناب لهم، فهو تحوير مقصود لغاية دلالية.

الاقتباس من الحديث الشريف:

لم أحظ - حسب جهدي - في نتاج قصاب بأي تناص بالتآلف مع أي حديث من أحاديث الرسول ﷺ، وكل ما وجدته ينحو في التناص مع الأحاديث منحى الإشارة إلى مفهومها.

من ذلك التناص قول قصاب في قصيدة بعنوان: (في ذكرى بدر)[١٤]، حيث استغل الشاعر شخصية الرسول ﷺ لبناء مفارقة واقعية عجيبة، وما يهمنا منها في مقامنا هذا قوله على لسان الرسول ﷺ، داعيا رب العزة جل جلاله يوم بدر:

انصرهم يا رب، ثبت جمعهم
ليكون دينك في الدهور محكما
إن يُهزموا تسد الجهالة في الدنا
وترى لها في كل أرض أسهما

وكأنه تناصٌ بالإشارة إلى قوله ﷺ: (اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض)[١٥].

وهذا التناص يحقق غاية المفارقة، فيوم بدر كان نصرا مؤزرا لأمة الإسلام، وحال الأمة الإسلامية الآن وقوف على الأطلال الدارسة، حيث هدموا صرح عزتهم بأنفسهم. صنع الشاعر هذه المفارقة ليبث الهمة في نفوس المسلمين فيعيدوا صرح عزتهم شامخا.

إن ملاحظة الإشارة إلى أحاديث الرسول ﷺ قد منح النص مذاقا خاصا، يجعله في نطاق القبول لدى المتلقي العربي، لما يمثله هذا التراث من مصدر ثري بالروحانيات، نظرا لقداسته.

التناص مع أقوال الصحابة وغيرهم:

في الكثير من الأحيان تكون هذه الأقوال مشهورة ومستقرة في ضمير الأمة، نتيجة تناقلها بين الناس، نظرا لغناها وتعبيرها الثري عن حالة معينة، قد تتطابق أو تتناقض مع موقف الشاعر المعاصر، وهو ما أطلق عليه عبد الناصر حسن محمد: (حضور الشخصية بالقول)[١٦].

ومن ذلك التناص قول قصاب في قصيدة يسرد فيها قصة أبي محجن مع سلمى زوجة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم، حين أطلقته من قيوده يوم القادسية، حيث كان مصفدا فيها جزاء شربه الخمر، وهي قصيدة ترمز إلى كل عربي صاحب نخوة وشهامة، وهي بعنوان: (سلمى وأبو محجن[١٧]، وفيها يسوق الشاعر قولا مشهورا لامرئ القيس على لسان أبي محجن، حين عاهد سلمى على الوفاء إن هي أطلقته ليقاتل، بعد أن اشتعلت في وجدانه نار الحمية، والكبرياء والأنفة، من أن يرى الجنود البواسل يرفعون كلمة الحق، وهو مصفد في أغلاله، يقول:

سلمى.. يا سلمى
عهد من حر أوفى
أن أرجع بعد الغارة مصفودا
أو أن أردى
هاتي فرسا
هاتي سيفا
لا عشت وقومي تلقى البؤسا
هذا يوم الزحف الأشهر
يا باب السجن تكسر
لا خمر اليوم ولا منكر

فقوله: (لا خمر اليوم ولا منكر)، يذكرنا بقول امرئ القيس، حين وصله نبأ قتل أبيه حجر فقال: (اليوم خمر وغدا أمر)، ولكننا نلاحظ أنه تناص محور وصل حد التضاد، قصد الشاعر إليه، لبيان وجه المفارقة بين نفس العربي قبل الإسلام وبعده، فامرؤ القيس مع أن الثأر لأبيه قال: (اليوم خمر وغدا أمر)، أما أبو محجن فإنه انتفض فور توجب ذلك عليه، فالشاعر يؤمل في الأمة أحفادا لأبي محجن، وليس أحفادا لامرئ القيس، لأن ما وقعت فيه الأمة من الرزايا لا يحتمل تأجيلا أو تسويفا.

فمن التناص مع أقوال بعض الشخصيات قوله في قصيدة بعنوان: (في ذكرى بدر)[١٨]، حين سرد أحداثها حسب اقتضاء مقام النص، وهو بيان الفرق بين حال الأمة يوم بدر، وحالها في هذا الزمن الذي تداعت فيه الأمم على أمة الإسلام، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، يقول:

هذا صحابي يقول مبايعا
سر يا محمد حيث شئت مياما
لو خضت بحرا لا انتهاء لموجه
أو سرت فينا صاعدا جوف السما

لوجدتنا صبرا أباة في اللقا
ووجدت فينا الطائع المستسلما
لم تلق فينا من يجيب نبيه
مثل اليهود تفاهة وتذمما
سنظل نحن مرابطين بأرضنا
فاذهب وربك، قاتلا، ما شئتما

ففي هذا تناص بالتخالف مع قول صحابي جليل للرسول ﷺ يوم بدر، فقد (خرج رسول الله ﷺ إلى بدر، حتى إذا كان بالروحاء، خطب الناس فقال: كيف ترون؟ قال أبو بكر: يا رسول الله! بلغنا أنهم بكذا وكذا،

قال: ثم خطب الناس فقال: كيف ترون؟ فقال عمر مثل قول أبي بكر، ثم خطب فقال: ما ترون؟ فقال سعد بن معاذ: إيانا تريد، فوالذي أكرمك، وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قط ولا لي بها علم، ولئن سرت حتى تأتي برك الغماد من ذي يمن لنسيرن معك، ولا نكون كالذين قالوا لموسى من بني إسرائيل: (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون)، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما متبعون.....)[١٩]. والشاعر من خلال الجمع في هذا التناص بين قول الصحابي الذي يدل على قمة الشجاعة والإقدام، وموقف بني إسرائيل الذي يدل على قمة الخيانة والتخاذل، يزيد المفارقة وضوحا، حيث يريد عقد المقارنة بين إقدام الصحابة، وإحجام أحفادهم في أزمنة ضعف المسلمين.

إن الشاعر بهذا يتأمل المرويات «من خلال موقفه الشعوري، ويبتعث فيها النبض والحياة مرة أخرى، بإدخالها في سياقه الشعوري الخاص»[٢٠].

التناص الأدبي:

إن صفة واحدة تسم لغة الشعراء على مر العصور، وإن اختلفت درجاتها، وهي اختلافها عن غيرها بفنيتها، وكثيرا ما يتناص الشعراء بعضهم مع بعض، لتشابه التجربة، أو القراءة المستفيضة لشاعر معين، وغير ذلك من الأسباب، وقد يكون التناص مقصودا أو غير مقصود، باستثناء حالة واحدة يكون التناص فيها مقصودا، وهي المعارضة، حيث يضمّن الشاعر نصه شيئا من النص الغائب، بغية عرض الفكرة لينقضها.

في نتاج قصاب تناص مع الكثير من نماذج الشعر العربي بمختلف عصوره، وفيما يأتي عرض لذلك التناص على اختلاف طرقه.

من التناص بالتآلف قوله في قصيدة بعنوان: (درس من محمد)[٢١]، وقد قيلت في ذكرى مولد الرسول ﷺ:

فـــإذا ذُكِـــرت تـألـقـت أحـدوثـة
(وتـضـوعـت مـسـكـا بـك الـغـبـراء)

وهو تناص مع قول أمير الشعراء في قصيدته: (الهمزية النبوية):

بـك بـشـر الله الـسـمـاء فـزيـنـت
وتـضـوعـت مـسـكـا بـك الـغـبـراء

وإذا كان التناص في قصيدة الشاعر قد وقع في شطر من بيت واحد على المستوى التركيبي، فإنه واقع في بنيات ثلاث من بنيات النص، وهي: الإيقاع، والقافية، والدلالة، فالقصيدتان من البحر الكامل، ورويهما الهمزة، وقد نظمتا في موضوع واحد، هو ذكرى مولد الرسول ﷺ. أما عن الغاية من هذا التناص/ التضمين، فإنه لا يزيد القصيدة بعدا دلاليا، فقد كان بإمكانه إبدال أي شطر آخر به، إلا أنني أرى له فائدة أخرى، هي التنبيه إلى المفارقة الأسلوبية في استثمار سيرة الرسول ﷺ، بينه وبين النص الغائب، وهو من روائع الشعر العربي، حيث جعل منه مجالا لبناء مفارقة، بين ثلاثة أحوال للأمة العربية، وهي: حالها قبل بعثة الرسول ﷺ، وما غيرته الرسالة في سلوك الأمة، وما آلت إليه الأمة بعد تخليها عن رسالة ربها، وهذا ما لم يقم به النص الغائب/ همزية شوقي. والشاعر بهذا يقودنا للمقارنة بين نصه ونص شوقي، بشكل غير مباشر.

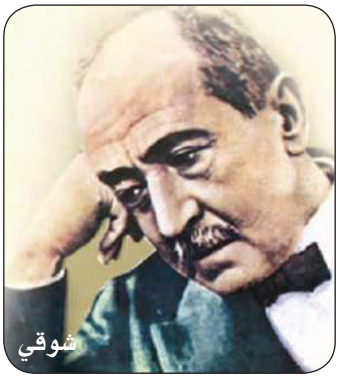
شوقي

ولقصاب قصيدة بعنوان: (غضبة الشعر)[٢٢]، يأسف الشاعر فيها على الشعر الأصيل الذي أفَلت شمسه عند الكثيرين ممن يدعون موهبة الشعر، ويجمع في القصيدة بين طرق عدة من التناص، بعضها تناص

مع النص الغائب بالتخالف، وبعضها بالإشارة فحسب، مشيرا في هامش الديوان إلى النص الغائب، يقول:

وأيـــن نـابـغـة يـبـكـي عـلـى طلل
(أقـوت وطـال عليها سالف العصر)

وهو تناص مع قول النابغة:

يـا دار مـيـة بـالـعـلـيـاء فـالـسـنـد
أقـوت وطـال عـلـيـهـا سـالـف الأبـد

ويقول:

وأيـــن أحـمـد والـبـيـداء تـعـرفـه
وطعنة الرمح من كفيه في النحر

وينشد الشعر فـالآذان تسمعه
ما صح منها وما كانت على وقر

وهو تناص مع قول المتنبي:

الخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمم

وهذا تناص يعيد إلى الذاكرة أسماء شعراء جهابذة فتقوا براعم اللغة عن أزاهير ملأت الكون عبيرا، وهو بهذا التناص يخدم البؤرة الدلالية في القصيدة، حيث أراد أن يفهم هؤلاء أنه لا غنى عن التتلمذ على أولئك العظماء الذين مثلوا قمة الروعة في شعرهم على مر عصوره.

ومن القصائد ما يتناص فيها الشاعر مع شعر غيره عن طريق المعارضة، لنقض البنية الدلالية/ الأفكار، التي اشتملت عليها القصيدة، من ذلك قصيدة (كذب الشعر وخاب)[٢٣]، التي عارض فيها بشارة الخوري.

يقدم بقول بشارة الخوري الذي يريد نقضه، ثم يتابع قوله هو، على الشكل الآتي:

قال بشارة الخوري:

كـــذب الـــواشـــي وخـــاب
مـــن رأى الـشـاعـر تـاب
عـــمـــره فـــجـــر مـــن الحـــ
ـب ولـــيـــل مـــن شـــراب

وقلت:

كـــذب الـشـعـر وخـــاب
مجـــه الـــفـــن الـلـبـاب
وأبـــتـــه نـــخـــوة الحـــ
ـر وأخـــلاق الـصـواب
إن يـكـن فـجـرا مـن الحـ
ـب ولـيـلا مـن شـراب

فهذا تناص بالتآلف، على مستوى الوزن والقافية، أما بنية النص المعارَض، فقد جاء بها مقدمة لنصه، ثم تناص معها بالتخالف، فحور فيها ضمن نصه، وفي كل ذلك يسوق الشاعر وجهة نظر الشاعر بشارة الخوري، ليضعه في قفص الاتهام، فهو يحاكمه، بإقامة الأدلة على بطلان هذه الدعوى، فهو يقول مثلا:

نـعـرف الـشـاعـر فـيـنـا
مـثـل ربـــان الـسـفـين
وهـــو في لـيـل دجـانـا
نجـمـة الـصـبـح المـبـين

وهذا النموذج من التناص يكون سبيلا لبيان وجهة نظر الشاعر في الكثير من القضايا الدائرة في الساحة الفكرية، على اختلاف نواحيها وانتماءاتها الأيديولوجية، ويعيّن بالتالي رؤيته وقناعاته تجاه تلك القضايا.

مع ديوان صفحات من سيرة عنترة

وأختم بيان التناص الأدبي بالكلام على ديوان (صفحات من سيرة عنترة)، وفيه يوظف الشاعر شخصية عنترة رمزا لواقع الأمة العربية، والإنسان العربي، حيث حضرت نصوص عنترة في الديوان بشكل لم ألاحظه - حسب اطلاعي - عند شاعر غير قصاب.

وقبل الكلام النظري، أسوق مثالا من الديوان، أحافظ فيه على الهيكلة نفسها، وقد يكون النص طويلا نسبيا، ولكنني أرى أن الغرض لا يكتمل إلا بهذه الإطالة:

المال مالكم والعبد عبدكم
فهل عذابك عني اليوم مصروف
تنسى بلائي إذا ما غارة لقحت
تخرج منها الطُّوالات السراعيف
يخرجن منها وقد بلت رحائلها
بالماء يركضها المرد الغطاريف
قد أطعن الطعنة النجلاء عن عُرُض
تصفر كف أخيها وهو منزوف

عنترة

الصفحة الأولى

هلا سألت ابنة العبسي ما حسبي
عند الطعان إذا ما احمرت الحدق
وجالت الخيل بالأبطال عابسة
شعث النواصي عليها البيض تأتلق

عنترة

* * *

يقول قصاب:

أرأيت أظلم منهم يا عبلة؟
قد أنكروني دائما وتعنتوا
زرعوا فؤادي حسرة
كادت ضلوعي من أسى
تتفتت..
سدوا دروب معارجي
لم يأذنوا حتى تضيءُ سماء عمري
نجمة
سكتوا وقد عرفوا
ولم يجدر بهم أن يسكتوا
الحق ينطق عنهم
الحق أجرأ ناطق
لو أن أهل الأرض
قد صمتوا معا
لا يصمت..

* * *

لكنهم
لما تصدع جمعهم
يا عبلة
يوم اللقا
وتشتتوا
وشمختُ في وجه الرياح العاتيات
كصخرة شماء
أو أنا أثبت
نادوا، فتى الفتيان
عنترة

فقلت: أنا هنا
هذا أنا
وصرخت كالرعد المزمجر:
إن شدادا أبي
وأنا ابنه..
من نسله
يحكي دمي أني ابنه
لم أكذب
وزبيبة أمي، وزوجته
حصان.. لم تغش وتكذب
لكنه من خوفكم
لم ينسب
ولأن جلدي كالظلام
نُبذت فيكم كالبعير الأجرب
الجاهلية كالعمى
سكن العيون
ولم يكن منها له
من مهرب

* * *

يا عبلة الخيرات
إني أسود
ذنبي بأني أسود
وابن السواد بعينهم
وجه قبيح مربد
من ذا يغير جلده؟
هل مثل عنترة يغير جلده؟
قالوا: الجميل الأبيض
قالوا: البياض محبب ومحسد
ها إن فعلي يا حبيبة
قد علمت، الأبيض
ومكارمي مثل الشموس

ضياؤها لا يجحد

لاحظنا أن الشاعر في هذا القسم - ومثله باقي الديوان - قد وضع عنوانا للقسم، ثم قدم بأبيات لعنترة تتوافق مع مضمون القسم كله، فيمكن اعتباره مع العنوان عتبة لما بعده.

ثم تابع بعد ذلك، فألغى العنوان فيما سماه الصفحة الأولى، ليقدم مباشرة أبياتا لعنترة، وكأنه جعلها عنوانا لنصه، مطابقا بين الضمير المستخدم في النص الأصلي/ العنوان، والنص الحاضر، إلماحا منه إلى امتزاج صوت الرمز، مع صوت الشاعر، وفي نص قصاب تفصيل بعد إجمال، حيث جاء بعد أبيات عنترة بما يؤيد شرفه، رغم النظرة المزدرية له من قبل الناس، وذلك بالتقنع بعنترة، ليبوح بما يريد من خلاله. وليؤكد هذا الامتزاج وصهْر الصوتين حتى كأنهما صوت واحد، فقد ضمّن نصه أبياتا لعنترة، منوعا في هذا التناص بين التناص بالتآلف، والتناص بالتخالف، فصوت عنترة هو نفسه صوت الشاعر، لأن حال الإنسان العربي هو نفسه حال عنترة.

فيكون الشاعر بهذه الطريقة الجديدة في التناص قد حقق فوائد عدة، منها:

- التأسيس لطريقة جديدة مبتكرة في التناص.
- بيان أن إمكانات التنويع في تقانات الحداثة لا حدود لها.
- التدليل على وحدة التجربة الإنسانية.
- تأكيد رأيه تطبيقيا، بإمكانية التعايش بين الشكلين العمودي والتفعيلي، جنبا إلى جنب، حتى في النص الواحد، ومن عصور مختلفة.
- أن الشاعر يؤكد شاعريته، بأن يمزج صوته بصوت واحد من جهابذة شعراء العربية.

◁◁ التناص مع التراث الشعبي:

التراث الشعبي «يبتعثه الشعراء المعاصرون في قصائدهم، مستغلين أبعاده ودلالاته القديمة، مضيفين إليها من واقعهم الشعوري أبعادا ودلالات جديدة»[٢٤].

ومن مكونات التراث الشعبي التي يوظفها قصاب في قصائده: الأمثال، والأغاني، والألفاظ الدارجة، والكثير من هذه المكونات تتداوله العامة بلهجتها المحلية، ولو كان فصيح الأصل، ونتيجة لهذا فقد ضمن في الكثير منه كلمات عامية، قد لا تمت إلى اللغة الفصيحة بأية صلة، وقد تكون دخيلة على عالم لغتنا.

التناص مع الأمثال:

قد يرتقي المثل في بعض قصائد قصاب، ليشكل ظاهرة أسلوبية، من ذلك قصيدة بعنوان: (حكايات من بلادي)[٢٥]، يعرض الشاعر فيها ما صارت إليه الكثير من الشعوب العربية، من تبعية مقيتة لحكامها الظلمة، فهم مُريدون مطيعون، لا رأي لهم ولا مشورة، يقول:

شعار أهل بلدتي استهتار
بما يقال أو يذاع أو يثار
(وإن علت في الجو ريح
تسد بابها لتستريح)
(وليكسرن بعضه الفخار)

في هذا المقطع تناص مع مثلين عاميين، الأول قولهم: (الباب اللي يجيك منو ريح، سدو واستريح)، والثاني قولهم: (فخار يكسر بعضه).

ويقول:

أمي تقول دائما: حاذ الجدار.. حاذ الجدار
لا تلتفت إلى اليمين مرة
أو لليسار

وهذا تناص مع المثل القائل: (امش الحيط الحيط وقول: يا ربي سترك). ويقول:

دع الكلام جانبا
وأمسك اللسان
فالهلك في اللسان
لكل حائط هنا آذان

وهذا تناص مع المثل القائل: (الحيط إلو آذان).

قد لاحظنا مما سبق أن الشاعر قد أثرى القصيدة بأمثال عدة، حتى أمكن اعتبارها ظاهرة أسلوبية في هذه القصيدة، وقد استثمرها كلها عبر التناص بالتخالف، محوِّرا صيغتها الأصلية ليتناسب المثل مع الوزن والقافية.

أما عن مدى خدمة هذه الأمثال لسياق النص من وجهة نظري فإنه من البراعة بمكان، فالقصيدة تعرض طباع الناس وما صاروا إليه، وهؤلاء الناس مختلفون في ثقافتهم، فأراد أن ينوع في لغة النص ليجد كل واحد مراده حسب درجة ثقافته، خصوصا أنها أمثال مستقرة في ضمائرهم، مما يجعلها مؤدية غرض الشاعر في المتلقي، لأنها تعبر عن حال الناس بلسانهم.

التناص مع الأغاني:

في قصيدة للشاعر وليد قصاب بعنوان: (أم كلثوم)[٢٦]، تناص مع مقتطفات من أغاني أم كلثوم، عن طريق التناص بالتآلف، وهي مقتطفات طالما تغنَّى بها العشاق والمحبون في لياليهم المشبعة بالنشوة الحالمة، وفجأة جاء قصاب ليقطع على هؤلاء نشوتهم، فيمارس فيها عملية قراءة من نوع خاص، فيجعلها في صلب الواقع المرير، فأصبحت الأغنية تحمل أبعادا سياسية، وذلك عن طريق السخرية، وهي من طرق بناء المفارقة، التي تكون سبيلا غير مباشر لتقبل إشعاعها الدلالي

الجديد، نتيجة الصدمة التي أودت بمخزونها الدلالي القديم، يقول:

أم كلثوم تغني:

«هل رأى الحب سكارى؟»

الملايين سكارى

والملايين من القوم حيارى

فجرها أصبح ليلا

ليلها أضحى نهارا

(.....)

أم كلثوم تغني:

«يا حبيبي كل شيء بقضاء،

ما بأيدينا خُلقنا تعساء»

ضاعت القدس حبيبي بقضاء

أُكلت يافا، وجولان، ولبنان

وأرض الأنبياء

ذات فجر

بعد نوم الكبراء

والقصيدة في سبيل بيان ما وصلت إليه الأمة الإسلامية من الهوان، وذلك عن طريق أسلوب السخرية الذي قد يبدو للوهلة الأولى نقيضا للشعرية، بينما نجد أنهما يتقاطعان في سبيل رسم الكثير من لوحات الشعر الحديث، ذلك لأن «الشعرية بحث مؤلم عن الجديد، ومغامرة في اللغة ومعها، وهي أيضا انحراف بأساليب القول عن شيوعه ومألوفيته إلى أفق مختلف يتأسس على لذة الغرابة، وصدمة المفاجأة، لكن التمعن في هذا الأمر يظهر لنا مع ذلك ارتباطا حميما بينهما، فالسخرية في حقيقتها كسر مفاجئ لنسق سلوكي، أو وجداني، أو فكري، راسخ وجاد، وهي زحزحة بارعة لقول أو سلوك عما فيه من وقار أو رهبة أو رهافة، وحيث تحدث هذه الزحزحة أو ذلك الانكسار، تخف أمامنا قشرة اللغة، وتعتريها بشاشة مفاجئة» [٢٧].

إن إعادة قراءة أغنية أم كلثوم، وتحميلها هذه الدلالة، يبين أن بين أيدينا نصوصا حبلى بالدلالات، وتزخر بثروات لا حدود لها، بشرط توفر القارئ ذي الإحساس المرهف، الذي يفجر طاقاتها الكامنة.

التراث الشعبي «كالأسطورة مظهر من مظاهر اللاشعور الجماعي وانعكاس له، وتأتي أهميته الفنية من قدرته على التحدث إلى الجماعة بما يعيش في وجدانها العام» [٢٨].

التناص مع الألفاظ والتراكيب الدارجة:

إن الشاعر المبدع هو الذي ينزل الناس منازلهم، ويخاطبهم على قدر عقولهم، ويقدر لكل مقام مقاله، وقد لاحظت في نتاج الشاعر استعماله بعض الألفاظ الدارجة، التي تكون في الكثير من الأحيان مجالا رحبا لصناعة الصورة التي لا تقل براعة عن المجاز، يقول في قصيدة بعنوان: (صرخة لبنان) [٢٩]، في سياق الحديث عن الاستخفاف وعدم المبالاة التي يظهرها كثير من الحكام العرب تجاه قضاياهم المصيرية:

فُضح الجميع فلم يعد فيهم كبير

الأدعياء شعارهم كذب وزور

(ضحكوا على الأذقان) فانخدع الصغير

ما عاد فيهم في الملمة مَن يجير

ويقول في قصيدة بعنوان: (العذر منك سرابيفو [٣٠]، التي يعبر فيها عن تخاذل الأمة تجاهها:

هل يذبح الدين ما منكم سوى خطب

لا مر يوم (عضضتم كفكم ندما)

وقصاب بهذا الاستثمار لمكونات التراث الشعبي يكون قد أثرى نصوصه عن طريق «شعريتها وما تحمله في تراثها المحفوظ شفاهيا من فن وحكمة» [٣١]، ويكون بهذه الملاءمة بين لغة الشعر ولغة الواقع المعيش، قد كسر الحواجز بين الشعر والكثير من المتلقين، الذين يظنون أن هناك بونا شاسعا بين لغة الشعر ولغتهم فيقبلون

عليه، لإحساسهم أنه صار في متناول أيديهم.

* * *

قد رأينا أن تقانة التناص على اختلاف مظاهرها «ظواهر تؤكد خصوبة الشعرية الحديثة، كما تؤكد بنوتها الشرعية لتراث شعري ممتد»[٣٢]، و«الشاعر المعاصر الذي استقر في وعيه أنه ثمرة الماضي كله، بكل حضاراته، وأنه صوت وسط آلاف الأصوات التي لا بد أن يحدث بينها تآلف وتجاوب، هذا الشاعر قد وجد في أصوات الآخرين تأكيدا لصوته من جهة، وتأكيدا لوحدة التجربة من ناحية أخرى»[٣٣].

وختاما؛ نستطيع القول: إن شعر قصاب استثمر تقانة التناص بشكل لافت، أداة ورؤية، وهي ضمن تقانات كثيرة، تنفي تهمة السطحية عن الشعر الملتزم دينيا ■

الهوامش:

(١) عبد الرضا علي، أوراق في تلقي النص الإبداعي ونقده، دار الشروق، عمان، الأردن، ط ١، ٢٠٠٧ م، ص ٣٩.

(٢) محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٤، ت:٢٠٠٥م، ص١٢١.

(٣) نعيم اليافي، أوهاج الحداثة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ١٩٩٣م، ص ١٨٠.

(٤) محمد عبد المطلب، هكذا تكلم النص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٩٧ م، ص ٥١.

(٥) عبد الناصر حسن محمد، الحب عند رواد الشعر الجديد (رموزه ودلالاته)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر،ط١، ٢٠٠٩م، ص ١١٦.

(٦) إن ما دعاني إلى هذا التحديد للمفهوم – وهو مستفاد من بعض النقاد المعاصرين – ملاحظتي شيئا من التناقض بين بعض النقاد في المصطلحات في مجال التطبيق في حقل التناص، فقد استخدم صلاح فضل (تناص التخالف) مرادفا لـ (تناص التضاد)، بينما يفرق محمد عبد المطلب بينهما. ينظر: صلاح فضل، نقد الشعر ج ١، ص ١٩٤-١٩٥، ومحمد عبد المطلب، قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، ص ١٨.

(٧) صلاح فضل، إنتاج الدلالة الأدبية، مؤسسة مختار، القاهرة، مصر، ط١، ص٥٩.

(٨) محمد حماسة عبد اللطيف، الإبداع الموازي، دار غريب، القاهرة، مصر، ٢٠٠١ م، ص ١١٠.

(٩) عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، ط ٦، ٢٠٠٣م، ص٣٠-٣١.

(١٠) ذكريات وأصداء ص ٣٦.

(١١) سورة الأنبياء: آية ٩٦.

(١٢) من شجون الغرباء ص٦٣.

(١٣) سورة لقمان: آية ١٨.

(١٤) أشعار من زمن القهر، ص ٢٦.

(١٥) مسلم، الصحيح، نسخة إلكترونية، رقم:١٧٦.

(١٦) عبد الناصر حسن محمد، مرجع سابق، ص١١٦.

(١٧) أشعار من زمن القهر، ص ٦٨.

(١٨) صور من بلادي، ص ٢٦.

(١٩) ابن أبي شيبة، المصنَّف، كتاب المغازي، نسخة إلكترونية.

(٢٠) عز الدين إسماعيل، مرجع سابق، ص٣١.

(٢١) فارس الأحلام القديمة، ص٦٧.

(٢٢) المصدر السابق، ص ١٦.

(٢٣) أشعار من زمن القهر، ص ٥٨.

(٢٤) عز الدين إسماعيل، مرجع سابق، ص٣٢.

(٢٥) صور من بلادي، ص ١٠٥.

(٢٦) فارس الأحلام القديمة، ص٢٤.

(٢٧) علي جعفر العلاق، مرجع سابق، ص ٣٠.

(٢٨) محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر – دار المعارف – القاهرة – مصر – ط ٢، ١٩٧٨م، ص٣٢٢.

(٢٩) صور من بلادي، ص ٧٢.

(٣٠) أشعار من زمن القهر، ص ٦٤.

(٣١) صلاح فضل، صور القراءة وأشكال التخيل – دار الكتاب المصري – دار الكتاب اللبناني – القاهرة – مصر – بيروت – لبنان – ط ١، ٢٠٠٧م، ص ١٢٦.

(٣٢) محمد عبد المطلب، قراءات أسلوبية في الشعر الحديث – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – مصر، ١٩٩٥م. ص ٥٠.

(٣٣) عز الدين إسماعيل، مرجع سابق، ص٢٦٦- ٢٦٧.

وانطفأ السِّراجُ(*)

في رثاء الدكتور محمد علي الهرفي رحمه الله

الحزنُ أَزْهرَ والأَسَى قَدْ مَاجَا ... وَغَدا لأَسْواقِ المَنُونِ رَوَاجا

اليومَ أَطْبَقَ لَيْلُهُ وظلامُهُ ... أَطْفَأْتَ يا ذَا اليَوْمَ مِنْكَ سراجا

وَضَرَبْتَ ضَرْبَتَكَ الَّتي مِنْ سَيْفِها ... أَدْمَتْ قلوبًا قَطَّعَتْ أَوْداجا

فاضَتْ بِحارُكَ يا رَدَى بِدَمٍ جَرى ... فَوْقَ الثَّرى وتَلاطَمَتْ أَمْواجا

وكأَنَّني في لُجَّةٍ وَبِها عَلَى ... عَيْنَيَّ مِنَ هَوْلِ المَنُونِ رِتاجا

غَيَّبْتَ شَهْمًا مِنْ كَرِيمٍ أُرُومَةٍ ... وإلى الفَضائِلِ والمَكارِمِ عاجَا

أَيْقَظْتَ لَيْلَكَ عالِمًا مُتَعَلِّمًا ... أَدْلَجْتَ في طَلَبِ العُلى إِدْلاجا

وَلَكَ البَيانُ جَميلُهُ وجَليلُهُ ... أَنْضَجْتَ مِنْهُ مَعالِمًا إِنْضاجا

قولُ الحقيقةِ منهجٌ وطريقةٌ ... لا لَمْ تَحِدْ عَنْ سيْرِها مِنْهاجا

حُرٌّ لَهُ في كلِّ مَوْقِعَةٍ صَدًى ... أَقْلامُهُ عقدَتْ عَلَيْها التَّاجا

قدْ كُنْتَ لِلإِسْلامِ خيْرَ مُدافِعٍ ... وَبَنَيْتَ أَسْوارًا لَهُ أَبْراجا

وعلى خُطا المُختارِ سِرْتَ مُوَفَّقًا ... وَتَخِذْتَ آياتِ الهُدى مِعْراجا

أَمُحَمَّدُ الهِرْفيَّ غالَتْكَ الرَّدى ... فَتَحَوَّلَ العَذْبُ الفُراتُ أُجاجا

قدْ كُنْتَ لي نِعْمَ الصديقُ أَذَقْتَني ... في غُرْبَتي صِرْفَ الوِدادِ مِزاجا

أُنْسًا وَلُطْفًا في عُذوبَةِ مَنْطِقٍ ... كَرَمُ السَّجِيَّةِ زادَها إِنْهاجا

لَيْتَ الدُّموعَ تَرُدُّ مُهْجَتَكَ الَّتي ... هيَ مُهْجَتي أَوْ أَنْ تَكُونَ عِلاجا

لِمُصيبَتي في شقِّ روحي إِنَّها ... قدْ هَيَّجَتْ حُزْني عَلَيْكَ هِياجا

فإِلَيْكَ مِنِّي يا ابنَ وُدِّيَ دعْوَةً ... في ظلِّ رَبِّي تَلْبَسُ الدِّيباجا

د.عبد الرزاق حسين - الأردن

(*) توفي الأستاذ الدكتور محمد علي الهرفي يوم السبت ٤/٤/ ١٤٣٦هـ، الموافق ٢٠١٥/١/٢٤م، إثْرَ حادثٍ مُروريٍّ على طريقِ الرياض/ الأحساء، رحمه الله.

خالي الحبيب

وفاء نبيل - مصر

قد يظن البعض أنها دموع فرحي بزفافي إلى حبيبي الذي طالما حلمت بالزواج منه، أو أنها دموع فراقي لأسرتي وبيتي وأمي التي لم أفارقها يوما واحدا، لكنها دموعي عندما رأيته يبتعد ويقف يرقبني من ركن قصي، بعد أن خطا معي بضع خطوات ويدي في ذراعه.. وبرقته المعهودة وضعها في يد زوجي الوسيم بعد أن أوصاه بي للمرة الألف.

ما إن بدأت أصوات الحفل تعلو حتى ابتعد عني كي لا أرى دموعه، وليراني هو في الصورة التي كان يذكرها لي دائما، منذ كنت أجلس فوق ساقيه، وأحيط رقبته بذراعين صغيرين؛ لأطبع مئات القبلات على خديه!..

«أتمنى أن أراك عروسا!»

علمت الآن معنى أن تتحقق أمنية ما غالية لإنسان حبيب إلى النفس.

في آخر الزفة يقف خلف كل الأقارب والمدعوين الذين يحيطون بي من كل جانب رغم أنه هو الأقرب لي منهم جميعا، خصلات شعره البيضاء الجميلة تضيء رأسه، كأنها تاج ماسي، تلتمع في عينيه دموع أبية لا تكف ولا تفر، ألاحقه بعيوني أينما ذهب، فهو صانع فرحتي منذ جئت من عالم الغيب، لأجد أبي قد رحل إليه.

لا أعرف لماذا تمر أمامي تلك الصور الآن؟ «عروستي» الجميلة التي تزحف على الأرض، أنت أول من اشتراها لي، يومها جلست معي نلهو بها، تزحف خلفها بسرعة لتزيد سعادتي وتعلو ضحكاتي...

أول حذاء تدخله قدمي -ولازلت أحتفظ به- انتقيته أنت تزينه وردات زاهية، ويصدر صفيرا عندما أخطو به، أقف مبهورة أحاول المشي، أتعثر.. أسقط مرات كثيرة، فتمسك بيدي تدعمني لأقف، وقد أحنيت ظهرك لأتعلم المشي وحدي..

الملاهي بأضوائها الباهرة تعرفت عليها من فوق كتفيك "أنت" تحملني وتمسك بساقي

الصغيرتين بكلتا يديك، كلما أشرت لشيء كان معي في الحال، رحلاتنا إلى المصايف كل عام، ما كان يبهج أوقاتنا فيها إلا أنت، حكاياتي التافهة التي كنت أرويها لك فتنصت وتهتم، وتتسع عيناك من الدهشة،، كأنني أحكي أخباراً مهمة، أسراري الصغيرة التي كنت أخفيها عن أمي، كنت أحكيها لك وحدك، أذكر أيضا يا خالي الحبيب سيارتك الجديدة، التي أقسمت أن أكون أنا وشقيقي أول من يركبها، سبقتنا وفتحت بابها قائلا: «تفضلي يا سمو الأميرة!» يومها قطعنا شوارع المدينة أجلس بجوارك، وشقيقي فوق ساقيك، ولم تنقطع ضحكاتنا طوال اليوم، حتى عدنا في المساء وقد غلبنا النوم، فحملتنا ذراعاك الحنونان إلى الفراش، أذكر هدايا نجاحي في المدرسة آخر كل عام، وجودك الجميل في الصف الأول بحفلة المدرسة وأنا أغني أو أشترك في مسرحية صغيرة مع زميلاتي، والسعادة ترقص في عينيك وأنت تصفق لي بحب وحماسة.

الآن تغيرت الحفلة.. الضوء الباهر ينبعث من كل مكان وأنا أقف مزهوة في ثوب زفافي الأبيض المنقوش، كأنني فراشة تفرد جناحيها في ضوء الشمس، وزوجي بجواري في بدلته الأنيقة يتلقى التهاني، والسعادة تتلألأ على وجهه، وأنت تقف بعيداً ترقب حلمك يتحقق؛ لتعلن للجميع في صمت نبيل بأن هذه العروس الجميلة هي ابنتك، وفي الحقيقة أنا التي أرقبك وأتأملك.. كبرت يا خالي الحبيب، وكبر حبك لكل من حولك، وأولهم وآخرهم وأكثرهم أنا.. أسأل الله أن تكون جائزتك هي الفردوس الأعلى..

فلا يدرك أحد مدى الخير فيك أكثر مني أنا، أنت أبي الذي جئت إلى الدنيا فوجدته ينتظرني بشوق، ويحتضن طفولتي وشبابي، فلا تتخفى بدموعك عني، وابتسم لي الآن لتبارك أيامي القادمة ■

أرق

شعر: عبدالرحيم الماسخ - مصر

خفتَ الصوتُ قليلا.. ثم عادْ
مُطبِقًا يلتفُّ مسحوبًا إلى قوس البلاد
أنا مَنْ ؟ أنتَ وحيدٌ.. ساقطٌ في هُوّة الميلادِ
مُرتدٌّ إلى سُلَّم آلامِكَ في ثورتك الكبرى
على سطوة عادْ
تتنامى الذكرياتُ.. البرقُ في الليل الشتاتْ
تتوارى الأغنياتُ.. الصمتُ للصوت التفاتْ
يتسامى اليأسُ.. يحنو القوسُ
والميلاد يسترضي المماتْ
أنت يا.....
أغنيةٌ تكمِلُ أحلامَك بين الريح والشبّاك
في بُستانِها الضاحك
محبُوبتك / الدنيا أمامكْ
والمرايا/الحقلُ يهتزُّ حنانا
وينادي الطيرَ.. والأشجارُ بركانٌ مُثار
بين غيم يتشابَكْ ! خفتَ الصوتُ وعادَ
الفرحةُ البكرُ : صباحٌ/خبرٌ ما بين صحو ورقادْ
وعبيرٌ هامسُ البسمةِ مغمورُ الحصاد وخيالاتٌ
يرفُّ الوقتُ في أحضانها.. رقصتُها للوهم زاد
وأنا/أنتِ.. وعمرٌ باحثٌ عن عمرهِ
ما بين قربٍ وبُعادْ ! خفتَ الصوتُ وعادَ
استدرجَ القلبَ إلى أغنيةٍ بكرٍ
وريح/وترٍ ينسجُ أحلام الودادِ
استدرجَ القلبَ.. وإذ أمسَكهُ ألقاه في النارِ
وألقى خلفه كلَّ جرارِ الكونِ
كي تحجُبَه عن كلِّ دربٍ للنفاد !!

بليونش في الشعر المغربي

سفيان الحتاش- المغرب

كثيرا ما نجد الشعراء يتغنون بالبلدان والأماكن ويبثونها ما يختلج في نفوسهم نحوها، وما تتركه من آثار عليها سلبا أو إيجابا، وهذا النوع من أغراض الشعر كثير عند القدماء والمحدثين، خصوصا في مدح مكة وطيبة وبيت المقدس، فقد حفظ لنا التاريخ قصائد ليست بالقليلة في هذا الشأن.

والأمثلة على هذا النوع من الغرض الشعري كثيرة لا نثقل بها هذه الصفحات، ودراستنا هذه ما هي إلا ضرب من ذلك النوع، حيث ستَرصد ما قيل من أشعار عن قرية بليونش[1]، قديما وحديثا، ولا تخلو مثل هذه المواضيع من فوائد جمة، سواء ما تعلق منها بالتاريخ أو الثقافة والاجتماع.

لماذا بليونش؟

لقد وقع الاختيار على بليونش بالضبط نظرا لما تحتله من الصدارة في تاريخ الفتح الإسلامي؛ إذ نجد أن الفاتح الإسلامي موسى بن نصير قد أشرف على بلاد الأندلس من هذه المنطقة حتى سمي جبل في بليونش باسمه: «جبل موسى» كما أنها كانت مصيفا ومنتجعا للوجهاء والأعيان والعلماء ورجال السياسة من أهل سبتة ومقصد راحتهم واستجمامهم، كالقاضي عياض، والشريف أبي العباس السبتي وبعض الأندلسيين كابن الخطيب، وبعض أمراء الأندلس، وقد وجدت بقايا مونيا المرينين[2] التي كانوا ينزلونها للراحة والاستجمام.

ولا غرو أن تهوي أفئدة الشعراء إلى بليونش فيتغنوا بطبيعتها البهية الحُسن والمنظر، الجامعة بين الحسنيين؛ طبيعة خلابة تجود بأنواع الثمار والمزروعات، وبحر بزرقته الصافية جواد على أهله بما تشتهي أنفسهم من أجود أنواع السمك والحيتان خصوصا «سمك موسى» المشهور في المنطقة.

فلقد هيجت مناظرها الخلابة، ومياهها الغزيرة العذبة، وبساتينها الفيحاء، وجناتها الوارفة الظلال عواطف الشعراء الذين زاروها أو سكنوها كالقاضي

عياض، والكميلي، والمنصفي، والحلوي، وغيرهم، وفيما يأتي عرض لبعض قصائدهم، لكن قبل عرض هذه القصائد لا بد من رصد الاتجاه العام الذي يطغى على هذه القصائد.

والنظرة العجلى فيما قيل من الشعر عن بليونش تفيدنا أن الشعراء انقسموا ما بين ناظر إليها بعين الرضا، مادح لها مدحا مطلقا، متغن بجمالها الخلاب، وحسنها الفياض، وطبيعتها الغضة النضرة، غاضا الطرف عن مساوئها وعيوبها، وقسم ثان يبدأ بذم طريقها الذي يتأرجح فيه الراكب من صعود إلى نزول، ومن يمنة إلى يسرة، ثم يُثَنّي بالثناء على هوائها النقي وخضرتها الماتعة، وهذا المدح في نظري أبلغ من الأول؛ لأنه يبين العيوب والمساوئ، ثم يذكر المزايا والحسنات، وبالتالي فتلك العيوب منغمسة في مزايا الفضائل غارقة في بحر المزايا والحسنات، فلا وجود لها في عين الحقيقة.

أولا- المدح المقيد:

بالمقارنة مع القسم الثاني نجد أن هذا القسم قليل، فحسب ما وصل لنا من الشعر نجد أن ثلاثة أو أربعة من الشعراء هم من قصدوا هذا السبيل في المدح، وهو طريق محمود كما قلنا.

ولقد تزعم هذا الاتجاه القاضي عياض - رحمه الله - رغم أنه لم يوجد له -حسب ما وصلنا- إلا بيتان هما أشهر ما قيل في طريق بليونش وشدة صعوبته، يقول:

بِلْيونش جنةٌ ولكن
طريقُها يقْطعُ النِّياطا
كجنة الخُلدِ لا يراها
إلاَّ الذي قَد جاوز الصِّراطا[٣]

القاضي عياض

فلقد صدّر حديثه عنها بأنها جنة، لكن طريقها كالصراط، فكما أن الجنة لا يدخلها إلا من جاوز الصراط فكذلك بليونش لا يتمتع بمناظرها الخلابة ونسيمها الرطب إلا من عانى مشاقّ طريقها وتكبد وعثاء السفر إليها، وهو تأكيد المدح بما يشبه الذم كما يعرف في علم البديع.

أما أبو الحجاج المنصفي فقد أكثر من شعره في بليونش ومما قاله:

بليونش شَكلُها بديع
أُفرِغ في قالَب الجَمال
فيها الذي ما رأتْه عَيني
يوما ولم يخطُر بِبالي
طريقُها كالصُّدود لكن
تعقُبُه لذة الوِصالِ[٤]

جعلها جنة على جهة التشبيه الضمني، واقتبس من الحديث النبوي الشريف عن الجنة: «فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سَمعَت، ولا خَطَرَ على قَلبِ بَشر». أما البيت الأخير فهو بيت القصيد هنا حيث يجعل طريقها صعبا ووعرا لكن يهون العناء ويفنى التعب حين يفوز القادم إلى بليونش بلذة الوصال.

ولقد خرج عن هذه الزمرة المادحة لبليونش وتنكب سبيلها قاضي أزمور أبو عبد الله الكُمَيلي حيث جعل بليونش كلها عذابا لا لذة فيها ولا نعيم، فكأن الماشي في طريقها كتب عليه العذاب، فهو يخوض ما كتب عليه، ثم يُعرض بجبل موسى الذي شبهه بالعُقاب فوقها، يقول:

بليونش كلها عذاب
فالمَشْيُ في سُبلِها عِقابُ

يكْنفُها شامخ مُنيف
كأنه فوقها عُقاب[٥]

ثانيا- المدح المطلق:

لقد تولى هذا الاتجاه وزير غرناطة لسان الدين ابن الخطيب الذي كان ينزل على الشريف أبي العباس السبتي في قصره البديع الشكل والصنعة فيكرمه ويحسن ضيافته، فأولع ببليونش، وأعجب بنقاء هوائها أيما إعجاب،حتى بلغ به الولَه إلى أن يفضلها على سائر الأماكن والبقاع، وأن يجعلها جنة الله في أرضه، ويشدد النكير على من عاب قرودها، بل إنه يجعل ذلك من فضائلها فقال:

بليونشٌ أسنى الأماكن رفعَة
وأجلُّ أرض الله طُرا شانا
هي جنة الدنيا التي من حَلَّها
نال الرِّضا والرَّوحَ والرَّيحانا
قالوا القُرودُ بها، فقلتُ فضيلة
حيوانها قد قارب الإنسانا[٦]

وتأمل هذا الإعجاب المفرط من ابن الخطيب وهو غرناطي، ولا يخفى أن غرناطة كانت فريدة العقد الأندلسي في وقتها، وهذا يدل على ما بلغته بليونش من الأوج الحضاري ومنافستها لحواضر الأندلس الكبرى، ووصف الأنصاري لبساتينها وجناتها ومساجدها وحماماتها مشهور مذاع.

ويؤكد ما قلناه قول أبي العباس الينشتي وهو في بغداد وقد حركه الحنين والشوق إلى بليونش:

أبليونش لا جفَّ نبتُ رياضِها
وجاد على مَغناها صَوبُ السحائبِ
فما شعبُ بُوّان ولا الغوطَة التي
زهت برياض بينها ومذانب
بأحسن من مَرآك والبحر معرضٌ
وقد جال فيه الطَّرفُ من كلِّ جانبِ

ويزيد تأكيد حبه لبليونش التي لا يرضى بها بديلا ولا يملأ عينه غيرها شرقا أو غربا فيقول:

لَقَد طُفت في شرقِ البلاد وغَربها
فجانب طريقي غير تلك الجوانبِ
وما عهد (أَوْيات)[٧] لدي مُذممٌ
ولا ذكر (مَيمات)[٨] عَلَيَّ بذاهب
فكم لي بها من لذة مع معشر
يُحَيَّون بالريحان يوم السَّباسِب
كرام نَمَتْهُم للمعالي أكارم
حِسان الوجوه والحُلِي والضَّرائبِ
سلام عليهم ما حييت فإنني
أزيد لهم حبا بطول التجارب[٩]

أما المَنصفي -وقد تقدم شعره- فقد افتتن بها أيما افتتان، وولع بها حتى بلغ به الولع مبلغه، ليبث ما يكتنه نفسه من أهازيج الوله وأغاريد الحب نحو بليونش، فيقول في قصيدة مثقلة بالصور البيانية المبدعة:

انظر إلى نَضْرة زَهر الرُّبا
كأنه وشْيٌ على كاعِبِ
ومتِّع الطَّرف ببليونش
ومائها المُنبعث الساكِبِ
تشاركتْ والحسنُ في وَصفِها
تشارُكَ العَين مع الحاجِبِ
وقد أَرَتْنا اليوم من حُسنِها
ما لم يكن في زمن الحاجِبِ[١٠]

ولا زال يعدد مزايا طبيعتها ومدى تأثيرها وفعلها في النفوس، وأنها تملك على الإنسان لُبه وقلبه فلا تدع له مجالا إلا أن يغرم بها من غير طواعية، حتى إنها من بهائها ورونق جمالها لتفسد توبة التائب، وتعيد الشيخ لزمن صباه...

فَعّالةٌ بالطَّبع في أهْلِها
ما تَفعَل القَهوةُ بالشَّارب

تُـذكّـرُ الشـيـخ زمــان الصِّـبـا
وتُـفـسِـد الـتَّـوبـة لـلـتـائـبِ

ومما يؤكد افتتان المنصفي بهذه القرية الساحرة قوله:

انـظـر إلى بـهْـجَـة بـلـيـونـش
وحُـسـن ذاك المـنـظَـر الـلامِـعِ
تَحكي الثُريا عندما أُسْرِجت
بـلـيـلـة الخَـتـمِ في الجـامـع[11]

ولقد حن عبد المهيمن الحضرمي لموطنه سبتة، وتساوى عنده الحنين إلى بليونش، فنجده يذكر أياما غرا قضاها ببليونش البهية طوتها الأيام وعفت عليها صروف الدهر، يقول:

ويـــا لِأيـــــام بـبـنـيـونـش
لقد عَدت عنها صُروف العواد
أدركـــتُ مـن «لُـبـنـى» بـهـا كلما
لـبـانـة وسـاعـدتْـنـي «سـعـاد»
ونِـلـتُ مـن لـذات دَهـري الـذي
قـد شِـيـتُـه ولـلأمـاني انـقـيـاد

فتأمل في التلاعب بالألفاظ في قوله: لبنى ولبانة، وقوله: ساعدتني سعاد، بل إنه سيبدع أكثر في قوله:

مـنـازل مـا إن عـلـى مُـبـدِلـهـا
مـكـان الـلام في هـا انـتـقـاد[12]

فهذه المنازل إنما هي في الحقيقة منازه، وليست منازل فقط، لذلك لا انتقاد على من جعل الهاء مكان اللام، وهذا التلاعب في الألفاظ وهذه الأنواع من الصور الجمالية كثيرة في شعر الأندلسيين، تكاد تكون خاصة بهم، وهي حال طبيعية نتجت من أثر بصمة البيئة الأندلسية على نفوسهم الرقيقة وحسهم المرهف.

ومما يشاكل هذا النوع من التصوير الحساس لطبيعة بليونش قصيدة «بليونش» للشاعر محمد

الحلوي، التي هي بمثابة نهر دفاق وجدول سيال تجتمع فيه بالإضافة إلى «وصف خفاجي» لجمال بليونش ورونقها وحسن منظرها، ملحمة تاريخية تحكي تفاصيل الفتح الإسلامي..

بليونش ماذا صنعت بقلبي المُضْنى الشَّرودْ
أيقظتِ فيه مشاعرا من قبلُ كانت في خُمود
يـا دُرة لَـماعـة في تـاج مـغـربـيَ الـعـتـيـد
يـاألـف ثَـغـر باسـم يـا طَـلـعـة الـفـجـر الـولـيـد
رَوضاتُك الخضراء فيضٌ من فَراديس الخلود
مَجدتُ مَن غطا ثراك فنام في خُضر البرود
وأفاض فيكِ الماء دفاقا كأنهار الخلود

ثم بعد هذا الوصف يخلص الشاعر إلى الحديث عن الحملة التاريخية الكبرى التي تذكرنا بأمجادنا الأوائل الذين حملوا مشعل الجهاد، فيستدعي التاريخَ ليجعل من بليونش شاهدة عيان للفتح الإسلامي مذكرة بأبطاله ورجاله؛ كطارق بن زياد وموسى بن نصير ..

لتتوغل في حكايات عن جنود الفتح المُكبِّرين والمهللين من فوق الجبال، واصفة استبسالهم وصمودهم من أجل نشر دين الإسلام تجمعهم في ذلك آصرة الأخوة الإيمانية..

بليونش قُصِّي على الأجيال أمجادَ الجدود
واحكي لهم عن طارق مُتَحفزا بين الجنود
موسى يُطِّل مُكبرا ومُهللا فوق النجود
ورجال موسى في جبالك رابضاتٌ كالأسود
والله أكبر في مآذنك المَهيبة كالرعود
ورُباك لم تخضرَّ إلا بالركوع وبالسجود
ورباك يا بليونش قِمَمُ الشَّهامة والصمود
أسدٌ متى انتفَضْتَ ستعصف بالغزاة وبالقُيود[١٣]

وقد اختصر الشاعر هذا المعنى كله في قصيدة بعنوان «سلام» حيث يقول:

وتحكي عن الفتح أسطورة تُباري الفتوحَ بها أمتي

ثُم يرجع الشاعر إلى مدح بليونش مطنبا في مدحها وذكر محاسنها فيقول:

يا أختَ «كيتانَ»[١٤] رُباكِ عرائس خُضر النُّهود
وضُحاكِ أعراس ورقْصات على أنغام عود
والليل فيك قصائد وقلائد في خير جيد

ولقد أمتع الشاعر وأبدع في قوله:

لو كان لي رأي يطاع وكان في الدنيا خلود
لاخترتُها ولكان في روضاتها الغنَّا قعود

فلو كان الخلود ممكنا لاختار أن يُخَلد في بليونش، ولما رضي بغيرها، وهذا شبيه بقول الينشتي:

لقد طُفتُ في شرق البلاد وغربها
فجانبَ طَريفٍ غير تلك الجوانبِ

وقول ابن الخطيب:

بليونش أسمى الأماكن رفعة
وأجلُّ أرضِ الله طُرا شانا

وتأمل كيف كاد الشعراء أن يجمعوا على هذا المعنى، مع أن المتردد إلى بليونش اليوم لا يجد فيها ما ذكرنا من طبيعة خلابة وجنان وارفة الظلال، وما كان فيها من البساتين التي تأخذ بالألباب والعقول، والذي يفسر هذا ما ذهب إليه المؤرخون من وقوع زلزال[١٥] هز أرض بليونش فلم يترك لها من المحاسن والأوصاف إلا أطلالا يستدل بها على بهائها وجمالها، وهذا ما عبر عنه أستاذنا الأديب سيدي أحمد بنياية في قصيدة ملؤها الحسرة والأسى على تلك المعالم والآثار:

لسان الدين ابن الخطيب

أَوْدى اليَباب بزهرة محمولة
في النَّعش لا خبرا من الجوزاء
واهاً على تلك المَعالم إنها
كانتْ معالم روضةٍ غناءِ

ثم إن الحلوي يُعَرض بالشعراء قبله، ويعيرهم بأنهم ما أخلصوا في حبهم لهذه العروس، وهذه الدرة المصونة، واللؤلؤة المكنونة، فلو كان حبهم صادقا كما زعموا لما عابوا طريقها، وإذا كان طريقها يقطع النياط فهو يتباهى بأن تكون بليونش هي نياط قلبه، يقول:

ما أخلصوا في حُبهم شعراء هاموا من بَعيدْ
وتهَيَّبوا في سَيْرهم خطرَ التَّسلُّق في النجود
أنت النِّياط إذا قُطعت نياط قلبيَ في صعود
يا ألف ثغر باسم يا طَلعة الفجر الوليد

ويختم قصيدته بأبيات يبين فيها أن بليونش قد جمعت المحاسن من أطرافها، فهو يخاطبها قائلا: لا تطمعي في المزيد من المحاسن، فقد بلغت الذروة في

الجمال والرونق والبهاء وشابهت الأندلس في جمالك وحسنك..

لا تطمعي وقد اكتسيتِ من المحاسن في المزيد
جاوزتِ كل تصوري يا أخت أندلس العتيد
لا تَحْرُسينا في الحدود فقد خرجتِ عن الحدود
قولي لسبتة عَودُها عرس وعِيدٌ أي عيد

ثم إن الشاعر الحلوي لم يجعل قصيدته هذه في بليونش بيضة ديك، بل تكرر مدحه لها وذلك في قصيدة بعنوان «سلام» التي جعل بليونش فيها متحدية للخيال بما تكتسيه من تركيبة طبيعية غنية بالخضرة وجداول الماء المنسابة...

وبليونش تتحدى الخيال وتَرْفُلُ في سُندس الخضرة
جداولها كوثر مُسْتباح وروضاتها غُرَف الجَنَّة
تُطِل على البحر في كبرياء وتربضُ كالليث في عزة[١٦]

وإذا استمطرنا أنواء قرائح أبناء بليونش فإننا سنجد من أبنائها البررة الأستاذ أحمد محمد بنياية الذي بث لواعجه الحرى في غير ما قصيدة عن بليونش، متحسرا على ما آلت إليه الآن بعدما كانت روضة غناء، مستحضرا تاريخها العتيد وماضيها التليد الذي طاله النسيان فعاث فيه وشوه معالمه، وطمس حسنه، يقول:

أجِيدَ المُرشدين لأنت جيدٌ
خليق أن تَتيه بك الصِّحابُ
أَتوا بليونشا حُبا وشوقا
بأفئدة دَعائمها الكِتاب
عَهدتُكِ مجلسا بالعلم تشدو
بلابله فأخرَسَني الجوابُ
ثَوى بالأمس فيكِ عصورَ مجدٍ
وفكرٌ لا يُشَوهه اسْتلاب

ثم يحن إلى ذلك العهد المجيد الزاهي بمجالس العلم والذكر فيقول:

على نَهْجِ الكِرام وعِزِّ دار
تتُوق لنا وللذكرى التِهاب
إلى بليونش يَهْفو الحنين
بأنجرةٍ[١٧] تناساها انْسِيَاب[١٨]

ولعل القصيدة التالية هي التي تظهر فيها هذه الحسرة على بليونش الغضة الندية التي فتنت الشعراء والكتاب، وتبين مدى فظاعة جرم إهمالها ونسيانها، كما نسيت أماكن قبلها، والشاعر كثيرا ما يستدعي الأحداث التاريخية ليقارن بين بليونش الأمس وبليونش اليوم، فقد أشار إلى الساحل وهو مكان فسيح بُني فيه قصر أبي العباس السبتي الشهير، الذي لم يبق منه اليوم إلا أطلال بائسة تحمل بين جدرانها الكثير من الأسئلة التي أُخرس التاريخ عن الإجابة عنها..

بليونش قُصي على «الحَمَام»[١٩]
ماذا جَرى بسبتة لِلْماء
واحكي لنا عن «سَاحل»[٢٠] مُسْتَصرخا
حَذْو العُلوج بحُلكة الأعداء

أودى اليباب بزهرة محمولة
في النعش لا خبرا من الجوزاء
واها على تلك المعالم إنها
كانت معالم روضة غناء

وفي قصيدة أخرى يذكر بيتا يفيض أسى وأسفا على ما جنح إليه الأعداء من تهميش المناطق المستعمرة بعد نهب خيراتها ..

وهمَّشنا الأعْداء حتى تصاغرتْ
بنا الرَّبْوَة الْخَضرا وعُدنا إلى السفلِ

وباستعراض هذه المقطوعات الشعرية نتبين بعض ما كانت تحظى به هذه القرية العجيبة في مختلف جوانب الحياة؛ إذ تحيلنا الأبيات السابقة –على ندرتها– إلى جوانب تاريخية مهمة، بحيث تبرز لنا الجانب البيئي التي كانت تضطلع به قرية بليونش، بالإضافة إلى الجانب الحضاري الذي كانت تتمتع به القرية، وكذا الجانب العلمي والثقافي على مر التاريخ والعصور، كل هذا جعل منها قبلة الشعراء والأمراء، وقع حبها في قلبهم من غير استئذان، كما لا ننسى أنها كانت بوابة الفتح الإسلامي الأول إلى الأندلس، فلا زال جبل موسى بن نصير شامخا هناك مقابلا لجبل طارق، يُرى كلاهما من الآخر رأي العين، لذلك أحسب أن هذه الأبيات عززت المجال الأدبي أولا، ثم المجال التاريخي، وذلك لما حملته بين معانيها من إضافة نوعية لتاريخ الفتح الإسلامي مرورا بالتاريخ الأندلسي، وانتهاء بحسرة الاستعمار الإسباني للأندلس، وأخيرا لمدينة سبتة ردها الله على أهلها ■

الهوامش:

(١) بلِيُونش، ويقال لها أيضا بنيونش قرية محاذية لمدينة سبتة.

(٢) انظر موقع وزارة الثقافة المغربية: http://www.minculture.gov.ma

(٣) شهاب الدين أحمد المقري، أزهار الرياض، ج١، ط اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، ص٣٤.

(٤) المقري، مصدر سابق.

(٥) المقري، مصدر سابق.

(٦) المقري، مصدر سابق.

(٧) اسم مكان قرب بليونش .

(٨) اسم مكان قرب بليونش .

(٩) الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي، تاريخ سبتة، ط دار الثقافة، الدار البيضاء، ص ١٠٣-١٠٤.

(١٠) الحاجب هو حاكم الأندلس المنصور ابن أبي عامر الملقب بالحاجب.

(١١) المقري، مصدر سابق ٣٥/١.

(١٢) الأستاذ بنتاويت، تاريخ سبتة، ص ١٥١، والوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، ج ٢، ط دار الثقافة، ص٤٤٧.

(١٣) الشاعر محمد الحلوي، ديوان «شموع»، ط النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص ٨٨.

(١٤) مكان قرب تطوان فيه منتزهات خضراء وبساتين غناء .

(١٥) وقد ذكر القاضي محمد السراج في كتابه «تاريخ سبتة بالأثر والمأثور»، ص ١٥٣: أن قرية بليونش وقع بها زلزال بعدما خرج البرتغال عنها فغير منظرها وأزال نضرتها، ولم تبق إلا أطلال هنا وهناك. ط المهدية، تطوان. وانظر أيضا: «زلازل بلاد المغرب العربي في المصادر الإسلامية» – ق ٣ ق ٣٣ ه = ق ٣ ق ٣٣ م– للدكتور خالد يونس الخالدي، حوليات كلية الآداب/ جامعة عين شمس، المجلد ٤٠ عام ٢٠١٢م

(١٦) القاضي محمد السراج، مصدر سابق، ص ٨٥.

(١٧) قبيلة بشمال المغرب تخرج بها العديد من الفقهاء والعلماء في شتى الميادين.

(١٨) من كتابه: «ياقوتة المقتطفات الستة لطالب بليونش وسبتة» مخطوط. نحاول إخراجه للوجود.

(١٩) معركة شهيرة وقعت أحداثها بقبيلة أنجرة إبان الاستعمار الإسباني لشمال المغرب.

(٢٠) الساحل مكان لا زال يعرف ببليونش حيث كان قصر الشريف أبي العباس السبتي الذي كان ينزل عليه الأعيان والوزراء، وقد نزل عليه ابن الخطيب غير ما مرة، ولا زالت أنقاض هذا القصر شاهدة على عظمته، وأهل بليونش يسمون هذا المكان اليوم بالسويحلة. أزهار الرياض ٣٦/١-٣٧، واختصار الأخبار للأنصاري، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، ط الخزانة الحسنية، ص ٥٦ .

قصة قصيرة

دماء ودُمى

علاء سعد حميدة - مصر

ذكاؤه الحاد انقلب إلى نوع من الدهاء والمكر.. يفتك بمنافسيه على رقعة الشطرنج.. منذ طفولته وهذه الهواية تكبر معه..

يمارس حربه الضروس على رقعة الشطرنج عدة ساعات كل يوم.. أقرانه يجدون في لعبة الشطرنج هواية لتنمية مهارات الذكاء، وتجربة الخطط المختلفة، وتقوية الملاحظة، وسرعة رد الفعل، وتسلية ممتعة.. أما هو فيشعر أنه يمارس القتل الحقيقي من خلال اللعبة الشهيرة.. كل طاقة التدمير الدفينة لديه يترجمها على الرقعة، يمارس القتل الفعلي عندما يقتل جنديا ضعيفا في خط الحماية الأول من جيش المنافس..

عندما يقتنص فيلا أو حصانا يشعر أنه يفتك بالجيش المنافس فتكا..

وعندما يأخذ (قلعة) فقد قام بتدمير حصن من حصون الأعداء!!

تنامت داخله الفكرة الجهنمية وهو يمارس اللعبة ساعات طويلة لتشغل جزءا رئيسا من حياته اليومية..

تطور الأمر من حب تدمير الخصم على الرقعة، إلى إجادة فن التضحية بالقطع والدمى من جيشه في سبيل الوصول إلى هدفه الأكبر وهو النصر الساحق الماحق..

لم يعد يهتم كثيرا بجنوده الضعفاء وهو ينقلهم نقلات تبدو متهورة متسرعة، ليحصدهم المنافس حصدا، طالما أنه يفتح طريقا في جيش المنافس للوصول إلى قلب الملك، يحرص كل الحرص على جندي واحد أمام الحصان في الجبهة اليمنى من الرقعة، يبقيه ساكنا لا يحركه أبدا مهما استدعت ضرورات اللعب، ربما يحتاج إليه في الترقية إلى وزير عندما يخسر وزيره في لعبة مندفعة أخرى لإغراء المنافس بفتح ثغرة جديدة يحاصر بها ملكه..

ليس لأي دمية من دمى الشطرنج قيمة خاصة عنده إلا بما تحققه له من نشوة الانتصار.. جميعها قابل للتضحية ليحقق الفوز الأكيد..

ضحكة خبيثة يطلقها عندما يحقق الفوز بالمباراة، ومنافسه يقارن بين عدد قطع كل منهما على الرقعة ويقول له في حسرة:

- كيف حاصرت الملك، وعدد قطعي تقريبا ضعف عدد قطعك، ومع ذلك تفوز بالمباراة؟!

تتحول ابتسامته الكريهة إلى ضحكة عالية أكثر بغضا وضراوة وهو يهمس بصوت كالفحيح ضاغطا على أسنانه:

ليس المهم أن أضحي بأوراقي كلها فالعبرة بتحقيق هدفي النهائي.. وقد تحقق..

مع سنوات العمر وتقلد المناصب القيادية تحولت معه الهواية البغيضة للقتل والتدمير والتضحية بقطع جيش الخصم وقطع جيشه معا للوصول لنصر شخصي يحقق له النشوة العارمة، إلى واقع يمارسه.. فتحولت الدمى المتساقطة على رقعة الشطرنج إلى دماء في الميدان..

القتلى يتساقطون وهو منتشٍ يشعر بقرب الوصول إلى خنق الملك بعد نقلتين أو ثلاث ولو ضحى في سبيل ذلك بوزيره الأول والفيل والحصان والقلعة!! ■

عندما يكون السلطان موضع اتهام

إضاءة على المسرح الإسلامي التركي

المسرح مرآة تعكس واقع أي مجتمع، وتعبر عن همومه وقضاياه، ولذلك فهو ومشتقاته الدرامية كالإذاعة والتلفزيون والفيديو والسينما من أفضل الوسائل في التعرف على الشعوب وثقافتها بإطلاعنا على ما يميزها من عادات وعقائد، وقيم وتقاليد.

وقد أعرب الكاتب المسلم عن براعته في مجال الدراما بصياغة عدد كبير من النصوص المسرحية الجيدة التي تحرص مجلة الأدب الإسلامي على أن يتضمن كل عدد من أعدادها الرائعة واحدة منها، وسنتعرف على المسرح التركي نموذجا للدراما التركية التي أصبحت موضع اهتمام بعد القبول الجيد الذي استقبلت به الأعمال التلفزيونية التركية.

محمود كحيلة-مصر

مسرحية

عندما يكون السلطان موضع اتهام

مقصاص

ترجمة: تسنيم محمد حرب
مصر

ذيل جبته ويقول لنفسه): سبحان الله! يالعجبا (يرسل يده التي تمسك بالسبحة إلى جانبه) أي أيام هذه التي نعيشها. أليس من العجب أن تمتد في إستانبول وهي دار السعادة سرقتان في سنة واحدة (يشير بيده إشارة لعدد الثين) ألا يخشى الله العظيم، ولا يستحيي من رسوله الكريم. ذلك اللص الذي عدم الحياء، واجترأ على الحق، في ملك السلطان محمد بن مراد؟! حاشا أن يكون هذا اللص مسلما. لابد وأن يكون أجنبيا.. قد يكون من طائفة الروم أو الأرمن، أو قد يكون يهوديا (يهز رأسه إلى الجانبين في أسف) ما هذه الحال التي صرنا إليها؟! واقفتا سرقة في سنة واحدة. لا يمكن أن يكون هذا دليل خير قط. إن هذا لعلامة من علامات الفساد. ويجب أن تأخذ حذرنا منها. لابد أن يكون هذا اللص عبرة لمن لا يعتبر. لابد أن من النيض عليه حتى لا يكون هنالك بين الرعية نموذج سيئ يمكن أن يتخذه بعضهم مثالاً. (يدخل حاجب المحكمة إلى المسرح).

الحاجب: (منحني الرأس، عاقدا ذراعيه على صدره) سيدي القاضي!

القاضي خضر: (يلتفت إلى الحاجب) قل يا عبدالله: هات ما عندك يا بني.

الحاجب: في الخارج رجل من طائفة الروم من خارج إستانبول ينتظر، ولديه ما يود عرضه عليكم.

شخصيات المسرحية:

السلطان محمد الفاتح.

القاضي خضر جلبي.

المهندس المعماري "أيسلانتي" نصراني بيزنطي، يرتدي قلنسوة مدببة. إحدى ذراعيه مقطوعة، يتراوح عمره بين ٣٠: ٣٥ عاماً.

الحارس الأول: يتراوح عمره بين ٢٠: ٢٥ عاماً.

الحارس الثاني: يتراوح عمره بين ٢٠: ٢٥ عاماً.

حاجب المحكمة: نفس السن.

حاجب المحكمة: رجل متقدم نسبياً في السن.

الشاهد الأول: شاب في زي العمال.

الشاهد الثاني: عامل في نفس الزي

المنظر (قاعة محكمة عثمانية. على الأرض بساط، وفرش مربعة. حامل خشبي للمصحف. لوحات خطية لآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة. بطول الحائط).

المشهد الأول

(يجلس القاضي خضر جلبي، القرفصاء، أمام حامل المصحف. يجلس بجانبه كاتب المحكمة. يقف حارسان على جانبي المسرح. يضع كل منهما ذراعيه على صدره، في حالة استعداد لتنفيذ الأوامر).

القاضي خضر: (بمدئ يوقار ويتجه نحو مقدمة المسرح. وهو يلمح

* مسرحية تركية ذات فصل واحد من تأليف نيازي برنجي الديب وكاتب تركي معاصر ذو اتجاه إسلامي، له روايات ومسرحيات عدة.

مسرحية (القصاص) أو (عندما يكون السلطان موضع اتهام) تأليف الكاتب التركي «نيازي برنجي»، وترجمة «تسنيم محمد حرب» المنشورة بالعدد (٤٩) من فصلية (الأدب الإسلامي) التي تصدرها رابطة الأدب الإسلامي العالمية، اختيرت للعرض بالمجلة لجودتها، ووسيلة للتعرف على المسرح التركي الذي يعد بدوره نموذجا مثاليا للتعبير عما يمكن أن يكون عليه حال المسرح الإسلامي إذا تركت له حرية الانتشار والأداء، وهي بالإضافة إلى ذلك طريقة غير مباشرة لمعرفة أحوال دولة ذات تاريخ إسلامي عريق ومهم هي تركيا التي كانت عاصمة الخلافة الإسلامية.

تعالج مسرحية (القصاص) موضوعا عصريا في إطار تاريخي يتعلق بالعلاقة بين مختلفي الأديان عندما يعيشون في مجتمع واحد، يتم التعرض إلى ذلك الأمر المهم من خلال محاكمة مدهشة وجاذبة: المتهم فيها.. هو السلطان الحاكم نفسه عندما يصير موضع اتهام، كما يشير العنوان الاحتياطي للمسرحية، وهذا أمر طبيعي، لأنه بشر، والبشر بطبيعتهم يخطئون، ومن هنا تبدأ قوة جاذبية النص الذي يعمل في عكس اتجاه الميول البشرية التي تنتصر دائما للسلطة، وتبرر أغلب أفعالها، فلا أحد يجرؤ على مخاصمة الحاكم، طالما بقي على رأس السلطة، إلا ما ندر، وإذا جرؤ

شخص على ذلك، وخاصم حاكما وهو على مقعد السلطان فكيف سيكون جزاء هذا الشخص!؟.

هذه المفارقة المثيرة لهذه القضية الأزلية كانت تكفي لإقامة هذا النص إقامة تصغر أمامها جميع عناصر الكتابة الدرامية، ولكن عبقرية الكاتب المسرحي المسلم التركي (نيازي برنجي) لم تكتف بذلك، وإنما اختارت لهذا النص المسرحى القصير جدا أن يقوم على ما هو أقوى.. على نوع من الإخلاص للعمل الأدبي المسرحي، إضافة إلى إثبات القدرة على الصمود والتحدي في مواجهة الكتابات الدرامية الأخرى، بأن يكون المدعي بالحق على السلطان المسلم، والمطالب بالعدل ليس على دين السلطان، لينتبه كل متلق لما يتلقاه، ويستدعي كل حاضر ما لديه من معرفة وثقافة بالإسلام ومواقفه مع غير المسلمين، فتجتلب العقول المواقف المشابهة من حياة الرسول عليه الصلاة والسلام، وما فعله عندما اتهم يهودي بسرقة درع أحد المسلمين ولم يكن هو السارق..! فأنزل الله آيات قرآنية كريمة تبرئ اليهودي قبل أن يطلع نهار اليوم التالي ليوم اتهامه، لأن الله –سبحانه- لا يرضى الظلم، ولا يقبل تأخير العدل الذي يعد ظلما في ذاته.

كل هذه العناصر عالجها بمهارة شديدة وحرفية أدبية (نيازي برنجي) في نص مسرحي قصير جعل الطرف الآخر للصراع فيه مهندسا معماريا نصرانيا يدعى (إبسلانتي)، وهذه الإضافة ما كانت لتزيد من تعقيد الدراما المسرحية بلا حضور من العناية الإلهية بالمشهد الدرامي، وهو الحضور الذي جعل الطرف المدعي له قوة موازية لقوة السلطان.

وفي حبكته المسرحية جعل الكاتب المهندس النصراني المدعي على حق يؤكده اعتراف السلطان وشهادة الشهود.

كان المدعي يؤدي عمله الذي كلف به من قبل السلطان (محمد الفاتح) نفسه، وكان هذا العمل هو بناء جامع جميل ورائع ذي أعمدة رخامية اختارها السلطان بنفسه، وأمر بوضعها في الجامع الذي قرر أن يحمل اسمه.

قام المهندس (إبسلانتي) بموجب السلطة المطلقة التي منحه إياها السلطان بقطع الأعمدة الرخامية لكي تتناسب من وجهة نظره المعمارية مع البناء الذي كلف بالقيام به.

لما رأى السلطان ما حدث غضب غضبا شديدا، وأمر أثناء الغضب بقطع يد المهندس كما قطع الرخام، وعلى الفور نفذ أمر السلطان وقطعت يد المهندس!.

ولما كانت اليد لهذا المعماري هي رأس ماله، والوسيلة التي يحصل بها على رزق أسرته ذهب إلى القاضي (خضر جلبي) يشكو له ما أصابه السلطان من عاهة أقعدته عن العمل، وجوعته هو وأسرته.

استنكر حراس القاضي وحاجبه جرأة المعماري على السلطان، لكن القاضي لم يستنكف، ولم يقعد عن تحري الحق، ولم يتراجع عن إثبات العدل، مستمدا قوة مواجهة السلطان من خشية الله وعدالة موقفه.

قرر القاضي استدعاء السلطان المتهم بقطع يد رجل لم يسرق، والحكم بأشياء ما أنزل الله بها من سلطان!! وحضر السلطان بنفسه أمام القاضي، وفي لافتة هي الأهم سميائياً أراد السلطان أن يقعد أرضا على بساط بين يدي القاضي، لكن القاضي وبشجاعة القائم على العدل طالبه بالاستمرار في الوقوف كما يفعل بأي متهم، دلالة على عدم التهاون في تحقيق العدل، والحرص على

توحيد المعاملة بين الناس، فامتثل السلطان للأمر، ووقف بكل احترام أمام القاضي الذي سأله عن الواقعة، فاعترف بما حدث، وشهد الشهود بذلك، فحكم القاضي بالقصاص العادل: اليد باليد!! وأمر بقطع يد السلطان كما قطعت يد المعماري النصراني دون وجه حق أو داع.

قبل السلطان بما حكم القاضي، ومن دهشة المعماري النصراني اندفع نحو السلطان فقبل يده التي قدمها للقصاص، ورجاه أن يعفو عنه لأنه عرضه لهذا الموقف، ثم توجه إلى القاضي يرجوه أن يأمر بإسقاط الحكم عن السلطان لأنه تراجع عن شكواه، وقبل القاضي ذلك بشرط أن يتكفل السلطان برعاية المجني عليه، ورعاية أسرته بأفضل سكن وأفضل طعام، على أن يكون ذلك من ماله الخاص، وليس من بيت مال المسلمين. ووافق السلطان، ووقع ميثاقٌ بذلك أمام القاضي والشهود، وخرج الرجل من قاعة القضاء راضيا وسعيدا بما كان.

بقي القاضي والسلطان في قاعة العدل، فنهض القاضي من مجلسه، وقدم لحاكم بلاده ما يليق به من تقدير واحترام، وعادت الأمور بينهما على نحو ما يجب أن تكون بين القاضي صاحب المركز المرموق ولكنه واحد من الرعية في حضرة السلطان عندما ينتهي مجلس الاتهام!. فأثنى كل منهما على حسن بلاء الآخر، وعلى سلامة موقفه. وتنتهي المسرحية بأن يوجها وجهيهما إلى السماء يدعوان الله أن يقبض روحهما إن هما فكرا للحظة في عمل مغاير لشريعته سبحانه وتعالى!.

يؤكد هذا النص حقيقة تفوق الفنان المسلم بشكل عام عندما يتجه إلى الإبداع الفني وهو مؤمن أنه يخدم الإنسانية، ويهدف إلى الإصلاح، ومن المسرح اشتقت جميع الأشكال الدرامية، وفي ذلك مبرر لتفوق الدراما التلفزيونية التركية عن نظائرها من الدراما التي تنتجها البلاد الإسلامية بسبب الخبرة الأطول بالصناعة الدرامية، والحرية الأكثر في ممارسة العمل الفني، لأن تطور العمل الدرامي ونجاحه وتفوقه أحد أهم نتائج الحرية، كما أنه من الثابت أن تركيا عرفت الفنون الدرامية قبل نظائرها من الأمم الإسلامية، والفن كما هو معروف مجموعة من الخبرات المتراكمة.

رأينا جودة الدراما التركية في النص المذكور رؤية متخصصين في الأعمال المسرحية، ويراها مختلف مشاهدي الدراما التلفزيونية في المسلسلات التركية التي استطاعت لفت انتباه ملايين المشاهدين في مختلف أنحاء العالم العربي الإسلامي، حيث أصبحت بديلا جيدا ومثاليا للمسلسلات الأجنبية التي ملها المشاهد العربي، لأنها ابتعدت في معالجتها وموضوعاتها عما يشغل بال وعقل المتلقي المسلم بعقيدته وأفكاره الدينية، بينما تتكئ الدراما التركية رغم ما تبدو عليها من معاصرة على تراث ذي جذور عثمانية تتناص مع أصول من التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية، لكن بطرح جديد حديث يعكس ما وصلت إليه الثقافة المرئية في أنحاء الأرض.

إنما يظل العنصر الأول المتسبب في جذب المشاهد العربي هو التراث الشرقي الراسخ في ذهنية المشاهد كما هو في محتوى الدراما التركية وريثة التراث الإسلامي العربي العريق، حيث لا أحد يتخلص من طبعه مهما حاول التطبع، فتعالج الدراما التركية المعاصرة قضايا تهم المشاهد العربي كالمظاهر والصراع الطبقي والمغريات المادية في مقابل الفقر.

وكلما نجح الفن الإسلامي ازدادت بهجتنا وسعادتنا وحرصنا على الاحتفاء به قدر استطاعتنا، لأنه لا شيء أجمل من أن نرى إنتاجا فنيا أخلاقيا جيدا وراءه عبقرية مسلمة ■

سأبوح باسم حبيبتي

محمد مصطفى البلخي - سورية

دَعْكَ ممَّنْ لامَ فيها أوْ وَجَدْ ... (فَقديماً كانَ في النَّاسِ الحَسَدْ)

لا أُبالي مِنْ حَبيبٍ بَعْدَها ... وَصْلَهُ في حُبِّه أوْ طُولَ صَدْ

قَدْ دَهَتْني في هَواها بَعْدَما ... شَعْشَعَ الشَّيْبُ بِرَأْسي واتَّقَدْ

وَيْلَ قَلْبي مِنْ هَوَى قُمْرِيَةٍ ... ذِكْرُها في خاطِري مِسْكٌ وَنَدْ

تَطْرَبُ الثَّكْلَى على تَغْريدِها ... وَتُسَلّي مَنْ بِه الْهَمُّ اسْتَبَدْ

يُسْهِدُ الْعُشَّاقَ تَذْكارُ الْهَوَى ... وَأَنا في ذِكْرِها أَجْلُو السّهَدْ

أُغْمِضُ الْعَيْنَ على أَطْيافِها ... وكَذا أَصْحُو عَلَيْها كُلَّ غَدْ

أَرْسَلَتْ لي ذاتَ يَوْمٍ صُورَةً ... تُبْهِجُ النَّفْسَ بِأَحْلامِ السَّعَدْ

طَوَقَتْها بِالأَزاهيرِ كَما ... حَفَّ بِالْبَدْرِ نُجُومٌ لا تُعَدْ

كُلُّها تَرْنُو إِلَيْها غَيْرَةً ... أَوْ حَياءً مِنْ جَمالٍ لا يُحَدْ

مَنْ رآها قالَ لي: يا عَجَباً ... هَلْ يَغارُ الزَّهْرُ مِنْها؟ قُلْتُ: قَدْ

لا تَلوموا الزَّهْرَ في إِغْضائِه ... فَهْيَ مِثْلُ الزَّهْرِ حُسْناً بَلْ أَشَدْ

لا تَقُولوا بَعْدَها: ذي غادَةٌ ... إِنْ تَرَوْها تَعْرِفُوا مَعْنَى الغَيَدْ

نَسَّجَتْ شَمْسُ الضُّحَى غُرَّتَها ... وَحَكاها الجُلَّنارُ لَوْنَ خَدْ

كَمْ مُحِبٍّ سَبَحَ اللهَ على ... ما حَباها أَوْ تَلا آيَ الحَسَدْ

أَوْ دَعا مِنْ عَجَبٍ في حُسْنِها ... أَعْيُنُ الْحُسَّادِ تُبْلَى بِالرَّمَدْ

لا تَلوموا شَيْبَتي في حُبِّها ... فَبِها مُذْ وُلِدَتْ قَدْ صِرْتُ جَدْ

وَقَديماً قيلَ في الأَحْفادِ هُمْ ... في هَوَى أَجْدادِهِمْ فَوْقَ الوَلَدْ

عيشَتي رَغْدٌ بِمَنْ سَمَّيْتُها ... رَغَداً ، والقَلْبُ يَحْدو يا رَغَدْ

وبِذا أَنْجَزْتُ وَعْدي آنِفاً ... كَيْفَ لا؟ والْحُرُّ يُوفي ما وَعَدْ

الاتجاه الإسلامي في النقد النظري
عند عماد الدين خليل . . دراسة تحليلية وصفية

بحث مكمل لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في البلاغة والنقد ومنهج الأدب الاسلامي.

إعداد الباحث : راشد بن حمود بن صالح الفراج - السعودية

طالما تساءل المتابعون لحركة الأدب الإسلامي عبر العقود الأخيرة عما إذا كان الشوط الذي قطعه هذا الأدب قد حقق هويته المعاصرة أم لا ؟ وأين يمكن أن نضع هذا الأدب على خارطة الأدبين العربي والعالمي ؟ ومن أجل ألا يكون المرء متفائلا أكثر مما يجب ؛ فإنه يمكن القول: إن هذا الأدب حقق بعض ما يرجى منه، ورحلة الألف ميل التي تبدأ بخطوة قد بدأت فعلا، بل قطعت خطوات كبيرة، ولن يوقفها شيء اليوم! ويكمن السبب الرئيسي لبحثي هذا في رغبتي الجارفة في نصرة الأدب الإسلامي، وبيانه والذود عنه، وإظهار ملامحه للوجود ؛ ليتفيأ العالم ظلاله، وينعم بما ينادي به من قيم ومبادئ. كيف لا !؟ وهو الأدب الذي واكب ظهور الإسلام منذ البعثة النبوية، وعاداه وحاربه أعداؤه من أنصار العلمانية، ومن لف لفهم وسار على نهجهم من المستعربين والمستعجمين من أبناء العرب ؛ الذين ألبوا عليه عوادي الدهر، وبلايا الفتن، بل ويريدون طمس معالمه وملامحه.

ولقد قيض الله للأدب الإسلامي رجالا يدعون إليه ويبشرون به، وكان منهم عبد الرحمن رأفت الباشا، وأبو الحسن الندوي، ونجيب الكيلاني، ثم تبعهم جيل آخر، جاء على رأسه عبد القدوس أبو صالح، وعماد الدين خليل، وعبد الباسط بدر، ووليد قصاب وغيرهم. وقد أدركت منذ البداية أن هذه الجهود تحتاج إلى مصنفات ؛ فكان هدفي أن أقدم أحد هؤلاء الرواد، وهو عماد الدين خليل، الذي آثرته لإسهامه منذ السبعينيات، ولدوره في التصدي للمذاهب الفكرية المنحرفة ومتابعته لحركة الأدب الإسلامي ؛ إبداعا ونقدا.

والدراسات السابقة التي تناولت عماد الدين خليل دراسات أكاديمية،على النحو الآتي:

دراسات تعرف به ناقدا، وأهمها:

دراسة سعيد غزاوي، بعنوان: المداولة في أعمال عماد الدين خليل، دراسة في التنظير والإبداع.

وهي في الأصل أطروحة لنيل الدكتوراه في الأدب العربي، تقدم بها صاحبها إلى جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية في المغرب خلال السنة الجامعية ١٩٩٦/١٩٩٧م. ثم طبعت في المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

دراسات تعرف به مسرحيا، ومنها:

دراسة للباحثتين : مليكة أبشر وفاطمة عمراوي، بعنوان: الفن المسرحي في الأدب الإسلامي «شيء عن الموت» و«البلاغ رقم ٧»، عماد الدين خليل أنموذجا. وهي بحث مشترك أنجزته الباحثتان في السنة الجامعية ١٩٨٧/١٩٨٨م.

دراسة رشيد تفالي، بعنوان: الرؤية الإسلامية في مسرحية المغول. وهي دراسة أنجزها الباحث في السنة الجامعية ١٩٨٨/١٩٨٩م.

دراسات تعرف به روائيا:

تعد **دراسة محمد إقبال عروي** لرواية عماد الدين خليل

«الإعصار والمئذنة» سباقة رغم ورودها ضمن دراسات أخرى في كتابه «جمالية الأدب الإسلامي»، إلا أنها ركزت على كشف العناصر الفنية لتتجاوب مع الهدف العام من الكتاب.

دراسة نبيلة الجراري بعنوان: الإعصار والمئذنة بين الجمالية والالتزام. وهي دراسة أنجزتها الباحثة بإشراف الدكتور حسن الأمراني عام ١٩٨٨م.

دراسة عبد العزيز بلاجات، بعنوان: الرؤية الإسلامية في رواية عماد الدين خليل «الإعصار والمئذنة». وهي دراسة أنجزها الباحث في سنة ١٩٩٠م، بإشراف الدكتور سعيد غزاوي بجامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء.

وقد اقتضت طبيعة دراستي هذه أن أنظمها من مقدمة تلقي ضوءا على بواعث الموضوع وأهدافه، وتبرز أهميته، وتبين الدراسات السابقة، وتوضح منهجه وحدوده. ثم قسمت الدراسة إلى تمهيد وثلاثة فصول، وخاتمة وفهرسين: أحدهما للمصادر والمراجع، والآخر للمحتوى.

أما التمهيد فقد جاء في فقرتين: لمحة عن حياة عماد الدين خليل، ولمحة عن جهوده الفكرية والأدبية والنقدية.

وأما الفصول الثلاثة فكانت على النحو الآتي:

الفصل الأول: قضية الأدب الإسلامي، وقد قسمته إلى أربعة مباحث: مصطلح الأدب الإسلامي، وأهمية الأدب الإسلامي وضرورة الدعوة إليه، وخصائص الأدب الإسلامي، ورد الشبهات التي وجهت إلى الأدب الإسلامي.

الفصل الثاني: وظيفة الأدب الإسلامي، وقد قسمته إلى مبحثين هما: الوظيفة الجمالية، والوظائف النفعية.

الفصل الثالث: موقف الأدب الإسلامي من المذاهب والمناهج الغربية، وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث، هي:

الموقف من المذاهب الأدبية الغربية، والموقف من المناهج النقدية الغربية، والموقف من الحداثة.

وقد ختمت هذه الدراسة بأبرز النتائج التي توصلت إليها، مع بعض التوصيات التي رأيت أنها جديرة بالنظر والطرح، وهي:

١- انطلق عماد الدين خليل من رؤية إسلامية، وهو يرى أن الإسلام هو منهج متكامل لحياة الفرد، يرسم له المنهج القويم، ويهديه إلى الطريق الصواب، ويحدد علاقته بربه، وعلاقته بالناس والكون، وبالتالي فهو يؤثر في ثقافته وإبداعه الأدبي، ويسمو به فكرا وسلوكا، وهو مصدر مهم واسع الآفاق من مصادر إبداعه إن كان أديبا، أو كان ناقدا.

٢- يعد عماد الدين أحد النقاد الذين أسهموا في محاولة التأسيس لنظرية الأدب الإسلامي من منطلق الرؤية الإيمانية ؛ التي ترى أن عناصر الحسن والجمال هي في المضمون والشكل معا.

٣- يعرض عماد الدين عناصر ضرورية تشتمل عليها نظرية الأدب الإسلامي كالوحدة والتنوع، والحرية المنضبطة، والالتزام العفوي البعيد عن الإلزام.

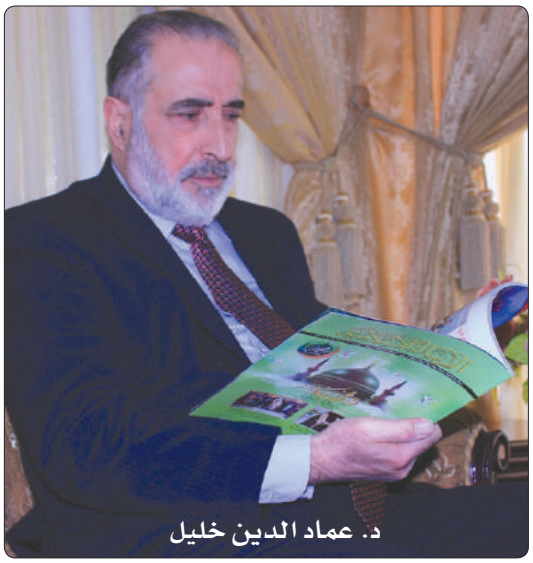
د. عماد الدين خليل

٤- ويعد عماد الدين خليل من الأدباء والمفكرين الإسلاميين الذين استفادوا من الثقافة الغربية، منقبا عن طريقة تشكلها، ومرشدا إلى تجلياتها، ومحللا تحليلا نقديا مذاهبها في الفكر والأدب، لينتهي إلى موقف من التعامل معها، يقوم على أخذ ما يستفاد منها وترك ما يتعارض مع الشريعة الإسلامية ؛ وكانت هذه الثقافة أحد الروافد المعرفية عنده، مما فتح له آفاقا جديدة.

٥- نجح عماد الدين، من خلال اطلاعه الواسع على التراث والثقافة، وخبرته العميقة؛ في إبراز الأسس التي ترتكز عليها نظرية الأدب الإسلامي، وأهمها الرؤية والفن، وقد استفاد من توظيف خبرته التاريخية،وتوظيف التراث العربي، وتوظيف المعطيات الغربية التي لا تصطدم مع الخط الإسلامي في التأصيل لهذا الأدب والتنظير له.

٦- طرح عماد الدين في النقد التنظيري للأدب الإسلامي جميع القضايا التي تتعلق بهذا الأدب، كقضية الشكل والمضمون، ومفهوم الجمال، وقضية الإلتزام وأسلوب التعامل مع المناهج والمذاهب النقدية الغربية، ومفهوم الأدب الإسلامي وأهميته وأسباب الدعوة إليه، وغير ذلك.

٧- توقف عند ما أصاب الأدب العربي الحديث من زيغ يجعل الدعوة إلى الأدب الإسلامي دعوة لتصحيح

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية اللغة العربية
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي

الاتجاه الإسلامي في النقد النظري عند
عماد الدين خليل
دراسة تحليلية وصفية
بحث مكمل لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي

إعداد / راشد بن حمود بن صالح الفراج

إشراف
أ.د / وليد إبراهيم قصاب
العام الجامعي (١٤٣٢هـ - ١٤٣٣هـ)

مساره. ويسير عماد الدين في معظم أطروحاته مع منظري الأدب الذين اتسموا بالقصد والاعتدال مطورا، ومضيفا.

٨- توقف عند وظائف الأدب المختلفة، ولاسيما الوظيفتان الكبيرتان، وهما الوظيفة النفعية، والوظيفة الجمالية، وكان داعيا للجمع بينهما.

٩- كتب عماد الدين عن الحداثة وبين ما فيها من عوار وانحراف، كما بين إيجابياتها، وخلص إلى أن نأخذ ما يتفق مع التصور الإسلامي، وندع ما يتعارض معه.

هذا، وأوصي الباحثين من بعدي بمواصلة البحث والدراسة ؛ إذ إن هناك الكثير من أعمال عماد الدين النقدية التي تحتاج إلى العاملين في حقل الأدب الإسلامي ليزيدها توضيحا وتبسيطا، ويمسك بالمفاتيح الأخرى لقراءة أدب عماد الدين خليل وغيره من الأدباء الرواد.

وأقدم جزيل شكري وامتناني للأستاذين الفاضلين: الدكتور عماد الدين خليل الذي لم يبخل علي بما ييسر بحثي، والدكتور وليد قصاب، لقبوله الإشراف على هذا البحث ومتابعته الدقيقة لي، وجهوده المستمرة وأستاذيته الراقية التي نعمت بها رغم الظروف الصحية التي مر بها ؛ فقد أعطاني درسا في الصبر والمثابرة.

هذا؛ وقدمت الرسالة ونوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي في الرياض للعام الجامعي ١٤٣٢/١٤٣٣هـ ■

الجدار

د. فؤاد عفاني- المغرب

فجأة ألفى نفسه ملقى على أرضية بئر السبع، هذا السجن الباردة أرضه كبرودة عين السبع أو أشد... المسيرةُ كانت حاشدة.. والأيادي كانت حجارة والعيون واسعة بحجم وطن. بينما كان هو هائما في دخان سيجارته يسترجع ليلته الفائتة وسط الكؤوس والغواني...

بخفة السبع وغدره اختلط الحابل بالنابل، وارتطمت الحجارة بالعصي، وامتزج الهواء المفعم بعطر البرتقال بغازات إحراق جثث الشيطان. لم يجر ولم يفكر حتى في الهروب، فما كان الأمر يعنيه ولا آمن يوما ما بقضية. هو ابن الترف العربي، مزهو بنفسه، حدوده لا تتخطى أحلام الحواس.

لفحته برودة الأرض، التفت يمنة ويسارا فآثر أن ينْتبذَ من بقية الوجوه مكانا قصيا. دنا من الجدار، وقبل أن يتكئ عليه كي يشعل سيجارة جديدة.. أثاره شموخ هذا الجدار وتزاحم تفاصيله.. أرقام هاربة من رحم التاريخ العقيم: ١٩٧٠، ١٩٧٣، ١٩٨٤، ١٩٨٧، وسلسلة أخرى لم يجد بينها رابطا، فلم يتوان عن نحت رقم جديد ٢٠٣٣. أضحكته فكرة الرقم العشوائي، فواصل تحسس بقية ما حُفر على الجدار؛ ساسون تسوميخ.. أمّنا الأرض.. الله أكبر.. صلاح.. فلسطين.. أسماءُ أشخاص وبلْدات... استغرب كيف أن جدارا ميتا يضج بكل هذه الأرقام والأحداث..

تُرى كم يدا أدمتْ هذا الجدار؟ كم ذاكرة نفضت بعضا من أنينها هنا؟ أيُّ عشق غَلّ أيدي كل أولئك وهؤلاء إلى الصخر؟. عنيد هو الحجر قهر التاريخ فحفظ الأيام الخوالي، قهر البحرَ فوقى الشطآن من بَغيه، نازلَ الرصاص فأرداهُ ذليلا..

استحيا من الجدار فغضّ الطرف، غاص في أعماق روحه يتلمس معنىً لذاته.. أيكون هذا الجدار خيرا مني؟.. جدار بذاكرة شامخة تأوي أمة بأسرها.. وأنا هنا الآن ماضٍ بلا ماضٍ ولا حاضر.. أجهل فكّ حروف نحتها أسير قبلي. ولكن شتان بين يد تخط الخطَّ ذاكرةً وتزرع بذور القمح في قلب الصخر وبين يد باردة برودة القبر.

رفع نظره مرة أخرى نحو الجدار.. فتبدت له لوحة تشكيلية تُولد ألوانها من عناق الأحمر والأخضر..

و على الحائط تبكي هيروشيما
ليلة تمضي، و لا نأخذ من عالمنا
غير شكل الموت
في عز الظهيرة.

استدار نحو أسير قريب منه ثم قال: عذرا يا رفيقي كم الساعة عندكم.. فأنا أود ضبط عقرب العمر!؟ ■

أحاديث وأسمار.. للدكتور د. عبدالقدوس أبو صالح

هذا الكتاب الضخم[1] للدكتور عبد القدوس أبو صالح الذي تجاوزت صفحاته الخمسمائة والثلاثين صفحة يذكرنا بكتب الموسوعات من حيث تنوعها، فهو يتحدث في كثير من العلوم والمعارف والمذاهب والفنون، كما يذكرنا بالجاحظ في توجهاته في كتبه، لكنه في الوقت نفسه حريص على أن يربط قارئه بالعصر الحاضر ومتغيراته، وألا يصيبه الملل والسأم، من ثم جاءت كتاباته ومختاراته في هذا الكتاب شافية غليل قارئ اليوم الذي قد يفر من المطولات، كما تزود محب المختصرات بما يبل ظمأه وتلك رؤية – لا شك – لها محبوها والراغبون فيها، وهي خلاصة خبرات طويلة للدكتور عبد القدوس أبو صالح الذي تدرج في معظم مراحل التعليم بكل مستوياته في المدارس والجامعات، كما احتك بكثير من الباحثين في المؤتمرات والمنتديات، وكتب في كثير من الصحف والمجلات، كما تحدث في الإذاعات، ومن ثم فما كتبه في هذا الكتاب أقرب إلى المقالات الصحفية.

د. سعد أبو الرضا- مصر

وهو إذ يقدم هذا الكتاب للناس يبتغي تحقيق أهدافه في الأحاديث والمسامرات، وأتصور أنه قد تأثر بشيخه محمود شاكر في كتابه «أباطيل وأسمار» في العنوان فقط، لأن الشيخ محمود شاكر أكثر تفصيلا وتحليلاً في عرض المسائل والقضايا ومناقشتها، فهو يقدم أبحاثا لا مقالات، وبرغم ذلك فالشيخ شاكر يقنعك بمنطقه إذا لم تقتنع، ويستحوذ على إعجابك مهما كنت مخالفا له لعمقه وتبحره، من ثم فالدكتور عبد القدوس أبو صالح والشيخ محمود شاكر يمثلان ضربين مختلفين من الكتابة: أحدهما يؤثر الاختصار وعدم الإطالة رعاية لقارئ يبتغي ذلك، والآخر يبتغي العرض والتحليل والبحث لقارئ آخر لديه الوقت، ويحتاج إلى ذلك العمق والتبحر. ومن ثم فهما نموذجان ضروريان مطلوبان مهمان في مجال المعرفة والتلقي.

والدكتور عبد القدوس قارئ نهم متعدد القراءات مهما زعم أنه قليل القراءة، بل أنا أزعم أنه ليس متعدد القراءات فحسب، بل هو متسع القراءات، إذ يتصل بقراءة كثير من المترجمات في الأدب والحياة، مما وسع أفقه، وعمق نظرته، وأثرى خبراته بجانب كثرة تجاربه في الحياة وخبراته المعرفية.

أما زعمه قلة قراءاته فربما كان ذلك أخيراً بعد أن أخذته رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وأصبح رئيسا لها. ونسأل الله أن يحفظه من أجل أهله وأحبابه ورابطة الأدب الإسلامي التي نرجو ألا تكون بعده كاليتيم على مأدبة اللئيم.

وطبيعي أن تتميز كتاباته ومختاراته بحس إسلامي قوي، يقترن لديه بنظرات تقويمية ترشيدية، عمادها التصور الإسلامي وما يقبله شرع الله.

وثمة ملحظ مهم في هذا الكتاب، إذ قد تتصل بعض الموضوعات ببعضها، مما يجعلها تتميز بالتكامل، لكنها قد تتكرر فيها بعض الأفكار في أكثر من موضوع، وذلك لحرصه على قصر الموضوع، فيوجز، ولأن هذه المقالات كتبت في أوقات قد يتباعد بعضها عن بعض، مما يجعل تكرير بعض الأفكار أمرا واردا.

ونستطيع أن نضرب مثالا على ذلك؛ فهو يكتب عن نجيب محفوظ مثلا ستة مقالات، بعضها ينصب عليه مباشرة، وبعضها قد يتصل به على نحو ما، وهذه المقالات هي:

- كلمة هادئة حول نجيب محفوظ وجائزة نوبل، صـ ٥١.
- نجيب محفوظ وسطوة الشهرة، صـ٨٣.
- الجذور، صـ ١٨٢.
- مع ثلاثية نجيب محفوظ، صـ٢٨٦.
- نجيب محفوظ وجائزة نوبل، صـ٣٧١.
- الأدب العربي بعد نجيب محفوظ، صـ٣٩١.

ولعل القارئ يلاحظ شيئاً من التداخل والاتصال خلال العناوين، كما سنجد هنا أن المقالة الخامسة قد لا تضيف جديداً إلى ما سبقها، ولا إلى ما بعدها، وأنها أفكار تكرر معظمها في المقالات الأربعة السابقة عليها.

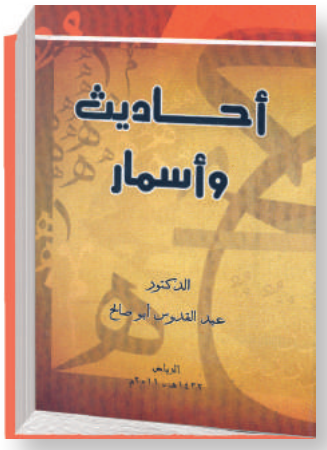

وبرغم ذلك فالدكتور عبد القدوس يقدم للقارئ القضية متكاملة الجوانب خلال مقالاته، كاشفاً عن وجهة نظره، مبرزاً جوانبها الإيجابية، وجوانبها السلبية، مثريا لمعلومات القارئ وأفكاره، ومستحثا له على اتخاذ موقف مما يتصل به من أفكار خلال هذه المقالات، ويمكن أن نشير إلى ما سبق خلال عرض هذه المقالات، وبالإيجاز الذي يبتغيه د.عبد القدوس في كتابه.

في مقالته الأولى من هذه المجموعة وعنوانها «كلمة هادئة حول نجيب محفوظ وجائزة نوبل»[٢]، يعرض لرأي المتلقين لنبأ فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل، بين مبتهج بذلك الخبر، مرحب به، ويرى فيه اعترافاً بالأدب العربي الذي كان خارج دائرة الاهتمام، وبين الرأي الآخر الذي يحذر من الاعتقاد بأن هذه الجائزة خاضعة للضغوط السياسية، والانحياز المكشوف للصهيونية[٣].

لكن د.عبد القدوس يرى أنه يجب أن يفرح العرب بهذه الجائزة، متسقاً في ذلك مع أصحاب الرأي الأول، كما يرى أن أدبنا العربي فيه كنوز كثيرة عبر خمسة عشر قرنا هي عمر هذا الأدب، لم نكشف عنها أو نهتم بها كما يجب.

وهذه الجائزة – في نظره – كانت عن الثلاثية (بين القصرين، وقصر الشوق، والسكرية)، ود.عبد القدوس معجب بها إعجابا شديداً، لأنها تقدم عالما متداخلاً عبر أجيال، ولا يدانيها إلا رواية «الجذور» لأليكس هيلي، الذي كان يبحث في روايته عن أصلة الأفريقي المسلم، كما يقرر د.عبد القدوس أنه لا يداني الثلاثية في تجلي الألوان المحلية فيها إلا رواية «الأرض الطيبة» لبيرل باك، التي نالت عليها جائزة نوبل أيضا.

وقد كتب د.عبد القدوس مقالته الثالثة في هذه المجموعة في كتابه الذي بين أيدينا عن رواية «الجذور»[٤] لأليكس هيلي بهذا العنوان نفسه، وحاول أن يقارن بينها وبين الثلاثية، مشيراً إلى ما بذله كاتبها أليكس هيلي من بحث أنثروبولوجي في الأصول والتاريخ والمعارف، حتى يصل إلى حقيقة أصله الأفريقي المسلم.

أما مقالته الرابعة من هذه المجموعة التي يتضمنها كتابه فهي بعنوان: «مع ثلاثية نجيب محفوظ»[٥]، يستكمل فيها الكاتب عرض بقية مزايا الثلاثية، ومنها أنها تقدم الطبقة البرجوازية

المصرية التي يعتبر نجيب محفوظ واحداً منها، وكذلك يقدم أبطالا ينتزعهم من الواقع ومن صميم الحياة، قد تحقق التبادل الوجداني بين البطل والمتلقي[٦].

ويشارك د. عبد القدوس أنور المعداوي في انتقاده استغراق الجنس لنجيب محفوظ في كثير من رواياته، دون مسوغات إنسانية أو فنية، وهو ما نضم رأينا لهما في هذا الاتجاه.

ويتمنى د.عبد القدوس أن لو كان نجيب محفوظ قد توقف بعد الثلاثية لكان خيراً، ولم ينحدر من وجهة نظره إلى الرمزية الغامضة التي تخفي كثيراً من الشك كما في رواية «أولاد حارتنا»، ولا إلى الواقعية السوداء أو العدمية كما في رواية «الطريق»، وأخيراً يذهب د.عبد القدوس إلى أن نجيب محفوظ كان متردداً بين اليسار الفكري والحياد السياسي[٧].

ويلاحظ أن كثيراً من الانتقادات كانت قائمة على المضمون، وهو ينتقد بشدة من يزعمون أن لنجيب محفوظ دوراً إيجابيا في الإسلام، وفي بناء حياتنا المعاصرة، لكنه «يرحب بما قاله نجيب محفوظ نفسه مؤخراً عن الإسلام، وعن الصحوة الإسلامية آملاً أن يكون وراء ذلك تغيير في فكر الكاتب الكبير، متمنياً أن يطول به العمر ليعكس هذا التغيير في عطاء أدبي جديد»[٨]، وأتصور أن هذه القضية ما تزال بحاجة إلى كتابة د.عبد القدوس أبو صالح فيها، بعد أن صدر للدكتور محمد حسن عبد الله في حياة نجيب محفوظ كتاب «الإسلامية والروحية في أدب نجيب محفوظ»، علماً بأن د.عبد القدوس قد أشاد بفن نجيب محفوظ في أكثر من مكان في كتابه[٩] هذا، رحم الله نجيب محفوظ الذي أثرى أدبنا وثقافتنا وحياتنا.

ولقد كانت المقالة الأخيرة وهي السادسة في هذه المجموعة تحت عنوان: «الأدب العربي بعد نجيب محفوظ»[١٠]، وهي عبارة عن ندوة حضرها د.عبد القدوس في معرض الكتاب بالقاهرة تحت هذا العنوان المشار إليه، من ثم فقد عرض لآراء المتحدثين فيها ومنهم د.عبد القادر القط، ود.علي الراعي ود.صلاح فضل، ود.جابر عصفور، ومحمود أمين العالم. وقد لخص وناقش ما انتهت إليه الندوة، التي دعت إلى وجوب تجاوز نجيب محفوظ كمثل أعلى، والاهتمام بآداب المغرب العربي والمشرق العربي وكل آداب الشعوب العربية، واكتشاف الواقع المتحول، ووسائل رصده، وإبراز خصوصية أدبنا العربي، والتحذير من التبعية للغرب، كما انتقد رأي من يدعو إلى هيمنة اليسار، وحذر من خطر هذا الاتجاه، حتى تظل الأمة قوية، متمسكة بدينها، ومتماسكة.

ولعله يلاحظ هذا التكامل الذي تتميز به مقالات الدكتور عبد القدوس وهو يحاول الإحاطة بمختلف جوانب الموضوع الذي يتحدث عنه، كما يبرز إيجابياته وسلبياته، مع حرصه على إفادة القارئ وفاعليته، وذلك من أهم ما يتميز به هذا الكتاب المفيد ■

الهوامش:

(١) عبد القدوس أبو صالح ، أحاديث وأسمار، الرياض ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
(٢) انظر: أحاديث وأسمار، صـ٥١.
(٣) انظر/ السابق نفسه، والصفحة نفسها.
(٤) انظر: أحاديث وأسمار، صـ ١٨٢.
(٥) انظر: السابق نفسه، صـ ٢٨٦.
(٦) السابق نفسه، صـ٥٢.
(٧) انظر: السابق نفسه، صـ٥٣.
(٨) انظر: السابق نفسه والصفحة نفسها.
(٩) انظر على سبيل المثال لا الحصر: صـ ٥٢، صـ٢٨٦، صـ٣٧٢.
(١٠) انظر: السابق نفسه، صـ ٣٩١.

تحية.. إلى رابطة الأدب الإسلامي العالمية

سَـرَت الخُـطا في لـهفـة تتباهى ... في فَـرحـة مـا شـفّـنـا إلاّهَـا
يـا دارَ خـيـرِ الشِّـعـرِ طبـت تحيـةً ... ونَـعـمْـت عِـزّاً مـاجـداً يَـهـواهَـا
يـا زَهـرةً في حُسنها كَمْ أوصـدَتْ ... عـينَ المحـبِّ عـن الظِّـبـاء سـوهَا
اروي الأحـبـةَ فالقلوبُ تفطَّرتْ ... لمّـا تـبـدَّتْ لـلـنُّـهـى أرواهَـا
لا الشعرُ يسمو ذا جلالُك نجمة ... فـوقَ الـثُّـريـا والـشُّـمـوسُ ثـراهَـا
ها قدْ أتيتُك والحـروفُ شَـوافعي ... والـدَّمـعُ مـنـي لـلـفـؤاد تـنـاهَـى
عـلّ الـفـؤادَ وعـلّ روحـيَ تصْطَلي ... قبسَ الجمالِ من الجمالِ عَساهَا
ها قدْ سَبتني من لطيف جَمالها ... والـرُّوحُ مـنّـي مَـنْ تُـراهُ سباهَا
أتـت الحـروفُ وكـلُّ حـرفٍ قصةٌ ... والـشَّـوقُ فيها للحبيبِ حَداهَا
مِنْ كلِّ طينٍ قدْ نسجتُ قصائدي ... فانثالَ عـنـدَك يا عَـذولُ شَـذاهَا
ولَكمْ سبقتُ الشَّوقَ جئتُك والضُّحى ... سَـرَت الخُـطا في لَـهفـة تتباهَى

شعر د.محمد محمود محاسنة- الأردن

مجلة الأدب الإسلامي أصبحت في مقام الوالد

سعادة رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي الغراء وفقه الله

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته،وبعد:

أفيدكم بأني كنت من المتابعين للمجلة الغراء مجلة الأدب الإسلامي التابعة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، وأكتب هذه السطور للإدلاء بصوتي إشادة بمكانتها العالية في النفوس. فهي من أوائل المجلات التي رسخت أقدامي بتوجهاتها السديدة عبر أقلام واعدة. وبناء عليه أصبحت في مقام الوالد، ومازلت أتتلمذ عليها وأعب من معينها الصافي، وثقافتها الثرة لولا انقطاعها عني بسبب بعد الدار في طورنا الأخير. وأملي كبير في أن أستأنف المسيرة من جديد. وجزاكم الله خيرا.

محمد حمادو أحمد-النيجر

مجلة الأدب الإسلامي في مكتبة الكلية

أتقدم بجزيل الشكر للرابطة ولمكتب البلاد العربية ولهيئة التحرير في المجلة.. معبرا عن سعادتنا بوصول هديتهم الثمينة والمتمثلة في مجموعة أعداد مجلة الأدب الإسلامي التي نحن في حاجة ماسة إليها.

وقد وضعت في مكتبة الكلية تحت تصرف الأساتذة والطلبة.. ولا يسعني إلا الدعاء لكم بالتوفيق والسداد في هذا العمل الجليل، والجزاء خير الجزاء من الله عز وجل. ودمتم في خدمة الكلمة الطيبة، أطال الله في أعماركم، ونفعنا بعلمكم وأدبكم.

الدكتور رابح بن خويا
عميد كلية الآداب واللغات
بجامعة محمد البشير الإبراهيمي،الجزائر

إعداد: شمس الدين درمش

مكتب عمان- اللجنة الإعلامية:

أدب الأطفال في فضاءات حوار العقل والفكر

عقدت ندوة حوارية بعنوان: أدب الأطفال من منظور إسلامي، ضمن برنامج (فضاءات، حوار العقل والفكر)، وكان ضيف اللقاء أ.د.ناصر شبانة أستاذ الأدب الحديث في الجامعة الهاشمية، وقد تحدث شبانة عن محطات مهمة تتعلق بأدب الأطفال أهمها: تقديم مفهوم واضح لمصطلح أدب الأطفال، والفئات العمرية وما يناسبها من موضوعات الأدب، مبينا أهداف أدب الأطفال وخصائصه ومنتجه العربي والأردني. وحذر مما يسببه الإنترنت من عزلة إلكترونية للطفل. وأدار اللقاء أمين سر المكتب الإقليمي للرابطة في الأردن د.عبد الله الخطيب.

حكمت العزة في أمسية شعرية

أقيمت يوم ١٤-٣-٢٠١٥م، أمسية شعرية للشاعرة الأردنية «حكمت العزة» تجلت فيها المعاني، وتألقت الصور بقصائدها، فكان التصفيق رفيق الكلمة والإعجاب بالمبنى والمعنى باديا على الوجوه الباسمة. ولحكمت العزة رواية: همسات صامتة، ومجموعة قصصية: صور، وديوان شعر: أوراق على شاطئ الورد. وأدارت الأمسية الأديبة «ظلال عدنان عقلة» مرحبة بالشاعرة والضيوف.

القلب والفؤاد في القرآن والسنة

قدم المهندس سعيد الهودلي، محاضرة علمية بعنوان: القلب والفؤاد في القرآن والسنة، وذلك يوم ٢٠١٤/٢١/٣١م، في مكتب الرابطة بعمان.

وتحدث المحاضر عن وظائف القلب، معرجا على مسائل الإعجاز العلمي في مكونات القلب. ودار حوار أثرى أفكار المحاضرة، التي أدارها د.سليم ارزيقات عضو الرابطة.

التراكيب السائدة في اللغة العربية

ألقى الدكتور محمد علي الخولي أستاذ اللغة الإنجليزية محاضرة بعنوان (التراكيب الشائعة في اللغة العربية – دراسة إحصائية) وذلك يوم ١٤٣٦/١/١٥هـ، الموافق ٢٠١٤/١١/٨م، وهو عنوان كتابه عن الموضوع نفسه، وهي إحصائية لمدى شيوع بعض التراكيب الصرفية والنحوية نتيجة استقراء ودراسة بنيت على تحليل عينات لغوية حديثة من كتب ومجلات عربية. وقد تجاوب الحاضرون مع الموضوع، فتحولت المحاضرة إلى حوار حيوي أعجب الجميع. وأدار النقاش الأستاذ عبدالله خليل شبيب.

إشهار ثلاثة كتب لأعضاء الرابطة

أقام مكتب الأردن الإقليمي للرابطة مساء ٢١ ربيع الأول ١٤٣٦هـ، الموافق ٢٠١٥/١/٣م حفلاً أدبياً لإشهار ثلاثة كتب لثلاثة من أعضاء الرابطة، وهم الدكتور مأمون فريز جرار وكتابه «اللؤلؤ والمرجان من حكم بديع الزمان سعيد النورسي»، والدكتورة فاطمة العبدللات وقصتها «حسام»، والباحث عبد المجيد العرابلي وكتابه «حذف وزيادة الواو وإبدالها في الرسم القرآني». وقد عرض المؤلفون الثلاثة نبذة عن مؤلفاتهم، وأجابوا عن تساؤلات الحضور. وأدار الحفل نائب رئيس مكتب الرابطة د.عدنان حسونة.

د. مأمون جرار

عبدالمجيد العرابلي

كيف ترقب القمر؟!

كيف ترقب القمر؟ عنوان محاضرة قدمتها عضو الرابطة المهندسة إلهام أبو عيشة في مقر الرابطة في عمان مساء ٢٠١٥/١/١٧ بإدارة الدكتورة فاطمة العبدلات أستاذة اللغة العربية في كلية الأميرة ثروت. وللمحاضِرة كتاب منشور في هذا الموضوع.

وقدم المهندس حاتم البشتاوي رئيس الجمعية الأردنية لإعجاز القرآن والسنة، عضو الرابطة مداخلة قيمة لما في هذا العلم من فائدة في تقوية الإيمان بالنظام الكوني وخلق الله.

نشأة اللغة العربية ومستقبلها

احتفاءً باليوم العالمي للغة العربية أقام المكتب الإقليمي للرابطة في الأردن ندوة علمية بعنوان: العربية لغة الألفية الثالثة، يوم ٢٠١٤/١٢/٢٧م. وشارك في الندوة كل من د.عمر لحسن أستاذ اللسانيات في الجامعات الجزائرية، ود.مها مبيضين أستاذة الأدب القديم في جامعة آل البيت الأردنية. وختمت الندوة بتكريم الضيفين المحاضرين بشهادة تقدير لكل منهما قدمها د.كمال مقابلة باسم الرابطة، والذي أدار الندوة.

مهرجان سفر الشهداء

أقام مكتب الرابطة بالتعاون مع وزارة الثقافة الأردنية مهرجانا شعريا كبيرا بعنوان: سفر الشهداء، وذلك في ٢٠١٥/٢/٢١م، بمقر الرابطة بعمان، شارك فيه كل من الشعراء: علي فهيم الكيلاني، وسليم الصباح، ود.ياسين بني ياسين، ود.محمد محاسنة، ود.عبد الرحمن القضاة. وشهد المرجان حضورا حاشدا، وأبدع الشعراء في اختيار قصائدهم وإلقائها، وأدار المهرجان د.كمال مقابلة رئيس المكتب.

الفتياني وعين على القدس

استضافت قناة (كيف) السعودية الشاعر محمد غسان الخليلي في البرنامج الأسبوعي (عين على القدس)، والذي يديره د.تيسير الفتياني، منذ أربع سنوات، وقرأ الشاعر محمد الخليلي من ديوانه (مولد أمة) قصائد عن القدس وفلسطين وانتفاضة الأقصى.

محمد غسان الخليلي

علي فهيم وملحمة الشهيد

بتنسيقٍ من الأستاذ محمد الخليلي استضاف ملتقى هندسة الكلمات بالجامعة الأردنية في عمان الشاعر علي فهيم الكيلاني، حيث أتحف جمهور الطلبة بقصيدته الرائعة ملحمة الشهيد، وهي قصيدة طويلة.

علي فهيم الكيلاني

هيام ضمرة في دارة المشرق

ودعت دارة المشرق للفكر والثقافة عام ٤١٠٢ م بانتخاب هيئة إدارية جديدة، يوم ٤١٠٢/٢١/١٣م، بحضور مندوب وزارة الثقافة الشاعر مخلد بركات. وأولت الهيئة العامة للدارة الأديبة هيام ضمرة ثقتها، وانتخبتها عضواً في هيئتها الإدارية الجديدة. وهي عضو فعّال في الهيئة الإدارية لمكتب الأردن الإقليمي للرابطة، وفي عددٍ من جمعيات المجتمع المدني.

ظلال عدنان في هندسة الكلمات

واستضاف ملتقى هندسة الكلمات في الجامعة الأردنية عضو الرابطة الأديبة القاصة ظلال عدنان يوم ٢١/١١/٢٠١٤م، حيث سردت بعضاً من قصصها، وقامت بالتعقيب على كتابات الطلاب وإبداعاتهم ، وشاركها في التعليق على قصائد الطلاب الشعرية العضو الدائم في الملتقى الشاعر محمد الخليلي.

أعضاء الرابطة في موكب الأدباء

برعاية معالي الباشا طه الهياجنة

يقيم مسرح عمون وملتقى بيت الثقافة والفنون الكبير مهرجان تكريمي لمئة وخمسين اديبا وأديبة أردنيا ... منهم خمسة من أعضاء مكتب الأردن الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ... وهم :

الدكتور كمال مقابلة	رئيس مكتب الأردن .
الشاعرة نبيلة الخطيب	الرئيسة السابقة لمكتب الأردن .
الدكتور عبدالله الخطيب	أمين سر مكتب الأردن .
الأستاذ الدكتور ناصر جابر	عضو الهيئة العامة لمكتب الأردن .
الشاعر سعيد يعقوب	عضو الهيئة العامة لمكتب الأردن .

والدعوة عامة

أقام مسرح عمون وملتقى بيت الثقافة والفنون وبتعاون مع مكتب الرابطة، في عمان أكبر مهرجان تكريمي لمئة وخمسين أديبا ومثقفا أردنيا، وذلك في ١/١/٢٠١٥م، منهم خمسة من أبرز أعضاء الرابطة في الأردن، وهم: د.كمال مقابلة الرئيس الحالي للمكتب، الأديبة نبيلة الخطيب الرئيس السابق للمكتب، د.عبد الله الخطيب أمين سر المكتب، الشاعر سعيد يعقوب، ود.ناصر جابر عضوا الهيئة العامة.

الأدب الإسلامي.. في قناة صفا

استضافت قناة صفا الفضائية الشاعر د.حيدر البدراني، وأ.شمس الدين درمش سكرتير تحرير مجلة الأدب الإسلامي في حلقة بعنوان: الأدب الإسلامي زوايا وقضايا: مسلمو الروهينجا، في ١٦/٥/١٤٣٦هـ. فقد ألقى الأديب إبراهيم حافظ منسق الحلقة ومديرها، الضوء على جوانب من قضية مسلمي الروهينجا. وطرح العديد من الأسئلة عن نشأة الأدب الإسلامي، وماهيته، وتاريخه، والخلاف الذي حوله، وركز على دور الأدب الإسلامي في مناصرة قضايا المسلمين من خلال الكلمة الأدبية. أجاب عن عدد منها د. حيدر البدراني، وقدم العديد من النصوص الشعرية.

وتحدث أ. شمس الدين درمش عن بعض جهود رابطة الأدب الإسلامي في هذا المجال من خلال إصداراتها، عن القضية الفلسطينية، والقضية البوسنية، والقضية الأفغانية.

من أنشطة أعضاء الرابطة الأدبية والثقافية

الهويمل وعبدالدايم ضيفا معرض الكتاب

أقام جناح المملكة ضيف شرف معرض القاهرة الدولي للكتاب لعام ٢٠١٥م، ندوة تحت عنوان: الأدب السعودي بأقلام النقاد المصريين، في ٢٠١٥/٢/٣م، شارك فيها كل من الدكتور حسن بن فهد الهويمل رئيس المكتب الإقليمي للرابطة بالمملكة، والدكتور صابر عبدالدايم يونس عضو الهيئة الإدارية لمكتب البلاد العربية سابقا، وأدار الندوة الدكتور حمدي أحمد حسانين.

عيسى جرابا وأنشطة أدبية

وأقام جناح المملكة في المعرض أيضا أمسية شعرية في ٢٠١٥/٢/١٢م، شارك فيها كل من الشعراء: عيسى بن علي جرابا الفائز بلقب شاعر عكاظ لعام ١٤٣٤هـ ، وصالح بن سعيد الزهراني، وأحمد بن عبدالله التيهاني، وأدار الأمسية الشاعر المصري أحمد سويلم.

وأدار الشاعر عيسى جرابا ندوة «قراءات في القصة والرواية السعودية» التي أقيمت في المعرض، وشارك فيها الأستاذ بجامعة الملك سعود د.معجب بن سعيد العدواني، وأستاذ الأدب العربي والنقد بجامعة الأزهر د.محمد الديب.

وفي النادي الأدبي بالرياض بدعوة من بيت الشعر؛ أحيا الشاعر عيسى جرابا أمسية شعرية مساء ١٤٣٦/٤/٢٦هـ، وأدارها الشاعر سعود اليوسف عضو بيت الشعر في النادي.

الحقيل.. تكريم وفعاليات أدبية وثقافية

كرم النادي الأدبي بالرياض في احتفاله باليوم العالمي للغة العربية الأستاذ عبدالله حمد الحقيل لجهوده في الدفاع عن اللغة العربية، وذلك في ١٤٣٦/٢/٢٦هـ.

ود.محمد عبد الرحمن الهدلق الأستاذ بجامعة الملك سعود، وحضر التكريم رئيس الجمعية العلمية السعودية للغة العربية د.أحمد عبدالله السالم.

واستضافته اللجنة الثقافية في المجمعة بمحاضرة عنوانها: صور من ونماذج من أدب الرحلات.. رؤية أدبية وتاريخية، في ١٤٣٦/٣/٧هـ، وشارك في فعاليات سوق عكاظ الثامن ١٤٣٦هـ، في الطائف.

وتحدث في ندوة الثلاثاء للدكتور محمد المشوح في حديث عن تجربته العلمية والعملية، وذكريات لا تنسى في ميدان التربية والتعليم، وفي دارة الملك عبد العزيز، وذلك ي ١٤٣٦/٤/٢١هـ.

وشارك في فعاليات الملتقى التاريخي للجمعية التاريخية السعودية عن تاريخ منطقة جازان، ي المدة من ١١-١٤٣٦/٥/١٥هـ.

شادن أبو صالح تتحدث عن دور الأدب الإسلامي

أقامت شركة سمو المجتمع في المنطقة الشرقية ليلة ١٤٣٦/٣/١٦هـ، في قاعة السيف بمدينة الخبر أمسية خاصة لتعزيز اللغة العربية، ضمن مبادرة (بالعربي). وامتدت الفعالية ثلاثة أيام، تم فيها إعلان أسماء الفائزين في مسابقتي: حراس اللغة، وبقاء. وأقيمت أنشطة لتعزيز

الخط العربي، والفن العربي، ومعرض لبيع المنتوجات العربية، و لقاءات وحوارات، ومحاضرات.

وفي جلسة حوارية مفتوحة مع د.شادن أبو صالح أجابت عن عدة أسئلة تتعلق بالأدب الإسلامي، وعلاقته بالأدب العربي، ودوره في تعزيز اللغة العربية، أوضحت فيها أن الأدب الإسلامي أعم وأشمل،لأنه ينطلق من فكرة دينية واضحة، بخلاف الآداب الغربية وغيرها. والأدب العربي هو الأدب الذي كتب باللغة العربية، بغض النظر عن مضمونه.

باناعمة..الأدب والقيم

أقامت ندوة (الوفاء) الثقافية في الرياض محاضرة بعنوان: (الأدب والقيم.. نماذج وشواهد) ألقاها الأديب د.عادل أحمد باناعمة الأستاذ في جامعة أم القرى، الأربعاء ٣/٩ /١٤٣٦هـ. وأدار اللقاء الشاعر د.حبيب بن معلا المطيري.

وتحدث د.باناعمة عن ثلاثة أمور هي: مفاهيم العنوان، والعلاقة بين الأدب والقيم، ونماذج وشواهد. وفي العلاقة بين الأدب والقيمة ذكر د.عادل باناعمة أن هناك ثلاث مدارس هي: مدرسة الانفكاك، ومدرسة الالتحام، ومدرسة الإمكان، وضرب د.باناعمة أمثلة شعرية ونثرية من نصوص الأدباء ومن شعره.

وشارك في المداخلات د.يحيى أبو الخير وشمس الدين درمش، وقدم الشاعر سعود اليوسف قصيدة: نقش على شاهدة القبر في رثاء والده رحمه الله، والشاعر اللواء محمد حسن العمري قصيدة: ليلة العيد.

أحمد السالم..في أمسية شعرية

أقامت ندوة الوفاء الثقافية في الرياض أمسية شعرية أحياها الشاعر الدكتور أحمد بن عبدالله السالم وكيل جامعة الإمام لشؤون الطالبات، وذلك مساء الأربعاء ١٦/ ١٤٣٦/٣هـ، وأدار اللقاء الأديب د.عبدالله العريني، وحضرها ثلة من الأدباء والمثقفين والإعلاميين وعدد من رواد الندوة. وقرأ الشاعر السالم العديد من قصائد الابتهال ،والمديح للرسول ﷺ والدفاع عنه، وعن الواقع العربي، والقصائد الوجدانية والشعر الاجتماعي، وعن معاناة أهل غزة المحاصرة وصمودها في وجه العدوان الإسرائيلي.

وشكر المهندس محمد باجنيد الشاعر والحضور باسم والده عميد الندوة الشيخ أحمد باجنيد، وعد هذه الأمسية نموذجاً مميزاً لعلاقة الأدب بالقيم .وشارك في المداخلات د.إبراهيم الشتوي والأستاذ حمد الصغير، والشيخ محمد أحمد بافضل.

فوز د.مصطفى عطية

فاز د.مصطفى عطية جمعة في مسابقة مركز جيل للدراسات العلمية والأدبية في الجزائر العاصمة، وكان بحثه بعنوان «تلقي النقد العربي للنقد الغربي». وقد نشر البحث في المجلة الدولية المحكمة الصادرة عن المركز في عدد خاص، صدر في يناير ٢٠١٥م.

دكتوراه للسحاري..

نوقشت رسالة الدكتوراه في اللغة العربية المقدمة من عضو الرابطة جبران بن سلمان سحاري بجامعة صنعاء، وذلك بتاريخ ٦/ ١/ ٢٠١٥م. والرسالة بعنوان (اللغة الشعرية والأدوات البلاغية والصوتية في كتاب سيبويه - دراسة تحليليّة نقديّة).

مكتب القاهرة - محيي الدين صالح

أنشطة أدبية وثقافية في مكتب الرابطة بالقاهرة

أقيمت في المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بالقاهرة عدد من الأنشطة الأدبية والثقافية، حضرها أدباء ونقاد ومثقون متابعون لأنشطة المكتب وفعالياته، وفيما يأتي موجز عن هذه الأنشطة التي نشرت في الموقع الإلكتروني للرابطة بتفاصيل أوسع:

إبداعات محمود خليل

في يوم الاثنين ١ ديسمبر ٢٠١٤م، أقيمت ندوة حول رسالة ماجستير عن إبداعات الشاعر (د. محمود خليل- عضو الرابطة)، تحدث فيها د.محمود خليل عن مشواره الأدبي وإبداعاته المتنوعة في أدب الطفل، ثم علق د.خالد فهمي على محتوى الرسالة، وتحدث د.مصطفى أبو طاحون عن بعض مؤلفات د.محمود خليل التي ركز عليها الباحث وبخاصة (سبع سنابل وعصافير اللهب)، وشارك في المداخلات د.بسيم عبد العظيم، والشاعرة نوال مهنى، وأدار الندوة د.زهران جبر.

وإسلاماه

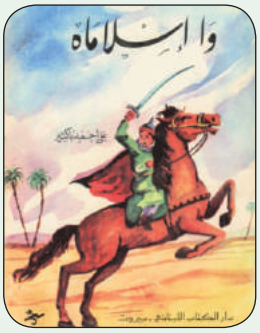

وفي يوم الاثنين ٥ يناير ٢٠١٥م، أقيم لقاء مع د.محمود الشهابي الأستاذ في جامعة ٦ أكتوبر، حول الرواية التاريخية الإسلامية، رواية (وا إسلاماه) لعلي أحمد باكثير نموذجا. وقدمت الشاعرة نوال مهنى سيرة ذاتية عن الضيف، ثم تناول الضيف رؤيته حول رواية (وا إسلاماه) من الناحية الفنية والتاريخية والظروف التي كتبت فيها الرواية. وقال د.الشهابي: إن باكثير لم ينل حظه المناسب من الانتشار لتوجهه الإسلامي في كل مؤلفاته، واختتمت الأمسية بقراءات شعرية مواكبة لذكرى مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم من الشعراء: عدنان برازي، ونوال مهنى، وسلطان إبراهيم، وعبد الحميد الفرماوي، ووفاء سيد. وأدار الأمسية د.زهران جبر، الذي شارك في الأمسية بقصيدة.

المريد في صحبة عبد الحليم عويس

وفي يوم الاثنين الموافق ٢ فبراير ٢٠١٥م، أقيمت لقاء مع الأستاذ وليد كساب (عضو الرابطة) حول كتابه (المريد في صحبة عبد الحليم عويس) بحضور عدد من أصدقاء وتلامذة المفكر والمؤرخ رئيس تحرير «التبيان» السابق د.عبد الحليم عويس - رحمه الله . وسجل الباحث كساب صحبته مع د.عويس على مدى عشر سنوات بأسلوب أدبي رائق.

وشارك في الندوة علماء ونقاد ومبدعون وشعراء منهم الشاعر محيي الدين صالح - مدير مكتب الرابطة بالقاهرة، والمهندس الشاعر وحيد الدهشان، والشاعرة محبوبة هارون، والدكتورة أمل أحمد، والناشر علاء زعزوع، د.خالد فهمي، ود.محمد عبد رب النبي أحد علماء الجمعية الشرعية، ود. ياسر غريب، الذي أدار اللقاء الأدبي الثقافي، وفاء للدكتور عبد الحليم عويس نائب رئيس مكتب الرابطة في القاهرة، وأحد مؤسسيه.

ندوة وفاء عن الشاعر محمد التهامي رحمه الله

أقام مكتب الرابطة بالقاهرة ندوة أدبية موسعة لتكريم اسم المرحوم الشاعر محمد التهامي، وذلك في حضور أسرة المرحوم (المهندس تكريم التهامي، والأستاذة تغريد التهامي) وفي حضور عدد كبير من محبي التهامي من أعضاء الرابطة ومن الضيوف العرب.

وكانت كلمة الرابطة للدكتور سعد أبو الرضا، ثم كلمة الدكتور عبده زايد، وتوالت كلمات الهيئات الأدبية التي كان التهامي عضوا فاعلا فيها منها رابطة الأدب الحديث، وجمعية لسان العرب، وجمعية حماة اللغة العربية، والدكتور سيد أبو شنب الذي كانت رسالته لنيل درجة الدكتوراه عن التهامي، ثم تحدث المهندس تكريم التهامي عن بعض الجوانب في حياة والده مستعرضا مشواره الأدبي وسيرته الذاتية. وأنه أدى رسالة قيمة للحركة الثقافية والأدبية في العالم العربي والإسلامي.

وشارك في الندوة بالكلمات والقصائد كل من: محمد عبد الشافي، وإسماعيل بخيت، ونوال مهنى، ووحيد الدهشان، ومحمد فايد، وعدنان برازي، ود.أحمد رشدي، والشاعر الكبير عبد الحميد الفرماوي، وفي تقديم الأمسية الشعرية الإذاعي زينهم البدوي، والإذاعي السيد حسن. وأدارها الدكتور زهران جبر.

هذا، وقدم برنامج «حدوتة مصرية»، في قناة الدلتا مساء الخميس ٢٠١٥/٢/٢٦م، على الهواء مباشرة، حلقة خاصة عن الشاعر محمد التهامي، رحمه الله، تناولت حياته الأدبية والإعلامية، وأبرز دواوينه وقصائده. وشارك في الحلقة الشاعر أحمد مرسال، وابنة الشاعر الراحل.

تكريم حلمي القاعود ونوال مهنى

أقام مكتب الرابطة بالقاهرة حفل تكريم للدكتور حلمي القاعود والشاعرة نوال مهنى بمناسبة فوزهما بجوائز اتحاد الكتاب، فقد أعلن اتحاد الكتاب في القاهرة في ٢٠١٤/١/٦م، عن فوز د.حلمي محمد القاعود بجائزة علاء الدين وحيد في مجال النقد الأدبي، عن كتابه تطور الشعر العربي، وقيمتها عشرة آلاف جنيه. والأديبة نوال مهنى رئيسة لجنة الأدبيات بمكتب الرابطة في مصر، بجائزة التميز في مجال الإبداع، إلى جانب الفائزين بجوائز الاتحاد لعام ٢٠١٤م.

قدم الندوة الشاعر زينهم البدوي المذيع بإذاعة صوت العرب، فألقى الضوء على الجوائز وقيمتها الأدبية في هذا التوقيت، وأدار الندوة كل من الدكتور زهران جبر ثم الدكتور سعد أبو الرضا، حيث قاما بتهنئة الدكتور القاعود والشاعرة نوال مهنى وكذلك تهنئة الرابطة بهذه الجوائز.

وتحدث الدكتور صابر عبد الدايم عن دور الأديبين في إثراء الساحة الأدبية في مصر بكثير من الإبداعات والدراسات النقدية، ثم تحدثت الشاعرة نوال عن ظروف حصولها على جائزة التميز من اتحاد الكتاب واستعرضت بعض ملامح الجائزة، ثم تحدث الدكتور محمود خليل الذي تولى تقديم الندوة مكان الشاعر زينهم البدوي.

وأخذت الندوة شكل المهرجان الأدبي، وتحدث فيها الأدباء محمود بطوش، ومحمد حافظ، ومحمد عبد الشافي، والشاعر عدنان برازي، وإسماعيل بخيت، ثم تقدم الشاعر والإذاعي (السيد حسن) المذيع بالبرنامج العام لاستكمال تقديم الندوة. وشارك في فعاليات الندوة د.بسيم عبدالعظيم، ود.محمد بدر معبدي، والإعلامية جيهان الريدي. وفي نهاية الندوة قدمت عدد من الشعراء قصائد، وهم د.زهران جبر وإسماعيل بخيت ومحمد الشرقاوي ومحمد حافظ والشاعرة محبوبة هارون، وقدمت رانيا مسعود قصة قصيرة.

آنتقل إلى رحمة الله ورضوانه:

الدكتور عدنان النحوي

توفي بالرياض الأديب الناقد الشاعر الدكتور عدنان علي رضا النحوي العضو المؤسس للرابطة، في ٢١ /٣/١٤٣٦هـ، الموافق ٢٠١٥/١/١٢م.

والنحوي، سعودي، ولد بفلسطين عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م، حاصل على دبلوم في التربية والتعليم وأصول التدريس من فلسطين، وبكالوريوس في هندسة الاتصالات الكهربائية من مصر، والماجستير والدكتوراه في نفس التخصص من أمريكا.

عمل مدرسا في سوريا والكويت، وفي مجال الإعلام الإذاعي في سوريا، والسعودية.

أسس دار النحوي للنشر والتوزيع بالرياض، وأصدر من خلالها مؤلفاته التي قاربت مئة كتاب، منها في الأدب الإسلامي والمذاهب الأخرى أربعة عشر كتاباً، وثمانية دواوين شعريّة، وأربع عشرة ملحمة، وغيرها.

له عضوية في عدد من الجهات الأدبية والثقافية والمهنية مثل: معهد المهندسين الكهربائيين في إنجلترا، ومركز الأبحاث والدراسات الإسلامية في عمان، ورابطة الأدب الحديث بالقاهرة.

الدكتور عبدالسلام الهراس

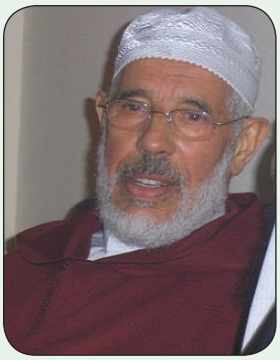

توفي الداعية الأديب د.عبد السلام الهراس، عضو الشرف في رابطة الأدب الإسلامي العالمية (١٤٢٣هـ/١٩٩٢م)، وذلك يوم ٢٠/٢/ ٢٠١٥م. والفقيد أحد رجالات الدعوة والوعظ والإرشاد بالمغرب، وعضو مؤسس في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

ولد د.عبد السلام الهراس في مدينة شفشاون سنة ١٩٣٠م، وشاهد ملاحم الجهاد ضد المستعمر الإسباني والفرنسي، وعاصر كبار المفكرين والأدباء والدعاة والمصلحين في العالم العربي والإسلامي، أبرزهم المفكر الجزائري مالك بن نبي حيث عاش معه في القاهرة وبيروت ودمشق.

الشاعر محمد التهامي

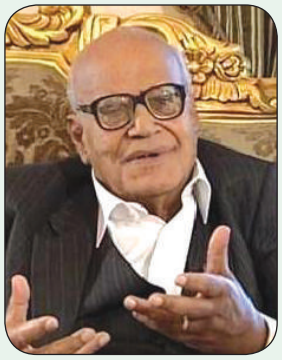

توفي بالقاهرة الشاعر الكبير محمد التهامي، عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، وأحد شعرائها المقدمين، الأربعاء ١٨ فبراير ٢٠١٥م.

والتهامي من مواليد ١٩٢٠م، بمحافظة المنوفية. حصل على ليسانس الحقوق من جامعة الإسكندرية. عمل بالمحاماة والصحافة، والإعلام، وحصل الفقيد على جائزة الدولة التقديرية بمصر، وجائزة مجلس الفنون والآداب للشعر القومي، وميدالية الشعر بعد معركة بورسعيد.

ترك عددا من الدواوين، هي:أغنيات لعشاق الوطن، وأشواق عربية، وأنا مسلم، ودماء العروبة على جدران الكويت، ويا إلهي، صدر في سلسلة إصدارات الرابطة برقم (٨). وقطرات من رحيق العمر، وأغاني العاشقين، وقصائد مختارة، وتسابيح.، وأسرار الوجدان، وقطرات من رحيق العمر.

الشاعر أبو فراس النطافي

توفي بعمان في الأردن الشاعر الدكتور أبو فراس النطافي عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م)، وذلك يوم الثلاثاء ٢٠١٤/١٢/٣٠ م. والدكتور محمد ذيب النطافي (أبو فراس) من مواليد القدس عام ١٩٤١م، تخرج في دار المعلمين، وحصل على الليسانس في اللغة العربية من جامعة بيروت، وعلى الماجستير والدكتوراه في الأدب والنقد، من جامعة الأزهر بمصر. واشتغل بالتعليم العام في الأردن والكويت، وفي التعليم الجامعي في الأردن والسعودية، وهو عضو رابطة الكتاب الأردنيين، واتحاد كتاب فلسطين.

من مؤلفاته: الروضة الشريفة: مسرحية إسلامية. وأربعة دواوين شعرية، هي: رحيق العذاب، ديوان النطافيات، التراب الحزين، وروض الأحبة، عطش البرتقال.

الأديب حسني سيد لبيب

توفي الأديب حسني سيد لبيب في القاهرة بتاريخ ٢٠١٤/٥/٢٢م. رحمه الله، وهو من مواليد الحي الشعبي «بولاق أبو العلا» بالقاهرة في ١٨ / ١١ / ١٩٤٢م.

وكان يعمل مدير إدارة بشركة الحديد والصلب. وحاصل على بكالوريوس الهندسة الكهربائية من كلية الهندسة بجامعة عين شمس. وله عضويات في اتحاد الكتاب، ورابطة الأدب الحديث، ورابطة الأدب الإسلامي العالمية (١٤٢٥/١٠/٢٩هـ، ١٩٩٤/٧/٧م)، وغيرها.

من مؤلفاته: دراسة أدبية: الخفاجي شاعرا، ومجموعات قصصية: حياة جديدة، وأحدثكم عن نفسي، وطائرات ورقية، وكلمات حب في الدفتر، نفس حائرة، وله قصص مترجمة: سبعون ألف آشوري، وابن عمي ديكران، ودموع إيزيس رواية. وله كتب مؤلفة بالاشتراك مثل: دراسات في الأدب التونسي المعاصر، وفي آفاق الفكر الإسلامي، وسفير الأدباء وديع فلسطين، وغيرها.

الشاعر عزت عبدالله

توفي الشاعر عزت محمد عبدالله، وذلك يوم ٢٠١٤/٤/١٣م. وهو من مواليد ١٩٣٧/١١/٢١م، عرف شاعرا وأديبا وناقدا، وإعلاميا، وله عضوية في اتحاد كتاب مصر، وجمعية الأدباء بمصر، وعضو جمعية الأدب والفكر المعاصر بمصر، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية (١٤٢٩/١٠/٢٣هـ، الموافق ٢٠٠٨/١٠/٢٣م.)، وغيرها من الأندية الأدبية والثقافية داخل مصر.

من إصداراته ثلاثة دواوين: القدس هانت، والشيطان يحكم، وجزائر الروح. وله قراءة مبهور لكتاب فارسكور عبر العصور: دراسة وتحقيق.

وحصل الشاعر عزت عبدالله على العديد من شهادات التقدير، من منتدى المثقف العربي بالقاهرة، ومديرية الثقافة العامة بمحافظة الغربية، وجمعية الشبان المسلمين بمحلة زياد بمحافظة الغربية، وجامعة طنطا (كلية الآداب)، وغيرها.

كتب وصلت

- قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، ثلاثة مجلدات، من إعداد دارة الملك عبد العزيز. بلغ عدد صفحاته حوالي ١٩٠٠ صفحة. وعدد مواده ٩٠٨ مادة، منها ٩٤ مادة عن الأدب، و٨١٤ مادة عن الأدباء، منهم ١٣٨ أديبة، ط١ ١٤٣٥هـ.
- المجمعة حاضرو إقليم سدير لمحات تاريخية وثقافية، عبدالله حمد الحقيل، ط١٤٣٦،١هـ/٢٠١٥م.
- ثلاثة كتب لجبران سحاري، ط١، ١٤٣٥هـ: تأملات في بلاغة القرآن الكريم، ومنظومة التوحيد، ومنظومة الفرائض.
- مختصر كتاب حملة أخلاق القرآن للحافظ الآجري، ط٢، ١٤٣٥هـ، اختصره خالد مأمون آل محسوبي، أعده للنشر جبران سحاري.
- كتابان للأديبة عائشة العمد ط١، ٢٠١٢م، عمان، الأردن:
  - تركت العنوان لكم.. مذكرات زوجة من أول ابتسامة حتى آخر دمعة، رواية.
  - أسبوعان في مصر.. معه ومعها، دار المأمون للنشر.
- كيف يطير الصلصال!؟ معالم الطريق نحو الأدبية، لبابة أبو صالح، ط١، نشر بلاتينيوم بوك، الكويت، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.
- الأربعون حديثا في الأعمال المضاعفة الأجر، علي بن محمد السيد مكتبة الميمنة، المدينة المنورة، ط١، ١٤٣٦هـ.
- ثلاثة دواوين للشاعر رمضان عبدالله إبراهيم، ط١، القاهرة:
  - رسالة من حواصل الطيور الخضر، ٢٠٠٨م.
  - على أنغام ساقيتي،

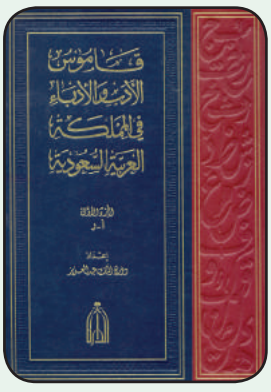

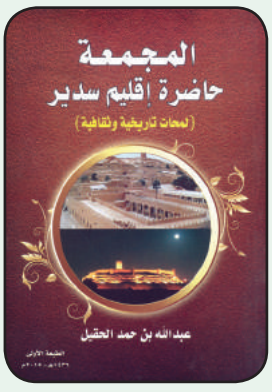

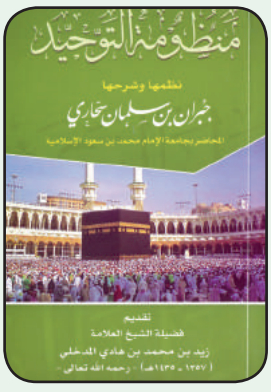

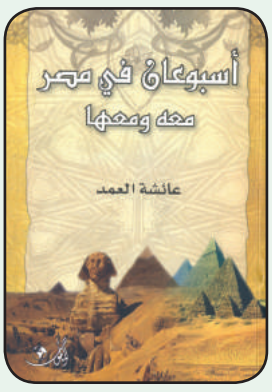

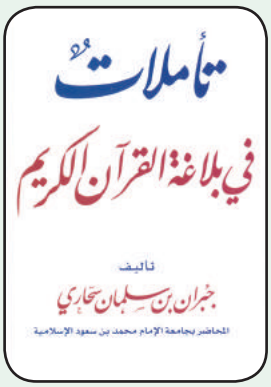

وتتفتح أحلام الفجر، ٢٠١٤م.

- الحجازيات، شعر أبي فهر محمود محمد شاكر، قرأه وعلق عليه أ.د.عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان، ط١، نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.
- وعود السراب، شعر عبداله بن عبدالعزيز السلوم البهلال، ط١، ١٤٢٥هـ، الرياض.
- عصفوران بين الشرق والغرب، رواية، عبدالحميد ضحا، ط١، إبداع للإعلام والنشر، القاهرة، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.
- أعلام العبقريات الشامية، فهرس الأعلام الذين ترجم لهم الشيخ عبدالغني العطري في كتبه، إعداد أيمن أحمد ذو الغنى، دار الألوكة للنشر، الرياض، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.
- دكتاتورية رماد، رواية، أسعد أحمد السعود، الأهلية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٤م، عمان، الأردن.
- في ظلال الأيام، ديوان أنور العطار، طبعة جديدة، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م، تحقيق وتعليق هاني أنور العطار، الرياض، صدرت الطبعة الأولى للديوان في دمشق ١٣٦٧هـ، ١٩٤٨م.

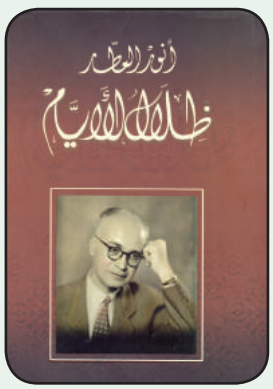

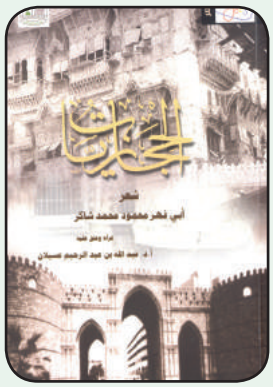

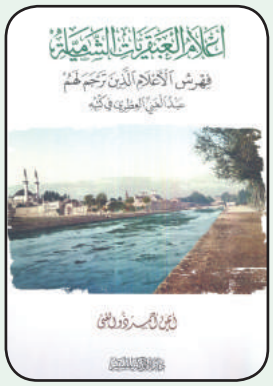

د. عبدالباسط بدر

من معطيات السيرة

من الحقائق المقررة في علم الأديان المقارن أن المسلمين وحدهم هم الذين يملكون سيرة كاملة لرسولهم ﷺ، في حين أن اليهود والنصارى لا يملكون من سير موسى وعيسى عليهما السلام إلا أخبارا متفرقة، يفتقر معظمها إلى التواتر، وربما إلى سند الرواية كله..

ولا شك أنها منة جليلة حبا الله بها المؤمنين بنبيه الخاتم، فمنذ عهد التابعين نشط رجال ثقات ذو علم وفضل لتدوين أحداث السنة كعروة بن الزبير وشرحبيل بن سعد ووهب بن منبه، فجمعوا الروايات ونخلوها بمنهجية عالية، وتوالى كتاب السيرة إلى أن ظهر ابن إسحاق فجمع كل ما كتبه أسلافه في سفر ضخم، ثم قيض الله لهذا السفر عبد الملك بن هشام الذي نقحه واختصره وقدمه في عرض رائع نجد فيه أخباره عليه الصلاة والسلام متسلسلة متوالية، ونجد أيضا دقة النقل وحصانة النقد للروايات وحسن التقديم.

وخلال الأجيال المتوالية تحولت سيرة الرسول ﷺ إلى مدرسة كاملة، ان في الكتابة حيث توالى كتاب كثيرون يكتبون ويبدعون : يحللون المواقف ويستنبطون الأحكام، ويستلهمون الحكم والعبر، وإن في تربية الرجال، وصقل النفوس، حيث يتخرج من حلقات دراسة السيرة رجال يجتهدون في التأسي به ﷺ في حياتهم اليومية ومعاملاتهم الشخصية وقضاياهم الخاصة والعامة. ومازالت هذه المدرسة تثري المجتمعات الإسلامية بكتاب يقدمون كل مرة شيئا جديدا في السيرة، تشهد بذلك كتب السيرة المعاصرة بدءا بما كتبه محمد أبو زهرة، ومرورا بالبحوث الرائعة التي عرضت في مؤتمر السيرة، ووصولا إلى ما تخرجه المطابع يوما بعد يوم.

وليس غريبا أن السيرة تبقى نبعا لا ينضب عطاؤه، فالذين دونوها أول مرة لم يجعلوها تاريخا ضيقا لحياة فرد من البشر، ولم يكتبوا - وهم أصحاب العاطفة الإسلامية المتوقدة - متحيزين أو مزيفين، بل تتبعوا الأخبار بدقة موضوعية بالغة، وبروح المؤرخ العدل، وبلغة التشوق إلى أحداث صحيحة كاملة، وصدقوا في تتبع الأخبار، وصدقوا في عرضها، ورووا نصر المسلمين وهزيمتهم، ورووا إيثارهم وشجاعتهم، ورووا أيضا اختلافهم وعثراتهم، ونقلوا صور المسلمين والمشركين والمنافقين وعباراتهم وسلوكهم، بل ودقائق من حياتهم الشخصية، حتى ليحس القارئ أنه في خبائهم وداخل ستورهم.. رووا ذلك كله ببيان عذب، ولغة سلسة تنقل الانفعال كما كان عند صاحبه، وترسم ملامح الوجود بإتقان، وقد تغوص في أعماق النفوس بلفتة ذكية أو لفظة أو عبارة.

إن مجتمعاتنا الإسلامية اليوم في حاجة شديدة إلى أن تستمد من هذا الكنز، وتكثر الأخذ من هذه المدرسة.. في حاجة إلى أن تستلهم من معطياتها الكثيرة الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة، وفي حاجة إلى أن تتعلم من قضاياها ما يحل القضايا المستجدة، وفي حاجة إلى أن تمعن النظر في كل شخصياتها المؤمنة والمنافقة والكافرة الضائعة.. ففي كل منها عبرة بالغة، في حاجة إلى أن تتعلم من رواياتها وأدبها ولغتها.. فنصقل الأذواق - بالبيان العربي الرائق - كما تصقل النفوس بالعقيدة الصحيحة العميقة، وتدفع عنا تغريب الفكر وتغريب البيان.

إنني أتمنى على رجال التربية أن يزيدوا من استثمارها، ويضعوا في مناهج التعليم مقتطفات من الرويات القديمة ذاتها. وأتمنى على رجال الأدب أن يكثروا الاستلهام من سفرها الضخم، ففيه ملامح أصيلة للنماذج البشرية كلها، وفيه صور لحالات النفس الإنسانية بأبعادها، فيه البطل والحدث، وفيه عقيدتنا وشخصيتنا.. ولهم فوق النجاح وحب الجماهير ثواب الله ورضوانه والسلام■